مايو (ايار) ١٩٨٤ ــ شعبان ١٤٠٤

المختار



من ريدرز دايجست

(ص ٥١)

امراض العصر ليست أوهاماً؟

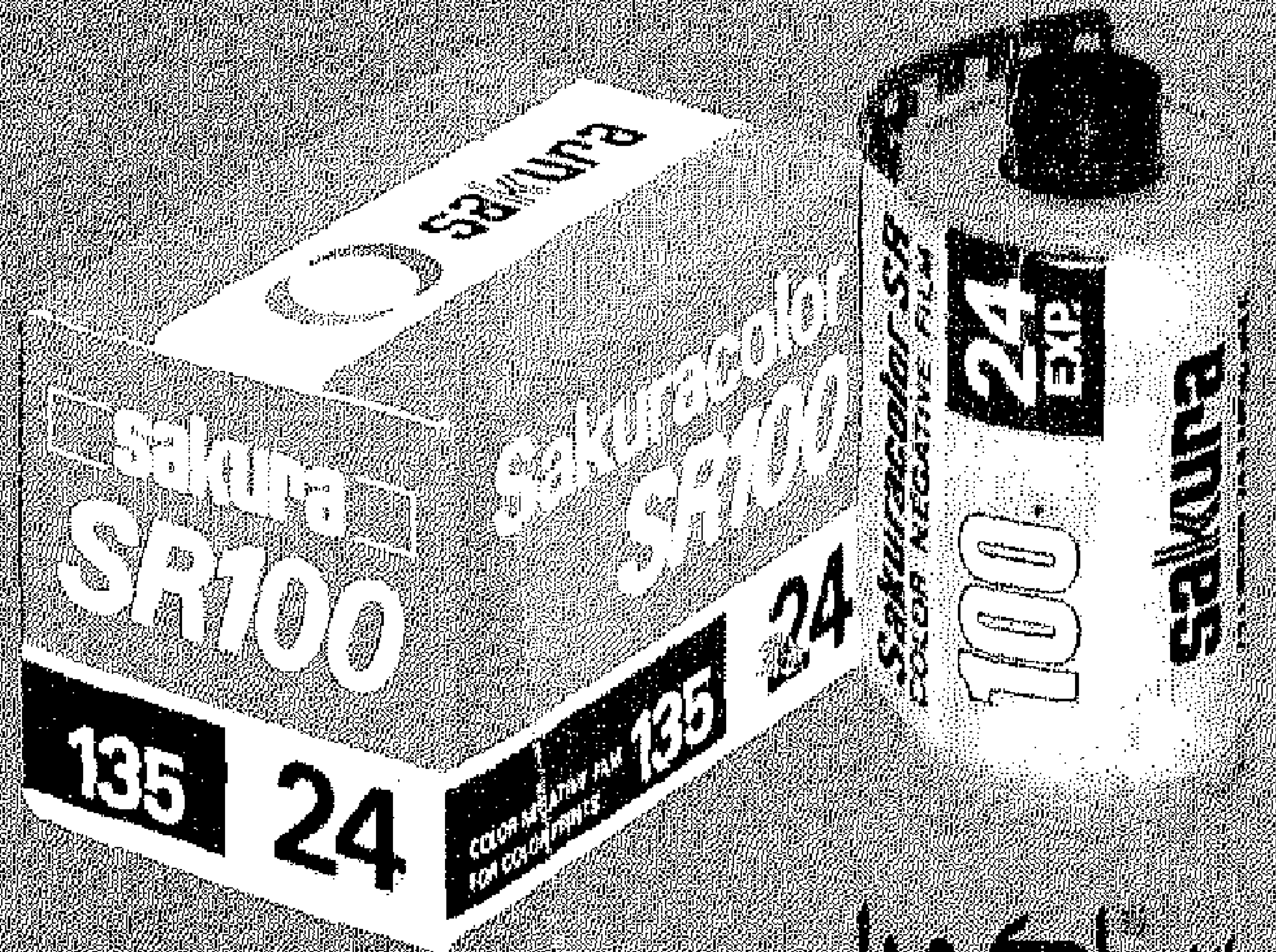
(ص ٢٤)

(ص ٤٠)

لبنان ٦٠٠ق ــ سوريا ٧٠٠ق ــ الاردن ٧٠٠ف ــ الكويت ٧٠٠ف ــ الامارات العربية المتحدة ٩د ــ قطر ٨ر ــ البحرين ٨٠٠ف ــ السعودية ١٠ر ــ مصر ٥٠٠م ــ السودان ١ج ــ ليبيا ٧٠٠د ــ اليمن ٨ر ــ مسقط ٨٠٠ب ــ العراق ٨٠٠ف ــ تونس ٦٠٠م ــ المغرب ٥د ــ الجزائر ٧د ــ فرنسا ١٠ف ــ انكلترا ١ج ــ اليونان ١٣٠د ــ كندا وأمريكا الشمالية ٢٫٥٠د

دقة متناهية
في افلام التصوير الملونة

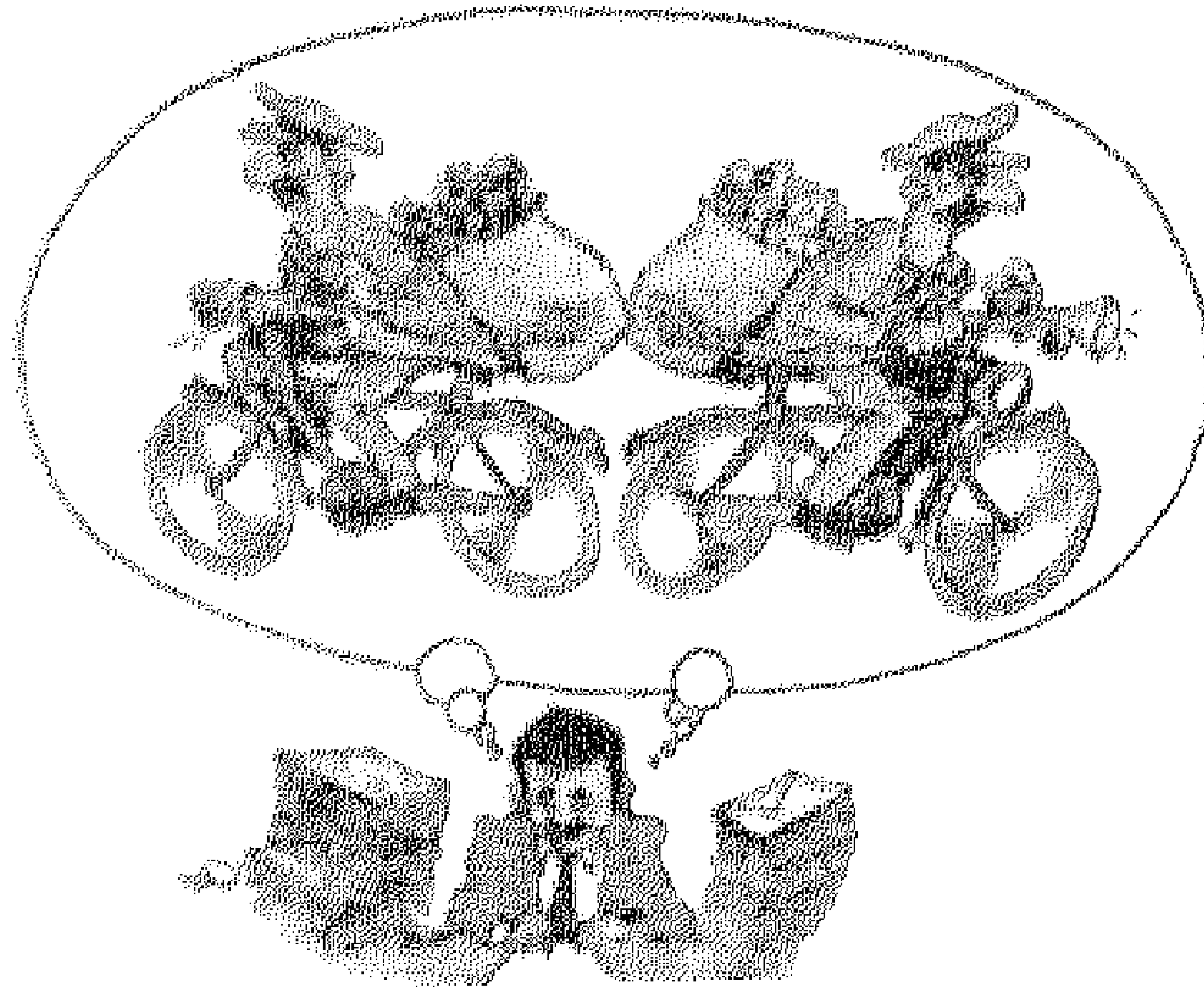
تكنولوجيا متطورة من Konishiroku
تضع مقياساً جديداً
لنوعية الافلام الملونة
صورة رائعة بالالوان الطبيعية ،
لا تضاهى بصفائها ووضوحها .



ساكورا

sakura
COLOR FILM SR100

KONISHIROKU PHOTO IND. CO., LTD.
Shinjuku Nomura Building, No. 26-2, Nishishinjuku 1-chome, Shinjuku-ku, Tokyo 160, Japan



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود، وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها: سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:
مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب •
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت • طومسون • مدير التحرير: آلان دوليرو • المدير العام: جون ا • اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس • الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت • التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت • ص•ب• ٨٧٠٧ ـ (١) التلفون ٣٥٠٧٦٠ ـ ٣٥٤٤٢١ التلكس (الموقت) 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان • التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية •



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: البط الامبراطوري (للياباني شوكو اومورا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
May 84 No 66 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة •

رسائل أبي مختصر مفيد

كتب الي والدي رسالة واحدة خلال حياته. وكنت ادرس في الجامعة عندما ارسلت اليه اطلب ٢٥ دولاراً لتمويل مشروع او ما يشابهه. وما زلت اذكر كلمات رسالته: "ابني العزيز، والدتك تطلب منك ان تقتصد في مصروفك. ها ها. ديزي تدر حليباً أوفر هذه الايام." هذا كل ما كتبه. ولم يختم الرسالة كما هو متبع بل وقع اسمه الكامل كأنها وثيقة قانونية. ووجدت داخل المغلف ورقة نقدية من فئة العشرة دولارات، وكانت بقرتي ديزي وضعت عجلها الثاني.

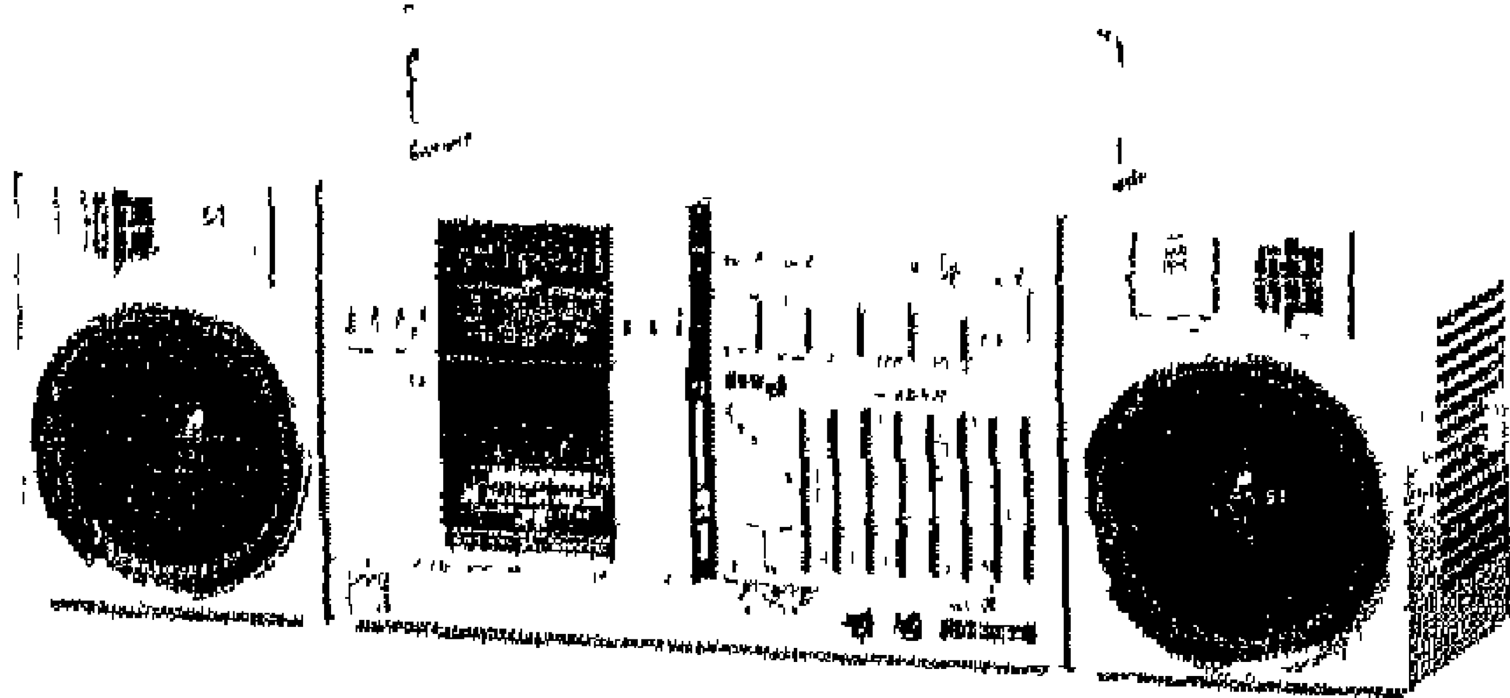
دعوني اخبركم الآن عن الرسالة الوحيدة التي تسلمتها والدتي منه. كُتبت تلك الرسالة في



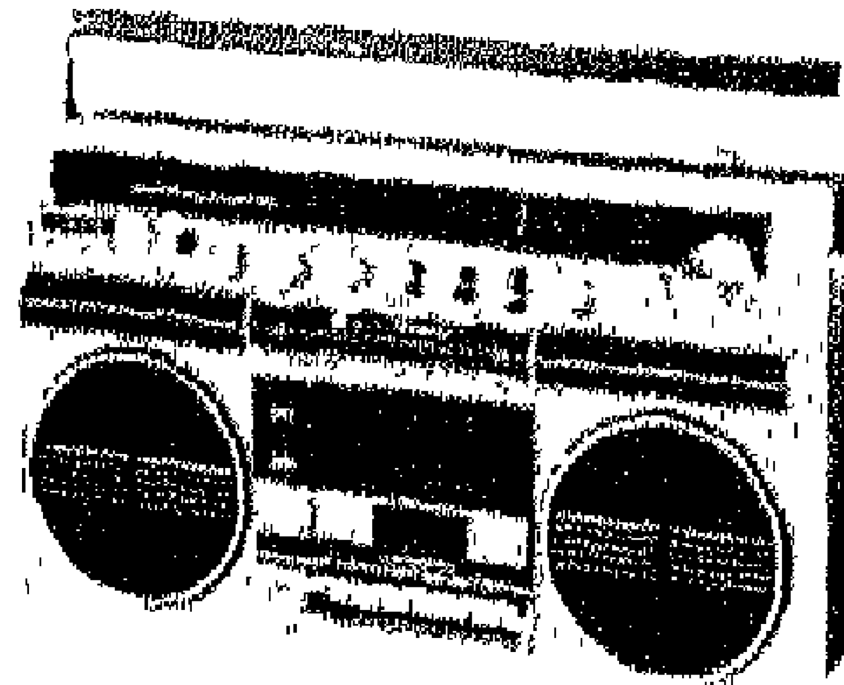
Toshiba : صاحبة ابتكار
الـ Auto Reverse

الراديو كاسيت والمسجلة الستيريو Toshiba كانت الرائدة في استعمال auto reverse والاولى في اعطائكم تسجيلا مستمراً من دون انقطاع ولذة في الاستماع سواء على دورة واحدة او باستمرار، ويمكنكم ايضاً تغيير جهة التسجيل من دون قلب الشريط.

ولدى Toshiba تشكيلة كاملة من الراديو كاسيت والمسجلات مع auto reverse. من المونو الى الستيريو وفي تصاميم صغيرة او كبيرة. ولكن ايا يكن القرار الذي اخترتم فيمكنكم ان تعتمدوا على حقيقة واحدة: انها رائعة لانها Toshiba



BOMBEAT SX7
AUTO REVERSE



BOMBEAT 170
AUTO REVERSE



BOMBEAT 483
AUTO REVERSE

بلدة أوك كريك في ولاية كولورادو. في تلك السنين كان الجوع يهدد عائلتنا في بعض المواسم في الجبال الشرقية. وكان والدي ينتقل بنا الى ولاية كولورادو ويعمل في مرأب في مقابل بعض المال، ليعود بنا من جديد الى المنطقة الجبلية الشرقية.

كان والدي يعمل في اوك كريك ٦٠ ساعة في الاسبوع في مقابل ٢٠ دولاراً. وكنت في الثانية من عمري، وكانت والدتي ميرتل على وشك ان تضع كبرى شقيقاتي وقد حضرت اختها بيل لتساعدها، لكنها لم تكن تحب والدي.

وذات امسية كانت بيل في حال نزق، واغتنم والدي الفرصة ليهرب من البيت متذرعاً بشراء بعض اللحم من السوق لليوم التالي. وفي طريق العودة مر بالمرأب حيث يعمل.

وجد زبوناً ينتظر وحده عودة عامل الميكانيك الليلي الذي غادر ومعه شاحنة القطر. كان الزبون يقود شاحنة ومشكلته تتعلق بسيارته التي تعطلت على طريق جبلية. ووافق والدي على الذهاب معه في الشاحنة الى مكان السيارة ليحاول اصلاحها.

تمكن والدي من تشغيل السيارة وقادها في اتجاه المدينة لاصلاحها بما يكفل سيرها السليم في المستقبل. وتبعه الزبون وهو يقود الشاحنة. لكنه كان بعيداً عندما انحل برغي يربط عجلة القيادة في السيارة لدى وصول والدي الى الجسر. وانعطفت السيارة في زاوية قائمة فحطمت سور الجسر الخشبي وانزلقت لتغرق الى قاع النهر.

وجد والدي نفسه وسط فقاعة هواء داخل السيارة. لم يخف، بل فتح النافذة قليلا وافسح للماء ان يملأ السيارة، فتساوى ضغط الماء في الداخل والخارج ومكنه من فتح الباب والسباحة في محاذاة الضفة.

حمله التيار المائي بسرعة ولفظه على مسافة بعيدة. كان أسهل عليه ان يمشي عائداً الى المدينة في محاذاة الضفة من ان يتسلق الى الطريق وسط الظلام.

حين وصل والدي الى المدينة كان يشعر ببرد قارس وتعب مرهق. ذهب اولا الى المرأب حيث بدل ثيابه المبللة، وتبين له ان عامل الميكانيك الليلي لم يعد بعد. فأكمل طريقه عائداً الى بيته، لكنه لم يجد احداً في البيت.

وكنا وصلنا جميعنا الى الجسر حيث كان الزبون شاهد السور المكسور وأسرع الى المدينة ليعلن الحادث. وبدأت والدتي تبكي بينما لم يبدُ على خالتي اي حزن وهي تحملني. لقد اعترفت في ما بعد ان افكارها شردت الى المستقبل والى أرمل ثري كان معجباً بأمي.

وجد الجمع سترة والدي عند المصب ووافقوا على ان المياه ستجرف الجثة الى المدينة وتلفظها فوق الرمال. بعد ذلك عدنا الى البيت.

أول ما شاهدناه لدى عودتنا كان حذاء والدي المبتل. ورأيناه من خلال باب غرفته يغط في نوم عميق. ووجدنا ورقة على طاولة المطبخ كتب فيها: "ميرتل، نسيت اللحم."

■ لاري باتسون

Condensed from Minneapolis Tribune (August 8, '75),

"الجوع هو الالم والعنف واليأس والموت" كما تقول هذه الممرضة الباسلة

إمرأة تقود جيش الخلاص


ذات يوم في بداية الستينات كانت إيفا دن هارتوغ، وهي ممرضة هولندية في "جيش الخلاص"، تلقح الناس ضد مرض الجدري في قرية تبعد ٤٥ كيلومتراً عن كنشاسا عاصمة زائير (الكونغو آنذاك)· وفيما كانت تقود سيارتها راجعة الى عيادتها في المدينة، بعد مرورها على أربعة حواجز للتفتيش، اعترضها جندي كونغولي وطلب منها أوراقاً تثبت هويتها·


الرائدة ايفا دن هارتوغ·

كانت البلاد غارقة في خضم حرب أهلية بعد نيلها الاستقلال عن بلجيكا· وكثيراً ما كان قطاع الطرق يروعون الارياف وبينهم جنود في الجيش·

وما لبث الجندي أن خاطب إيفا مدمدماً: "أوراقك غير صالحة وأنت الآن موقوفة·" ورأت أنه كان يمسك بطاقة هويتها مقلوبة لكنها لم تجرؤ على الاعتراض· وفي الجانب الآخر من الطريق كان عدد من الجنود يحدق الى إيفا· ووجدت نفسها عاجزة عن

Photo: ANP Foto



أيفا تعاين مريضاً صغيراً: "هناك اشياء كثيرة يمكنها الانتظار، اما الطفل فلا."

أيفا تعاين مريضاً صغيراً: "هناك اشياء كثيرة يمكنها الانتظار، اما الطفل فلا."

الحركة فاعترتها موجة من الغيظ عارمة، غير أنها كبحت انفعالاتها. وفيما جلست تترقب خطوة الجندي التالية أخذت تصلي كي يسود العفو والحب ويأتي من ينقذها من هذه الورطة.

وفجأة توقفت سيارة جيب خلف سيارتها ونزل منها ضابط. وجعل الضابط يستجوب الجندي بحدة ثم قال للمرضة المذعورة بلغة فرنسية سليمة: "حين كنت صبياً ألعب في الأدغال علمتني متطوعة القراءة والكتابة." وأعاد اليها أوراقها ورافقها الى المدينة.

وتروي "الرائدة إيفا"، كما يسميها الجميع، هذه القصة لتضرب مثلا على العناية الالهية وتبدي فخرها بأعمال النساء التطوعية وتقدم نموذجاً من حياتها الحافلة بالمغامرات.

وعندما زرتها في مركز قيادة جيش الخلاص خارج مدينة لوس انجلس رأيت وجهها ناضراً مستديراً وشعرها أسود فلم أصدق ان عمرها ستون عاماً. وعرفت فيها امرأة نشطة ذات ضحكة عابثة وشخصية لافتة. وفي أثناء حديثها عن عملها الحالي كمنسقة لخدمات جيش الخلاص في العالم تجمع المال لمحاربة الجوع، كانت عنياها ترقصان باستمرار.

ان هذه الممرضة الهولندية "مقدامة باسلة قوية" على حد تعبير أحد أصدقائها، فهي عرضت نفسها ما يزيد على عشرين سنة للخطر والمشقة

لتسعف المرضى والجائعين في أنحاء العالم. ويروي هنري مول كاتب سيرة إيفا كيف حاول موظف عنيد في بنغلادش ارغامها على دفع الرسم الجمركي على شحنة طائرة ملأى بالاعانات فخاطبته قائلة: "رسم جمركي؟ انه طعام مجاني لشعبك الذي يموت جوعاً. أتريد ان تفرض علينا رسماً لادخاله البلاد؟ هذا هراء!" وهددته بأن تأمر بعودة الطائرة الى هولندا وتنشر الخبر في العالم. فتراجع الموظف عن موقفه.

جرأة نادرة - ولدت ايفا دن هارتوغ في هولندا عام ١٩٢٣. وعندما هجر والدها العائلة أخذت الام أطفالها الثلاثة الى مقر جيش الخلاص حيث أقامت إيفا خمس سنوات. وتقول إيفا: "بعد ذلك لم أعد أود العيش خارج نطاق جيش الخلاص."

درست إيفا التمريض والامراض الاستوائية ثم التحقت بجيش الخلاص برتبة "ضابط" وأرسلت الى الكونغو البلجيكي في العام ١٩٥٩. وكانت العاصمة ليوبولدفيل (سميت كنشاسا في ما بعد) مفعمة بالنشاط والحيوية، وكانت العيادة التي تديرها ايفا في قلب العاصمة. وهي تعلمت كيف تعالج المصابين بلدغات الافاعي وأمراض الغابات ونخر الاسنان. وكان يسرها تدريس علم الصحة والتمريض وتوزيع الطعام والمساهمة في عمليات التوليد.

ولم تمض سنة على وجودها في البلد حتى اندلعت الحرب الاهلية التي أدت الى فوضى عارمة تجلت في القتل والحرق والنهب. في هذه الاثناء سجن بول بغير حق، وهو أحد مساعديها من الممرضين الكونغوليين. فاستبد بها الغضب وانطلقت بسيارتها الى سجن كنشاسا وطلبت من الحراس المشدوهين ان يفتحوا الابواب وصرخت: "لا استطيع معالجة المرضى الكونغوليين من دون مساعدة بول." وشقت طريقها بين مئات من الرجال السود في جو السجن الحار الخانق وسط الروائح المنتنة وبكاء السجناء المعذبين الى ان وجدت بول وغادرت به المكان.

كينيدي لم يتحمل - بعدما أمضت إيفا في زائير ١١ سنة انتقلت الى الهند. ففي العام ١٩٧٠ تسببت الفيضانات واحوال المد والجزر في موت مليون بنغالي شرق باكستان. ولم تكترث الحكومة في غرب باكستان للأمر فثار عليها الذين نجوا من الكارثة. وفي حرب الاستقلال التي تلت مات ملايين من الجوع والكوليرا ونار البنادق والتعذيب وهرب ملايين آخرون الى الهند المجاورة.

حين وصلت إيفا الى كلكوتا في منتصف ١٩٧١ وجدت حقولا واسعة موحلة تضيق باللاجئين الذين حشروا في مساكن صنعت من الاسمال البالية والحديد الصدىء والواح الخشب، كما شاهدت المرضى يتغوطون وينزفون في الارض المخضلة. وكان من بين الاجانب الذين زاروا هذا المخيم ادوارد كينيدي عضو مجلس الشيوخ الامريكي. وقال كينيدي في تقريره

المقدم الى مجلس الشيوخ في ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١: "المناظر في المخيمات تفوق الوصف. فكثير من الاطفال والشيوخ فارق الحياة. وكان من الممكن معرفة الذين سيموتون بعد ساعات."

وفيما كان كينيدي يهم بالانصراف التفت الى إيفا وسألها: "كيف يمكنك ان تتحملي هذا؟"

الحق ان إيفا تستطيع تحمله لأن في وسعها ان تفعل شيئاً ما. فهي أشرفت على بناء مستشفيات ميدانية وآبار ومراحيض. وعندما رأت الآلاف يمدون أيديهم أخذت توزع عليهم الطعام - حتى بعدما أيقنت انه لا يكفي سوى بضع مئات.

وفي العام ١٩٧٢ بدأت العمل في شرق باكستان (بنغلادش) على رأس فريق صغير يوفر العناية لما يزيد على ألف شخص يومياً، اذ تولت أمر ميتم يعج بالاطفال المرضى والجياع. وتقول ايفا: "هناك امور كثيرة تقبل الانتظار، لكن الطفل لا يمكنه ذلك." وحظيت إيفا بحب اللاجئين اذ كانت تمضي وقتاً في محادثتهم وتضحك أطفالهم وتشاركهم في احتفالاتهم. وكانت تصطحب فريقها كل أسبوع في سيارة "لاندروفر" عبر الاراضي الموحلة او تقطع الانهار العميقة بزورق آلي لتوزيع المؤن على القرى النائية.

الايام الشنيعة - عادت الفيضانات الى بنغلادش عام ١٩٧٤ فجرفت قرى بكاملها وتفشت أمراض الكوليرا والجدري والديزنطاريا. وبات ملايين الناس بلا مأوى فهاموا في الارض. وكتبت إيفا في يومياتها: "الحال مرعبة ومروعة وباعثة لليأس."

وذات يوم أتت امرأة تحمل طفلا ميتاً الى المخيم الذي تعمل فيه إيفا. وكان ثلاثة من أطفالها ماتوا سابقاً لكنها لم تكن تملك ثمن أكفانهم، فأعطتها ايفا المال. وفيما كان الجثمان الصغير يوارى في القبر سمعتها ترنم: "يا طفلي، لقد كنت أماً سيئة، فما كان يسعني أن أعطيك الطعام ولا الحليب." وحين تروي إيفا هذه القصة الآن تجهد نفسها لتفهم سبب شعور تلك الام بالذنب.

في تلك الايام الشنيعة كان اليأس لا ينفك يغمر إيفا. وهي أفضت ذات مرة في كلكوتا بما انتابها من اليأس الى راهبة تعمل مع الأم تريزا. فقالت لها هذه: "لا تيأسي أبداً، فأنت لا تزالين قادرة على انجاز أفعال جميلة ترضي الله." وما لبثت إيفا أن تخطت حال الشك هذه.

وفي العام ١٩٧٩ تعرض إيمانها لامتحان مماثل عندما أصبحت رئيسة الفريق الطبي التابع لاتحاد منظمات الاسعاف. وقد نيط بهذا الفريق مساعدة الناجين من عملية الابادة في كمبوديا التي تدل دلالة واضحة على وحشية الانسان. وباتت إيفا من المشاهد المألوفة في مخيم ساكايو حيث تسكن خيم الورق والبلاستيك آلاف الهياكل العظيمة الحية. فهي المرأة التي يلمع حرف (S) (★) على

(★) Salvation Army

قبتها البيضاء والتي تضع سماعة طبية حول عنقها وتعطي الحقن وتقدم البيض والموز وأكواب الحليب.

ارض التخمة – تذهب إيفا في جولات تلقي أثناءها محاضرات. وحين يسألها بعض الحاضرين: "ماذا يمكننا أن نفعل؟" تقول: "يمكنكم أن تخفضوا كمية طعامكم وشرابكم وتقللوا عدد نزهاتكم وتنقصوا استهلاككم. لماذا لا تصومون يوماً في الاسبوع؟" وتحثهم إيفا على الا يشعروا بالذنب بسبب ما حققوه من نجاح، لكن عليهم في المقابل استخدام نجاحهم لمساعدة الآخرين.

وتقول لهم متجهمة انهم في أرض التخمة لا يعرفون حقيقة الجوع. "فليس الجوع ان يفوتنا طعام الفطور بل هو الالم والعنف واليأس المستحكم وندب الآباء والامهات الثكالى اطفالهم." وتضيف ساخرة أننا ننزع الى الظن ان العالم الغربي وحده هو مملكة الله. ولكن "منذ ما بدأت أعمل في العالم الثالث عرفت ان مشكلة الجوع في العالم لن تحل الا من خلالنا نحن." وتضيف إيفا بفخر وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خاصة: "اننا نعقد الاجتماعات والمؤتمرات لنبحث في قضية الجوع في العالم فيساهم بعضنا في العطاء، ولاسيما الهولنديون. غير انه لا يكفي ان نعطي مما يفيض عنا بل علينا ان نضحي ونهب ما يعز علينا." ثم تؤكد هذه الفكرة فتقول: "انا أعطيت حياتي كلها."

ولا تلبث ان تتابع على نحو أكثر تواضعاً: "طبعاً هناك آلاف مثلي يعملون في هذا الحقل." الا ان منطقها الواضح وشخصيتها القوية اضفيا على انجازاتها بعداً عالمياً. وقد باتت شهيرة جداً في وطنها. وفي العام ١٩٧٠ منحتها الملكة جوليانا رتبة فارس "لتفانيها وفاعليتها في أداء عملها في الكونغو."

وفيما كنت أحادثها في لوس أنجلس أخذت إيفا دن هارتوغ تحدق برضا الى الاراضي الجميلة التابعة لمركز قيادة "الجيش" والى الأبنية التي تشبه أبنية الجامعات والتي تحيطها تلال منبسطة تطل على المحيط الهادىء.

غير أن إيفا لا تستطيع المكوث في هذا المكان وترك ملايين الناس في العالم الثالث يعيشون في الجحيم. كانت تعد العدة لمهمتها المقبلة. فهل تذهب لتعين الجياع في الصومال أو أوغندا؟ أم تذهب لتخفف آلام البائسين في لبنان أو السلفادور؟ أنها لم تتخذ قرارها بعد، لكنها موقنة انها ستكون حيث يحتاج اليها الناس.

■ **مانفرد ولف**



النخبة العزيزة

ان المرء، وان عرف ثلاثة آلاف شخص أو أربعة آلاف، لا يتكلم الا عن ستة أو سبعة منهم طوال حياته.

ا.ك.

صحيح ان التاريخ يعيد نفسه،
غير ان استخلاص العبر منه أمر عسير
لأن الناس عادة لا يصدقون
الا ما يلائم خططهم

دروس من التاريخ



كثيراً ما يوجه الى المؤرخين سؤال شائع جداً هو: هل يخدم التاريخ غاية بعينها؟ فهل هو نافع لنا؟ وهل يمكننا أن نستمد منه العبر؟

حين يطلب الناس من التاريخ ان يعلمنا دروساً فهذا يعني انهم يريدون التأكد من انه يخضع لمقاييس علمية. الا أنه اذا قدر للتاريخ ان يكون علماً، فينبغي ان يمكننا ذلك من معرفة ما سيحدث غداً. ولكن ما الذي يجعلنا نعجز عن ادراك هذا الأمر؟ الجواب هو في المتغير المجهول، أي في الانسان. فالبشر هم دائماً موضوع التاريخ. والتاريخ هو سجل التصرف الانساني الذي يشكل أكثر الموضوعات فتوناً، غير انه بعيد عن المنطق وحافل بالمتغيرات مما يجعل من المتعذر اخضاعه للطريقة العلمية او للمنهجية.

وليس يثنيني عن هذا الرأي كوننا الآن في صميم العصر الالكتروني، أي في زمن تعمل فيه الادمغة الالكترونية على اخضاع التاريخ لقواعد الارقام.

ويقتضي تطبيق هذه المقاييس في التاريخ لقواعد الارقام. ويقتضي تطبيق هذه المقاييس في التاريخ اعتماد "معالجة المعطيات" مما يقتضي تصنيف وقائع الماضي الموثّق كي يغدو في الامكان برمجتها في أدمغة الكترونية، لأن المطلوب هو ايجاد نمط تاريخي.

والمأمول من هذه العملية هو في الاصل اقامة أنماط ثابتة من طريق معالجة كمية من المواد التاريخية التي تتعدى الاحاطة بها قدرة الانسان الفرد. أما أنا فلست متفائلة في هذا الصدد. فالتاريخ لا يعدم وسيلة للهرب من محاولات تكبيله في نطاق أنماط معينة.

والحق ان اخضاع التاريخ لهذه المقاييس ليس سوى طريقة جديدة للتعبير عن الجهد القديمُ الدائب لوضع التاريخ ضمن أنماط محددة. لكن الانماط التي يمكن التعويل عليها، وهي التي تدعى عِبر التاريخ، لا وجود لها في الواقع.

في العلم المخبري يفترض في النتائج التي يُتوصل اليها ان تكون منطقية، أي أن مجموعة من المعطيات المعلومة يجب ان تؤدي الى نتيجة معلومة. والمشكل هو أنه يستحيل في التصرف الانساني ان نتناول معطيات معينة ثم نعزلها عن سواها أو نجعلها تتكرر. فالافعال الانسانية المعقدة لا يمكن توليدها أو تعمد البدء بها أو الركون اليها كما لو كانت ظواهر طبيعية.

فالشمس تطلع كل يوم. والمد والجزر يحدثان في أوقات منتظمة حتى ليمكننا ان نضع لهما جدولا زمنياً شبيهاً بالذي نضعه للقطارات. والواقع ان مثَلي المد والجزر والقطارات يوضحان وجهة نظري بدقة: فالاول يعتمد القمر وهو موثوق به، والثاني يعتمد الانسان وهو مشكوك فيه.

لما كانت الحوادث التاريخية لا تتكرر على نحو معلوم، فقد بات التيقن من استخلاص عبر التاريخ أمراً شديد الصعوبة. من الواضح ان هناك دروساً، وعندما يقول الناس انهم يتعلمون منها فهذا يعني ان لديهم طريقتين لتطبيق التجارب الماضية. غاية الاولى ان تجعلنا قادرين على تحاشي الاخطاء الماضية والتصرف على نحو أفضل في أحوال مماثلة. وغاية الثانية ان تمكننا من معرفة مسار الحوادث المستقبلية. وفي وسعنا تحقيق الغاية الاولى. اما الثانية فلا يبدو تحقيقها ممكناً.

درس مضلّل – في أثناء الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال كان واضحاً ان الحلفاء تصرفوا على نحو أكثر فطنة مما فعلوا في الحرب العالمية الاولى، مستفيدين من تجربة الحرب السابقة التي لقنتهم درساً لا ينسى. غير ان هذا الحكم لا ينطبق على الولايات المتحدة. فالامريكيون أخفقوا في تطبيق المبدأ الصحيح عندما باتت معرفة مجرى الحوادث ضرورة لهم. ان بيرل هاربور مثل ممتاز على العجز عن التعلم من التاريخ. فقد كان على الامريكيين ان يتوقعوا هجوماً يابانياً مفاجئاً في

أثناء مفاوضاتهم مع اليابان. وكون هذا الهجوم عملا غير شريف لا يمنع من الاحتياط له. وكانت اليابان اعتمدت الخطة نفسها في العام ١٩٠٤ عندما بدأت الحرب الروسية - اليابانية بهجوم مفاجىء شنته على الاسطول الروسي في بورت آرثر.

والى ذلك كانت الولايات المتحدة تملك كل الدلائل المحسوسة الممكنة اذ فكت رموز الشيفرة اليابانية وبدت الانذارات على الرادار، لكن الفطنة كانت غائبة. فالنقص لم يكن في المعلومات، بل في الحكم السليم عليها. لقد كان الامريكيون يملكون البينات كلها، الا انهم رفضوا تفسيرها على نحو صحيح. وهم في هذا يشبهون الالمان الذين رفضوا في العام ١٩٤٤ تصديق حصول انزال في مقاطعة النورماندي. فالناس عادة لا يصدقون ما لا يلائم خططهم أو يقف حجر عثرة في سبيلهم. والخلل في كل تفكير عسكري هو أنه وليد جملة كبيرة من الاهواء الفردية والاجتماعية والاحكام السابقة والتمنيات. فاذا استطاع المرء فك رموز الشيفرة اليابانية من دون ان يأخذ بمضمونها، فكيف يمكنه اذاً ان يتعلم دروساً من التاريخ؟

هل يمكن ان يؤدي الدماغ الالكتروني عملا أفضل؟ ربما كان هذا ممكناً في قضية بيرل هاربور. فلو لقمت كل المعلومات المتوافرة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤١ أحد الادمغة الالكترونية لاستطاع في أغلب الظن ان يجيب: "غارة جوية، هاواي، الفيليبين" وربما أضاف: "٧ ديسمبر (كانون الاول)". ولكن هل يصح تعميم هذا المثل؟ وهل يسعنا اعتماد الادمغة الالكترونية لاستخلاص العبر من التاريخ؟ لست أرى ذلك لأن التاريخ سوف يضلل هذه الادمغة. فهي قد تصل الى النتائج الصحيحة، لكن أمراً طفيفاً قد يحدث كأن يعطس أحد الناس فيترك ذلك أثراً في التاريخ ويعطيه منحى آخر.

منذ عهد بعيد، في أثناء الحرب الاهلية الاسبانية، حين كانت الحقائق الخالدة تظهر واضحة، كنت أظن ان في الامكان استخلاص دروس من التاريخ لا تكون عرضة للخطأ. فقد بدا جلياً انه اذا انتصرت الفاشية في ظل فرنكو، فسوف تغدو اسبانيا قاعدة لهتلر وموسوليني وتنشب الحرب في أوروبا ويصبح البحر المتوسط بحيرة ايطالية وتفقد بريطانيا جبل طارق فتنفصل بذلك عن امبراطوريتها في شرق السويس. لقد كان الخطر واضحاً ومنطق الاشياء لا يرد وفي وسع كل شخص واع ان يدركه. وفي اثر تخرجي في الجامعة ألفت كتاباً صغيراً حول هذا الموضوع لجأت فيه الى المقارنات التاريخية.

ضلال ماركس - أظهر الكتاب كيف اعترضت بريطانيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سبيل كل دولة أوروبية حاولت فرض سيطرتها على اسبانيا. فمصاهرة الاسبان والوسائل السياسية المعتمدة في كاسلريغ وكانينغ وبالمرستون كان لها جميعاً هدف واحد هو منع القوة الاوروبية الكبرى من السيطرة على اسبانيا.

وظننت ان بحثي ذو منطق بارع ومعبر لا يمكن رده، الى ان اثبت التاريخ خطأه. فقد انتصر فرنكو بمساعدة هتلر وموسوليني واندلعت الحرب في اوروبا، لكن اسبانيا بقيت على الحياد. كذلك لم يسقط جبل طارق ولم تقفل مداخل البحر المتوسط. ولئن صح ما ذكرته عن خطر الفاشية العام، والذي يشاطرني الرأي فيه كل أعداء الفاشية "غير المجربين"، فاني أخطأت في حكمي على احدى نتائجها المحددة. وجل ما في الامر ان اعتمادي الدقيق عبر التاريخ أظهر أني على خطأ لأن التاريخ لم يحسن التصرف.

لقد أثبت مثلا بيرل هاربور واسبانيا أمرين: الاول ان الانسان لا يجيد الافادة من عبر التاريخ لأن احكامه السابقةتحول دونه واستخلاص النتائج الحاصلة، والثاني هو أن التاريخ سوف ينفرد باتخاذ وجهة مخالفة لتوقعاتنا.

اما في ما يتعلق بالنظم الفكرية فقد برهن لنا التاريخ ان كارل ماركس كان على خطأ كبير. والحق ان ثقة ماركس بمنطلقاته الفكرية وقناعته بالنتائج الضرورية المترتبة عليها لم يسبق لهما مثيل، ولم يبدُ تفسيره للتاريخ في حاجة الى أي برهان. وفي معرض تحليله للثورة الصناعية عرض ماركس أحجية القرن التاسع عشر العسيرة القائلة بأن المزيد من التقدم المادي يولد مزيداً من الفقر. من هنا وضع مبدأ الافقار المتصاعد والانهيار وذهب الى ان الثورة سوف تقوم أولا في أكثر البلدان الصناعية تقدماً لأن وعي الطبقة العاملة يزيد مع زيادة التصنيع.

كان تحليل ماركس ملزماً الى حد بدا معه من المستحيل ان يتبع التاريخ أي مسار آخر. وقد لقيت مسلماته قبولا عظيماً لدى أتباعه الخاصين ولدى الاجيال التي تلته. وربما كانت الماركسية من حيث هي تعبير عن الحقيقة التاريخية أكثر العقائد اقناعاً على الاطلاق. وقد كان أثرها عظيماً وغير محدود ومستمراً. وكانت الوقائع التي اعتمدها مؤسس الماركسية صحيحة وكان تفكيره منطقياً وعميقاً، فأصاب هذا المفكر في كل شيء وأخطأ في استنتاجاته. فتطور الاحداث لم يأت على النحو الذي رسمه اذ ان الطبقة العاملة تحسنت أحوالها المعيشية ولم تتداع الرأسمالية.وقامت الثورة فيالبلد الاقل تصنيعاً لا في البلد الاكثر تصنيعاً.وفي ظل القيادة الجماعية لم تضمحل الدولة بل اتسعتسلطتها ووظيفتها وأمسكت بزمام المجتمع. ومضى التاريخ في طريقه متجاهلا ماركس.

هل انتهت اوروبا؟ — حين تبين ان ماركس كان على خطأ أسرع الذين يبحثون عن الحتمية الى اخضاع التاريخ لمرجع جديد هو فرويد. لقد بتنا الآن خاضعين لسلطته وبات العقل اللاواعي ملكاً، أو على الأقل هكذا كانت الحال اذ ارتفعت الآن أصوات تزعم أن العقل اللاواعي هو كذبة. الا أنني أرى أن فرويد يبقى من خلال

أثره في النظرة الحديثة الى الامور أعظم عامل تغيير بين القرنين التاسع عشر والعشرين. ففهمنا للحوافز الانسانية اتخذ بعداً جديداً شاملا منذ رسوخ أفكاره في أذهاننا. ومع ذلك فلا أظن أن الدوافع الجنسية والنفسية اللاواعية يمكن التعويل عليها في جميع الظروف كما يقول الفرويديون الذين باتوا يضاهون الماركسيين من حيث التزامهم مذهبهم الفكري. فهم يستطيعون تزويد المؤرخين ببصيرة نفاذة، لكن هذه البصيرة تبقى قاصرة في الدلالة على المستقبل اذ لا يسعنا الارتكاز عليها كي نتصرف وفاقاً لأنماط معينة.

بعد فرويد برز فترة قصيرة أوزوالد شبنغلر الذي تنبأ بأفول الغرب. ومنذ ظهور هذا الرأي أخذ الناس يرجعون اليه بين حين وآخر، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية ونهاية الاستعمار. وقد ازداد الرجوع الى نبوءة شبنغلر بعد نهضة الصين وقيام سلسلة من الحركات الاستقلالية في آسيا وافريقيا. وذهب العارفون الى ان اوروبا قد انتهت.

جعل الناس يدفنون أوروبا لفترة غير قصيرة، ورأى المفكرون السياسيون في الثلاثينات ان المستقبل هو للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين. وفي رأيي ان هذا التوزيع لم يجد ما يسوغه. ولا أظن ان في وسعنا فصل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي عن أوروبا، بل ان هاتين الدولتين هما امتداد لها. والحق اني لا استطيع ان أقطع بهذا الرأي بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي، لكنني على يقين مما أقول في ما يتعلق بالولايات المتحدة. فالثقافة الامريكية تنبع من اوروبا والثروات الامريكية لا تنفصل عن ثروات اوروبا. وانطباعي هو ان حيوية اوروبا تتجدد باستمرار وهي تشكل معيناً من الافكار لا ينضب.

ان الانشطار النووي مثلا هو مظهر للتقدم حديث وربما كان غير مرغوب فيه. وهو نتيجة أعمال الاوروبيين ماكس بلانك وبيار وماري كوري وأينشتين وروذرفورد وفرمي ونيلز بور وسزيلارد. وفي زمن سابق صنع داروين وماركس وفرويد الفكر الحديث وكانوا جميعاً اوروبيين. وليس لي علم بأي فكرة جديدة أتت من آسيا أو أفريقيا وتركت أثراً بارزاً في العالم الحديث باستثناء مفهوم غاندي للعصيان المدني.

لقد ظل الغرب مسيطراً في افكاره وسلطته الزمنية مدة طويلة جداً. وهذه الظاهرة لا تزال قائمة في نظري. ويبدو ان وجود الغرب في مركز القيادة ينمو بدلا من ان يتقلص، لأن ما يسمى انطلاقة شعوب آسيا وأفريقيا يحدث وفاقاً لمفهوم غربي ويقاس بنسبة ملاءمته المعايير الغربية السياسية والصناعية وسواها. وفي رأيي ان من المحزن ان تفقد هذه الشعوب حضاراتها، لكنني اظن ان هذا أمر لا مفر منه.

طائفة من المتغيرات ـ نلاحظ ان بعض النظريات الخاصة بالتاريخ تروج فترة ثم ما تلبث ان تخبو لتحل محلها نظريات أخرى. لكن ذلك لم

يثن المؤرخين عن المضي في نهجهم. والواقع ان كتابة التاريخ تستدعي وجود "فكرة رئيسية منظمة" على حد تعبير أحد المؤرخين المحدثين.

اني اتصور "الفكرة الرئيسية المنظمة" أشبه بحصر ذات سلاسل حديد يجرها "تراكتور" بهدف تمهيد حقل محروث. واني لأرى الاستاذ يصعد الى مقعده ثم يبتعد وهو يجر فكرته الرئيسية المنظمة فوق نتوءات التاريخ وأخاديده حتى يحولها نظاماً جميلا ونظيفاً ومصقولا.

ان الانسان (أنت أو أنا أو نابوليون) لا يمكن اعتماده كما لو كان عاملا علمياً. فكل انسان هو مجموعة متغيرات تستند الى الشخصية والظرف واللحظة التاريخية بحيث يغدو استخراج نسخة مطابقة لها أمراً مستحيلا. فغموض شخصية الرجل يرجع الى ولادته وأبويه وأقربائه ومدرسته ووضعه الاقتصادي والاجتماعي وعمله الاول وصديقته الاولى والى المتغيرات الكامنة في هذه العوامل جميعاً. وتندمج هذه المتغيرات في متغيرات أخرى هي البلد والمناخ والزمن والظرف التاريخي. فهل يعقل ان تجتمع ثانية هذه العناصر كلها بنسب دقيقة محددة لتولد أمثال هتلر وديغول أو لي هارفي أوزوالد؟

وطالما بقي الانسان المتغير المجهول - وليس هناك ما يشير الى امكان تبدل هذه الحقيقة في المدى المنظور - فاني لا أرى كيف تمكن الافادة من برمجة أفعاله واخضاعها لقوانين الارقام. ولا شك في ان المتحمسين للمعرفة الالكترونية سوف يمضون في تنقيبهم عن ماضي الانسان ليجمعوا آلافاً من المعطيات الجزئية ويزودوا بها دماغهم الالكتروني الذي يئز ويطن ويضيء ويقدم اليهم نتاجه. ولكن هل يمكن التعويل على هذه المعطيات؟ أنا أراهن ان التاريخ لن يلتفت الى هذه المعطيات أكثر مما التفت الى كارل ماركس، وليس هناك غنى عن المؤرخين. ان للعلوم الالكترونية منافع واضحة، لكني على ثقة تامة انها لن تحول المؤرخين ضاغطي أزرار أو تضع التاريخ في قالب لا يتغير.

■ بربارة توشمان

المدير والموظف

سأل مدير شركة أحد المرشحين لوظيفة: "هل تفضل نوعاً معيناً من العمل؟"

- أجل، أريد أن أكون في مجلس الادارة.

"أأنت مجنون؟"

- ماذا؟ أتعني أن هذا من شروط المنصب المذكور؟

ن.ك.

في حداثتك تكيف شعرك حسب الطراز الشائع. أما عندما تكبر وتشيخ، فإنك تكيف الطراز ليلائم الشعر الباقي في رأسك.

ك.ر.

هذه الاقلية من الزوجات التي تدعي السعادة الجنسية، هل هي نخبة متميزة بالذكاء والفطرة؟ الجواب: كلا • وعضوية هذا النادي مفتوحة لكل من يهمها الامر

نادي السَعادة الزوجيَّة



ربما كان أهم أثر للثورة الجنسية في أيامنا هذه إغناء الجنس داخل الزواج• فها هن الزوجات ينفضن عنهن الشعور بالذنب الذي كان له اثر سلبي في علاقتهن الجنسية مع ازواجهن، ويحوّلن العنصر الجنسي جزءاً رئيسياً من حياتهن الزوجية•
ولقد اقتنعنا بالحقيقة المذكورة بعد مراجعتنا الاجوبة التي أعطتها ٨٣ ألف زوجة عن استطلاع من ١٠٣ بنود أرسلناه اليهن عام ١٩٨٢•
ومنذ ذلك الحين عدنا مراراً الى معطيات الاستطلاع ومحصنا أجوبة ١٢ في المئة من النساء، وهي نسبة اللواتي وصفن أنفسهن كشريكات "ممتازات" وقلن ان زيجاتهن "مُرضية جداً من الناحية الجنسية•"
واستطعنا اكتشاف أربعة عناصر ذات علاقة بالاشباع الجنسي والسعادة العامة في هذه الزيجات الناجحة:

الجنس في عداد الاولويات •
معظم الزوجات المكتفيات ينظرن الى الجنس في حياتهن كمتعة، لا كواجب• ومهما بلغ انشغالهن، فهن لا يعدمن وقتاً للغرام• وأكثر من نصف نساء تلك المجموعة يأوين الى النوم

مع أزواجهن، ويكفي أن يصدر الزوج أقل إشارة على ذهابه الى السرير لكي تطفىء الزوجة جهاز التلفزيون أو تضع ما تقرأه جانباً، وتقول إحداهن: "لقد عشنا معاً ما يكفي لكي أقرأ ذلك في عينيه، وأحياناً أود أن أقول: "ليس الليلة يا حبيبي،" لكني لا أقول شيئاً، وأشعر بالسعادة لأن الجنس جميل على الدوام،".

إلا أن وقت النوم ليس الوقت الوحيد الذي تمارس الزوجات المكتفيات الجنس، والعديد منهن يمارسنه كلما دفعتهن الرغبة إليه، ومهما بلغ من عفوية المرأة، فهي أحياناً تصمم على مطارحة زوجها الغرام ساعة الغداء أو في نهاية الاسبوع بعيداً عن أولادهما، وتقول إحدى اولئك النسوة: "بدت فكرة تصميم مواعيد الجماع مفتعلة أول الامر، لكنها، في الواقع، لا تختلف عن المواعيد التي يضربها العشاق في ما بينهم، وهي رومنطيقية جداً،"

والكثيرات من هؤلاء الزوجات يتعمدن الاثارة، كأن يمارسن الجنس في غرفة ذات أنوار باهتة وموسيقى خافتة، ومعظمهن يرتدين ملابس مغرية ويتعطرن ويتبرجن قليلا، وقد كتبت إحدى الزوجات في الاستطلاع المذكور: "تزداد ثقتي بنفسي إذا عرفت أني أبدو كأجمل ما يكون،"

إظهار الرغبة،

العنصر الرئيسي الثاني من عناصر العلاقة الجنسية الناجحة هو التأكد من أن الشريك يدرك وجود الرغبة، والزوجات الخبيرات يعرفن أن أقوى منشط جنسي للزوج هو إظهار حبهن له ورغبتهن فيه، وقد جاء في جواب إحداهن: "يقول أحدنا للآخر "أحبك" مرة في اليوم على الاقل، ولا يتورع واحدنا عن تقبيل الآخر ومعانقته حتى أمام مرأى أولادنا،"

وقالت زوجة في الخامسة والعشرين: "الجنس جزء مهم من علاقتنا، وأهم ما فيه مقدماته، إذ نتحادث حول أحلامنا وهواجسنا ونتلامس بحنان، وهذا يصدّ متاعب الحياة اليومية وضغوطها،"

قوّة التركيز،

لدى ممارستهن الجنس تطرد هؤلاء الزوجات كل تفكير آخر، كأن الواحدة منهن تقول: "سيكون لكل شيء وقته، أما هنا والآن، مع هذا الرجل الذي أ'حب، فلن أدع أي شيء يعترض لذتنا،" ومعظم الزوجات المكتفيات جنسياً يقلن انهن لا يفكرن في أي شيء آخر وقت الغرام، وهذا يفسر حدوث الرعشة الجنسية الكبرى لديهن،

تقدير الذات،

إن ممارسة الجنس تعني أن يكشف الواحد ذاته للآخر، وإظهار الذات يفترض الثقة بها وتقديرها، من هنا ليس غريباً أن تعزو النساء المكتفيات جنسياً هذا الاكتفاء الى ثقتهن بأنفسهن،

ومن عوامل تقدير الذات عمل المرأة خارج المنزل والكبرياء التي تستمدها من إنجازها المهني، ولكن سواء أكن موظفات أم لا، فالزوجات السعيدات جنسياً يأخذن سنداً قوياً من حياتهن الزوجية، والازواج الذين يسمعون

عبارات الحب يبادلون زوجاتهم عبارات مماثلة ويجدونهن جميلات ومغريات. وهذا النوع من التقدير يعزز ثقة المرأة بنفسها ويحثها على إظهار رغباتها الجنسية أمام زوجها.

ولكن هل يمكن تعلم هذه الاسرار؟ الجواب: "نعم"، حتى من قبل الزوجات اللواتي لا يعرفن الاكتفاء في علاقاتهن الحالية. والاقلية السعيدة التي عرضنا بعض مواقفها تعرض علينا الامثولة الآتية في تحسين العلاقات.

خصصي وقتاً للحب.

إذا شئت ممارسة الجنس أكثر مما تفعلين، فاستعيضي به عن بعض النشاطات التي تملأين بها وقتك. وإذا كانت مبادرتك الشخصية ضعيفة لبدء الغرام، فحاولي تقويتها. وإذ ذاك سيدهشك تعدّد الازمنة والامكنة التي تفسح لك مجالا للعلاقة مع زوجك.

قولي: "أُحبك."

العديد من الازواج يكف عن قول هذه العبارة لأنه يدرك أنه يحب الآخر كما الآخر يحبه. لكن هذا الاهمال خطأ. وإذا حدث لك، فبادري الى استعادة هذه العبارة السحرية الضائعة: "أُحبك." بعدئذ ستكون القبل أكثر حرارة.

انسي همومك.

ضعي نصب عينيك هذه القاعدة: عندما يقفل باب المخدع تبقى الهموم خارجاً. ويمكن أن يكون الجنس بينكما استراحة من الهموم وظرفاً لتأكيد الحبّ وفرح واحدكما بالآخر. والمرّة التالية التي تمارسان الغرام احرصا على أن يواجه أحدكما الآخر بالروح كما بالجسد.

أحبي نفسك.

بادري، أولا، الى امتحان أفكارك حول ذاتك. وكوني صادقة وأنت تحاولين الاجابة عن الآتي: هل تحبين جسدك؟ هل تحبين مظهرك ككل؟ وإذا كان الجواب سلبياً، فهل يمكنك تحسين الوضع أو قبول نفسك كما أنت؟ وبعد ذلك قومي شعورك حيال ما تفعلينه يومياً. واسألي عما إذا كان ثمة عادات تريدين الاقلاع عنها وأهداف تودّين بلوغها. ولكن احرصي على ألا تضعي لنفسك غايات ومقاييس مستحيلة. وكوني فخورة بأقل تحسين يمكنك إدخاله على حياتك.

وأخيراً، تذكري أن الزوجات المكتفيات جنسياً لسن أقوى ذكاء أو أكبر موهبة من سواهن. إنهن نساء تعلمن أن يحببن ذواتهن وأن يستخدمن معطياتهن الجنسية.

■ **إلن فرانك وسوندرا إينوس**

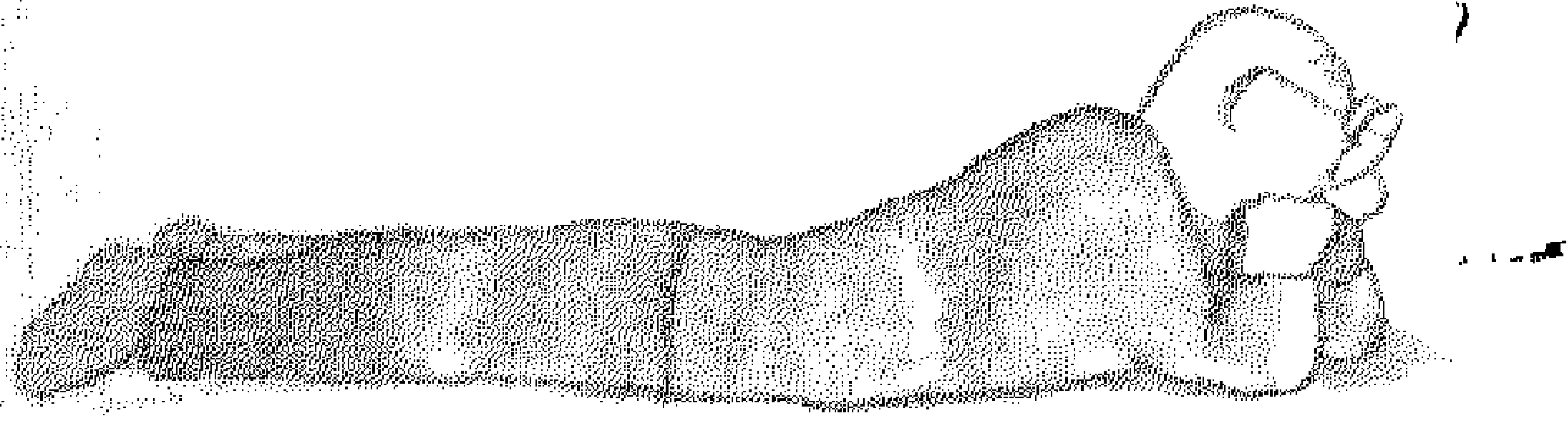


ابن البلد

قالت سائحة وهي تغادر مسرح شكسبير الملكي في بلدته ستراتفورد ـ اون ـ آفون:
"لقد كانت مسرحية ممتازة حقاً! أليس كذلك؟ ويُقال إن شخصاً محلياً كتبها."

ب.و.

تأملات معاصرة



الصداقة

اذا كان لك صديق واحد متوحد، جربته العزلة ومنحته الحكمة والصدق، فأنت من اغنياء العقل والروح. وصديقك هذا كنز لك لا يفقد قيمته بل يزيدك غنى مع الايام. واذا كانت لك صداقة كهذه فلا تطلب منها ما ليس لها، بل امنحها ولاءك كله فتكون لك ذخراً يدوم.

جورج ادامز

الصمت

اذا كان الصمت مقصوداً، فهو أمر مصطنع ومزعج. أما اذا جاء من تلقائه، فهو يولد الالفة بعيداً عن الوحشة والملل.

ستيفن لبكوك، اقتصادي كندي

قلادة الصيف

الصيف قلادة صنعت بعبير مئات الأشياء العادية. ففيها العنبُ البري والخرنوب الأسود والتفاح والسفرجل والخوخ والتوت. وفيها كذلك الفل والزنبق والياسمين ونعنع الماء والقصعين وأفواج البراعم الصغيرة التي تأتيك اخبارها وأنت لا تبصرها.

هذا كله رائع. الا ان أروع ما يزين قلادة الصيف هو رائحة التراب لدى سقوط قطرات المطر الاولى فوق حره اللاهب. واذا كان لسلام النفس من شذى، فانه شميم هذا التراب المبلّل بالمطر.

ر.ب.

عظمة الشعب

ليس هناك بلاد صغيرة. فعظمة الشعب لا يقررها عدده، تماماً كما ان عظمة الانسان ليست وقفاً على طول قامته.

فيكتور هيغو، شاعر وكاتب فرنسي

بزرة البطيخ

بعد تأملي في الطاقة التي تنطوي عليها بزرة بطيخ، وجدت أن في إمكانها أن تستخرج من ذاتها ومن الارض ما يتجاوز وزنها مئتي ألف مرة. وإذا قلت لي كيف تفعل هذا، أو كيف تلون غلافها الخارجي على نحو يعجز الفن عن محاكاته، وكيف تلون ضمنه تلك الطبقة البيضاء التي تغلف قلبها الاحمر المحشو بزورا سوداء، تنطوي كل منها على طاقة استخراج ما يتجاوز وزنها مئتي ألف مرة، فكأنك تسألني عندئذ أن احدد قدرة الله تعالى.

وليم بريان، محام وسياسي امريكي

أمراض العصر

أ ـ الأمراض النفسية ـ الجسدانية ليست من نسج الخيال

اظهرت الابحاث العلمية الحديثة
ان لانفعالاتنا تأثيراً قوياً في صحتنا



ظللت لفترة مديدة من حياتي اعاني اجهاداً مؤلماً ينتاب عيني ولا اعرف له سبباً. وأزعج ما فيه انه لم يكن يعتريني الا حين اكون في امس الحاجة الى عيني، اي خلال فترة الامتحانات في الكلية مثلا. وحين صارحني احد اطباء العيون بان هذا الاجهاد ربما كان ناجماً عن حال نفسية ـ جسدية، استشطت غضباً. حسبت ان هذا التعبير يعني وسواساً او عصاباً، وظننت الطبيب يقصد اني اتوهم ما اعاني او اني اجلبه على نفسي لغاية ما.

بعد ذلك، وبفضل تقنية بيولوجية تقيس مقدار التوتر في عضلات الوجه، اكتشفت اني حين يساورني القلق ينقبض فكاي مدة طويلة حتى تتوتر العضلات المحيطة بعيني، وربما كان هذا يحد من جريان الدم

اليهما. وبعدما تعلمت كيف ارخي عضلات وجهي زال اثر الاجهاد في عيني.

اذاً، كنت حقاً مصاباً بمرض نفسي - جسدي، اي بحال جسدية حقيقية ناتجة من رد فعل الجسد على الارهاق.

يقول الدكتور وليم ويب امين سر اكاديمية الطب النفسي - الجسدي: "ان فكرة تأثير الاحوال الفكرية والعلاقات بين الناس والخصائص الشخصية وانماط العيش في احوال الجسد ليست جديدة. ولكن قبل فترة وجيزة فقط لفتت هذه الظاهرة الاطباء في المجالين العلمي والتقني."

لكي تفهم كيف يؤثر الارهاق في الصحة، خذ في الاعتبار رد فعل جسدك على الانذار والطريقة التي يستعد بها للتصدي او الفرار في حال الخطر الداهم: يتدفق افراز الادرينالين (★) في مجرى الدم، وهذا يجعل القلب ينبض بشدة. ويوقف الجسد جميع عملياته غير الجوهرية، كالهضم مثلا، ليحول الدم الى العضلات والدماغ. ويصبح التنفس ضحلا وتتوتر العضلات كلها خصوصاً في الظهر والعنق والكتفين. ويدفع الطحال كريات الدم الحمراء الى مجرى الدم ليزيد امداد الانسجة بالاوكسيجين. وتطلق الكبد ما تختزنه من فيتامينات ومغذيات في شكل مادة سكرية (سوكروز).

من المدهش ان هذه الاستعدادات الشاملة تظهر كاستجابة لاستثارة ضئيلة، مثل امتحان في الكلية او شجار بين حبيبين او انتقاد من الرئيس. وحين تزخر الحياة بمثل هذه الارهاقات، فان التعبئة المتواصلة لطاقات الجسم تسبب له انهاكاً.

مع ذلك يبدو ان بعض اعضاء الجسم اكثر تعرضاً للتأثيرات الانفعالية من سواها. وثمة ادلة توحي بان الانفعالات تمثل دوراً مهماً في جميع الامراض على الاطلاق.

ويجرى حالياً بحث في علاقة الانفعالات بمرض القلب يتولاه جايمس لنش استاذ علم النفس والمدير المشارك للعيادات النفسية - الفيسيولوجية في كلية الطب في جامعة ماريلاند في كوليدج بارك. وقد اثبت الاستاذ لينش بالادلة الدامغة في كتابه "القلب الكسير" ان العلاقات السعيدة بين الزوجين ومع الاصدقاء والاقارب لا تفيد الصحة العقلية فحسب، بل ربما تقي المرء من امراض القلب والدورة الدموية.

من جهة اخرى اكتشف فريق لنش اخيراً، من طريق استخدام تقنية الدماغ الالكتروني، ان ضغط الدم يرتفع بنسبة ملموسة في اللحظة التي يبدأ المرء الكلام. وكلما كان ضغط الدم مرتفعاً في اثناء الراحة ازداد اتجاهه الى الارتفاع عند الكلام. وتدل الملاحظات المخبرية انك اذا كنت تتحدث مع غرباء او تخوض نقاشاً حاداً او تتعرض للانتقاد، فثمة احتمال ان يرتفع ضغط دمك بنسبة تراوح بين ٤٠ و٥٠ في المئة فوق مستواه اثناء الراحة. وهذا ما حدا

(★) هرمون تفرزه الغدة الكظرية.

الاستاذ لنش وزملاءه على استنتاج مدهش هو ان لارتفاع ضغط الدم علاقة بمشاكل الاتصال بين الناس.

واظهرت الدراسات المبنية على اختبارات اجريت على ٤٩٠٠ رجل، بين اسوجي واميركي، ان "الارهاق النفسي العالي" الناجم عن ضغوط العمل هو احد العوامل في حدوث امراض القلب والشرايين. فالرؤساء لا يصابون بهذه الامراض في العادة، بل المرؤوسون. وتعم امراض القلب على نحو اوسع بين العمال الذين تجمع مهماتهم بين متطلبات مرهقة وقدرة محدودة على التأثير في طريقة انجاز تلك المهمات.

اما الناحية الاخرى التي طالما اثارت اهتمام العاملين في الابحاث النفسية - الجسدية فهي الاضطرابات الهضمية. ذلك لأن الجهاز المعدي والامعائي يتأثر مباشرة بتقلب الانفعالات اكثر من اي جزء آخر من الجسم. فمرض تنخر العظام، مثلاً، الذي يجعل العظام رقيقة وهشة، بدا انه ناجم عن نقص مزمن في الكلسيوم. ومن المعتقد الآن ان المريض، وان تناول الادوية المكملة، لا يمتص جسمه الكلسيوم اذا ظلت المشاكل الانفعالية تسبب اضطرابات متواصلة في الجهاز الهضمي الحساس. ووجد الباحثون كذلك ان الارهاق المستمر يسبب تدفق حامض الهايدروكلوريك الى المعدة اكثر مما ينبغي.

كان يظن من قبل ان بعض الامراض، كالزكام، تنتقل مباشرة بالعدوى الجرثومية. والآن نعرف اننا نصاب بالزكام حين يضعف جهاز المناعة لدينا. وتظهر الدراسات ان للارهاق تأثيراً قوياً في اضعاف جهاز المناعة.

واصبح هناك قبول واسع للنظرية القائلة ان للارهاق، اذا لم يعالج على نحو صحيح، دوراً في تقرير من يصاب بالسرطان من الناس. وفي دراسة اجريت على حالات عدة لتوأمين متشابهين اصيب احدهما بسرطان في شيخوخته بينما لم يصب الآخر، وجد الدكتور وليم غرين، استاذ الطب وعلم النفس في المركز الطبي في جامعة روشستر (نيويورك)، ان التوأم الذي يصاب بالسرطان يكون عانى قبل فترة وجيزة اضطرابات عاطفية بينما كانت حياة التوأم الآخر هادئة.

خلاصة القول ان الجسد والفكر متمازجان كتمازج صفار البيضة المخفوقة بزلالها. ولكن لحسن الحظ ثمة اساليب تؤمن سلامتنا جميعاً في فترة الارهاق. وندرج هنا اهمها:

● **اختبر مشاعرك.** تساءل الدكتور بيتر ناب استاذ علم النفس ورئيس الخدمات النفسية - الجسدية في كلية الطب في جامعة بوسطن: لماذا يقوى بعض الناس على تحمل أزمة ما، كفقد شخص عزيز، ويبقون في صحة جيدة بينما يعتل آخرون؟" وكان جوابه: "اعتقد ان الذين يحتفظون بصحتهم جيدة يمارسون حزنهم ايجاباً. انهم يفكرون في المصاب الذي ألم بهم ثم يكابدون آلامه ليتغلبوا عليه. اذا قمعت مشاعر

الحزن، فان جسدك ينتحب نيابة عنك ويعتل."

● **افصح عن احاسيسك المؤلمة.** اذا اغتظت من شقيقك لانه لم يساعدك في العناية بأمكما المريضة، حاول ان تعالج الموقف بعقل منفتح بدلا من ان تنطوي على نفسك في صمت متجهم او ان تتصدى له في سورة من الغضب. اظهر استعدادك لحل المشكلة. ان تفادي خلاف لا داعي له في البيت امر مهم: ففي احدى الدراسات التي اجريت على مرضى القلب في احد اجنحة الطوارىء تبين ان ٧٦ في المئة منهم اصيبوا بنوبات قلبية في اعقاب ازمات عائلية خطيرة حدثت قبل وقت وجيز.

● **تجنب ادخال تبديلات كثيرة على احوالك دفعة واحدة.** ينشأ الارهاق نتيجة تبديل يقتضي التأقلم مع اوضاع جديدة او عسيرة، مثل تبدل اسلوب الحياة بعد وفاة قرين او تحمل مسؤولية رعاية طفل او مواجهة مصاعب مالية، او حتى بعد احداث سارة مثل ربح جائزة يانصيب. يكون التبديل مرهقاً اذا كان كبيراً وفجائياً.

● **تعلم كيف تهوّن الامور.** في حال الاسترخاء الحقيقي يتباطأ نبض القلب ويصبح التنفس ضحلا ويشعر المرء بالدفء يدب في يديه وقدميه. كما يحس ان تفكيره هادىء ومستقر وان جسده كله يمتلىء بالانتعاش.

الاساليب الفعالة للاسترخاء هي التنفس العميق والتمطي والتأمل والتوعية البيولوجية (وهذه تتطلب بضع جلسات من التدريب المحترف).

● **الجأ الى اصدقائك.** ان الروابط الاجتماعية غير الكفية تقارن بالنواقص الغذائية. وبعض الاطباء النفسانيين يعتقدون ان الشخص الذي تتوافر له التغذية الصحيحة هو اقل تعرّضاً للمرض، كذلك الشخص الذي تتوافر له حياة اجتماعية مكتملة يكون اقوى على مقاومة العلل.

● **مارس الرياضة المناسبة.** اتضح ان التمارين - حتى المعتدل منها - تنتج مستويات اعلى من الاندورفينات، وهي افرازات شبيهة بالمورفين يكوّنها الجسم نفسه. ومن طريق التمرين المستمر يبدو اننا نقوّي جهاز انتاج الاندورفينات. وقد عمد الدكتور لي بيرك من المركز الطبي في جامعة لوما ليندا في كاليفورنيا الى قياس مستويات الاندورفين في اجسام الرياضيين واجسام الذين لا يمارسون الرياضة، فوجد ان اجساد الذين يمارسون الرياضة بانتظام تنتج مقادير أوفر من الاندورفين اثناء المواقف المرهقة، وتنتجها على نحو اسرع، مما يدل على ان هؤلاء قادرون على مواجهة المتاعب اليومية على نحو افضل من الخاملين.

● **احزم امرك على ان تعيش.** حين اجرى الدكتور ڤيكتور فرانكل دراسات

على الناجين من معسكرات الاعتقال النازية، ليكشف سبب بقاء هؤلاء على قيد الحياة بينما قضى الآخرون، وجد ان الفرق يكمن في ان هؤلاء الناجين كانت لديهم اسباب قوية تحدوهم على الرغبة في العيش. وقد يكون اهم ما في تحاشي امراض الارهاق ان يكون للمرء سبب كاف يرغبه في البقاء متمتعاً بصحة جيدة.

■ كاثرين هوك

ثمة وباء يكتسح البلدان الصناعية، وهو ليس السرطان عينه، بل الخوف من السرطان

٣- سرطان الوهم يتحول وباء



كلنا نخاف السرطان. وهذا الخوف بلغ الآن حداً جعله وباء. والوباء ليس السرطان عينه، فليس ثمة وباء سرطاني. وباستثناء سرطان الرئة الذي ينجم غالباً عن تدخين السجائر، فان معدلات الاصابة السرطان والوفاة به اخذت تستقر، وفي بعض الانواع اخذت تتضاءل فعلا.

لكن الخوف من السرطان اخذ ينتشر ليتحول وباء. وبلغ الامر ان الارض نفسها اصبحت تبدو كأنها عامل ضخم يسبب الاصابة بالسرطان. والقول المألوف، الذي قد يكون او لا يكون علمياً، ان بين ٨٠ و٩٠ في المئة من السرطانات تنشأ عن اشياء في البيئة، اصبح يعني ان ليس بين الناس من هو في مأمن حتى يتم "تطهير" البيئة برمتها. لكن الامر ليس كذلك ابداً.

ان تحديد نسبة الـ٨٠ في المئة يرتكز على الفوارق التي لا تعليل لها في حدوث السرطان بين مختلف المجتمعات في انحاء العالم، كالمعدلات العالية لسرطان الكبد في افريقيا والشرق الاقصى وسرطان المعدة في اليابان وسرطان الثدي في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية، في مقابل المعدلات المنخفضة نسبياً لسرطان الثدي في اليابان وبعض انحاء افريقيا وسرطان الكبد في الولايات المتحدة. وتشير هذه المعلومات الى احتمال وجود تأثيرات بيئية وخاصة تتوقف الى مدى بعيد على نمط الحياة الشخصية وتقرر حدوث مختلف انواع السرطانات في المجتمعات المتباينة. لكن هذا هو كل ما تشير اليه هذه المعلومات. اما حدوث السرطان عموماً فربما يكون هو نفسه في كل مكان من العالم.

والاحتمال الحقيقي للاصابة بالسرطان هو أقل كثيراً من الخطر الوهمي، ويجب ان يساور الناس حول هذه المسألة قلق اخف كثيراً مما يزخر به تفكير الرأي العام في هذه الايام.

وعلى رغم ارتفاع المجموع الاجمالي للاصابات، فان هذا يعود جزئياً الى ان عدداً كبيراً منا بات يعيش حياة اطول، وهكذا يبقى على قيد الحياة الى ان يبلغ السن التي تزداد فيها احتمالات الاصابة بهذا الداء الوبيل. ومع ذلك فان ٧٠ في المئة منا لن يصابوا بداء السرطان ابداً. اما الـ٣٠ في المئة السيئو الحظ فان ما يناهز نصفهم سينجون منه.

والى ذلك فثمة امل كبير في ان حظوظ النجاة من السرطان والوقاية من اخطاره سوف تشهد تحسناً عظيماً عاجلا ام آجلا، نتيجة للابحاث الجارية في هذه الايام والتي ستجرى في المستقبل.

■ لويس توماس

نائب من زمن نوح

وقف نائب في مجلس العموم البريطاني يلقي خطاباً عن صناعة السفن، بدأه بفلك نوح. واستسلم رئيس الوزراء للنوم فيما معاونه يدون الوقائع. وأفاق وسمع النائب نفسه يتحدث، فسأل: "أين صار صاحبنا؟"

ـ إنه يتكلم عن عهد الملكة اليزابيت الاولى.

"أرجوك، إذاً، أن توقظني بعد ٢٥٠ سنة."

صحيفة "سيلكتا"، المانيا

الملفات الخاصة

وجد مدير شركة أوراقاً كثيرة على طاولة أحد الموظفين، فطلب منه أن يحيلها على الملفات الخاصة. وفي اليوم التالي سرّه أن يبصر طاولة الموظف نظيفة كما يجب. لكنه فتح أحد الادراج ليرى فيه كومة من الاوراق كُتب فوقها: "ملف الاوراق التي تحتاج الى تصنيف."

ل. ت.

وردة السبت

بدا ان للفتاة التي نبذها حبيبها حبيباً خفياً... فمن تراه يكون؟



مساء كل سبت من ذلك الربيع المتباطىء كنت احمل وردة الى الآنسة كارولين ويلفورد، مساء كل سبت، اجل، وفي الثامنة بالتحديد، في الصحو والمطر على السواء.

كانت تلك الوردة، على الدوام، أفضل الورود في المحل. ولم أرفع نظري عن العجوز أولسن وهو يحوطها بالخنشار ويغلفها بعناية في ورقة خضراء شفافة. وما أن ينتهي حتى أحمل الوردة في غلافها وأطير بها على دراجتي الهوائية عبر الشوارع الهادئة نحو منزل الآنسة كارولين. وكنت في تلك الآونة، بعد المدرسة وأيام السبت، أعمل موزعاً في محل أولسن لبيع الازهار واتقاضى ثلاثة دولارات في الاسبوع. لكنه مبلغ لا يستهان به لمراهق في تلك الايام.

ومنذ البداية كان ثمة أمر غريب حول تلك الورود أو حول الظروف التي دعت الى ارسالها. وعندما سلمني السيد أولسن الوردة الاولى سألته عن البطاقة التي تحمل اسم المهدي.

لكنه رمقني بنظرة مفطورة على المحبة من تحت نظارتيه وقال: "ليس هناك أي بطاقة يا جيمس." وهو لم يناديني "جيمي" البتة. وأضاف: "هب ان الطرف الذي رغب في ارسال هذه الهدية شاء أن يُبقي هويته سراً. لذلك أنصحك بعدم البحث في هذا الامر."

وسرّني حصول الآنسة كارولين على الوردة، لأن الكلّ كان يرثي لحالها. وجميع سكان بلدتنا الصغيرة أدرك ان تلك الشابة لقيت أسوأ مصير، اذ وعدها أحدهم بالزواج ثم أعرض عنها.

وهي ظلت سنوات مخطوبة الى جفري بنيمان أحد أبرز شبان البلدة. وانتظرت كي ينهي دروسه في الطبّ. وما لبثت تنتظره وهو في مرحلة اختصاصه، حين وقع في غرام فتاة أصغر منها سناً وأجمل منظراً، وتزوجها.

عودة الروح - سقط ذلك النبأ كالفضيحة على سكان بلدتنا. وقالت امي ان جميع الرجال يتصفون بالعنف، وان جفري بنيمان يستوجب السقوط. لكنّ أبي عارضها بقوله ان حق كل رجل، لا بل واجبه، أن يتزوج أجمل فتاة تقبل به.

ولم يختلف اثنان على أن فتاة جفري بنيمان كانت جميلة. وكان اسمها كريستين مارلو، وهي نشأت في مدينة كبيرة. ولا شك في أنها واجهت خبرة أليمة في بلدتنا لأنّ النسوة أبغضنها وقلن في حقها كلاماً قاسياً.

أما كارولين المسكينة فوقع النبأ عليها كما الكارثة. وبقيت ستة أشهر حبيسة منزلها، وأوقفت نشاطها في قيادة فريق الفتيات الكشفي وانعزلت تماماً عن المجتمع. كما رفضت أن تعزف على ارغن الكنيسة كعادتها.

ولم تكن الآنسة كارولين متقدمة في السن أو غير وسيمة، لكنها عقدت العزم على ان تجعل من نفسها عانساً. وبدت مثل طيف في تلك الامسية وأنا أعطيها الوردة الاولى. وقالت وهي لا تبدي حراكاً: "أهلا يا جيمي." وحين مددت يدي بالوردة بدت عليها الدهشة وقالت: "أهذه لي؟"

وفي السبت التالي وجدتني أحمل وردة الى الآنسة كارولين في الوقت نفسه. ولما حانت المرة الثالثة وجدتها تفتح الباب بسرعة كمن يترقب شيئاً. واكتسب خداها بعض تورد هذه المرة، ولم يبقَ شعرها أشعث كما كان.

وفي اليوم الذي تلا زيارتي الرابعة ذهبت الآنسة كارولين الى الكنيسة وعزفت على الارغن. وشاهدت الوردة معلقة بقميصها. ورفعت رأسها عالياً طوال الوقت، الا أنها لم تلتفت البتة الى الصف الذي جلس فيه الدكتور بنيمان وعروسه الجميلة. وعلقت امي: "يا لها من فتاة شجاعة! يا لها من مخلوقة قوية الشخصية."

وظللتُ على عهدي أحمل وردة الى الآنسة كارولين اسبوعاً بعد اسبوع، فيما هي تستعيد حياتها الطبيعية.

السبت الاخير - حان السبت الذي زرت منزل الآنسة كارولين للمرة الاخيرة. وقدمت اليها الوردة وأنا

أقول: "انها المرة الاخيرة آتي اليك أيتها الآنسة كارولين. فنحن سننتقل الى مكان آخر بعد اسبوع. غير ان السيد أولسن أخبرني أنه لن ينقطع عن ارسال وردة اليك مساء كل سبت."

وقالت بعد تردد: "ادخل دقيقة يا جيمي."

وسارت بي نحو غرفة الجلوس الأنيقة. وتناولت عن رف الموقد نموذجاً لسفينة شراعية صنع باتقان وقالت: "انه نموذج لسفينة كان يملكها جدي. وفي ودي أن أعطيك اياه. لقد جلبت لي سعادة عظيمة يا جيمي، أنت وهذه الوردات."

وفضت الغلاف ولمست بتلات الوردة الناعمة وأضافت: "انها تقول كلاماً كثيراً، على صمتها. انها تروي لي حكاية أمسيات السبوت الماضيات، السبوت السعيدة. وهي تخبرني انه هو أيضاً يعاني الوحشة..." ولحست شفتيها كما لو تكلمت أكثر من اللازم وقالت: "حبذا لو ذهبت الآن يا جيمي."

وشددت على سفينتي الصغيرة وهرعت نحو الدراجة. وفي المحل فعلت أمراً لم أفكر فيه من قبل. فقد فتحت دفتر حسابات السيد أولسن لاعرف مصدر الورود. وتحت اسم "بنيمان" دون أولسن بخطه الرديء: "اثنتان وخمسون وردة فاخرة. ثمن الواحدة ٢٥ سنتاً. الثمن الاجمالي ١٣ دولاراً مدفوعة سلفاً."

وقلت لنفسي: "حسناً... لقد تأكد ظني."

وانقضت السنون. واذا بي أزور محل السيد أولسن فلا أرى شيئاً تبدل. ووجدت أولسن العجوز يجهز باقة من زهر الغاردينيا كما اعتاد ان يفعل.

وتحدثنا قليلا ثم سألته: "ما الذي حدث للآنسة كارولين؟ ألا تتذكرها؟ انها الآنسة التي كنت أحمل وردة اليها مساء كل سبت."

وهز أولسن رأسه وقال: "الآنسة كارولين؟ لقد تزوجت جورج هالسي الذي يملك صيدلية البلدة. انه رجل مهذب. وقد رزقا توأمين."

وارتأيت ان أطلع السيد اولسن على ذكائي، فقلت له: "أتظن أن السيدة بنيمان اكتشفت ان زوجها كان يرسل الورود الى حبيبته السابقة؟"

وتنهد السيد أولسن وقال: "انك لم تكن بارعاً يا جيمس كما تظن. فالدكتور جفري بنيمان لم يرسل تلك الورود ولا هو عرف من أرسلها."

وحدقت اليه قائلا: "ومن أرسلها؟"

أجاب السيد أولسن وهو يوضب باقة الغاردينيا بعناية فائقة: "لقد أرسلتها سيدةبحجة انها لمتحتمل رؤية الآنسة كارولين تجعل من نفسها شهيدة على حسابها... أجل، السيدة كريستين بنيمان ارسلت تلك الورود."

وأضاف وهو يطبق الغلاف حسناً: "هذه امرأة ذات شجاعة وقوة شخصية."

■ آرثر غوردون

"أتريد أن تعرف فلسفتي الشخصية؟"، قال رجل لسائله، "اني أستمتع بالحاضر، وأتحدى المستقبل، وأُعدل الماضي."

ب.ج.

تتبايـن اسعـار السيـارات
الاوروبية بين بلد وآخر، وقد وجد الوف
التجار المغامرين في ذلك فرصة لعقد صفقات
رابحة عبر الحدود

حَربُ السيَّارات الأوروبَّية



تصور هذا الموقف: تكتشف ان البضاعة المعروضة في المتاجر المحليـة متوافـرة بنصف الثمن في فرع تجاري قائم في الناحية الاخرى من المدينة. ولكن حين تقصد ذلك المنفذ الارخص يفاجئك المدير برفع اسعاره او يخترع اسباباً واهية لتأخير موعد التسليم او يرفض بكل بساطة ان يبيعك البضاعة.

لا ريب في انك ستستشيط غضباً. ومع ذلك فثمة ألوف من البريطانيين والفرنسيين والالمان والايطاليين وسواهم من مواطني بلدان الاسرة الاقتصادية الاوروبية يجدون انفسهم في مثل هذا الموقف تماماً، حين يحاولون الافادة من الفروق الهائلة في اسعار السيارات التي تباع ضمن السوق الاوروبية المشتركة.

في أوروبا تباع السيارات بأعلى الاسعار في بريطانيا وبأدنى الاسعار في الدانمارك. وفي العام ١٩٨٢ كان المواطن البريطاني يعبر بحر الشمال الى الدنمارك فيوفر نحو ٥٠ في المئة من ثمن سيارة "فورد" او "روفر" قبل حساب الضرائب. وعلى غرار ذلك، ما ان يعبر المواطن الفرنسي الحدود الى بلجيكا حتى يتقلص ثمن سيارة

"رينو" او "ستروين" بمقدار ١٠ في المئة. ويتسنى للمواطن الالماني الذي يركب القطار الى جنوب الدنمارك ان يشتري سيارة "ب. ام. ف." بثمن يقل بنسبة ١٥ في المئة عما يتوجب عليه دفعه في بلاده.

كيف يحدث ذلك وأحد الاهداف المعلنة للاسرة الاقتصادية الاوروبية هو تأمين الانتقال الحر للبضائع بين الدول الاعضاء؟

الجواب بسيط، وهو ان صانعي السيارات يتحكمون بالموزعين المجازين الذين يقدر عددهم بثمانين ألفاً والذين يبيعون ١٠ ملايين سيارة جديدة تنزل كل سنة الى طرق اوروبا الغربية. وهم يستغلون هذا التحكم لتحديد الاسعار تحقيقاً لأقصى مقدار ممكن من الربح في كل سوق وطنية.

ان البلدان الاربعة التي تملك صناعات سيارات هي بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا، وتبلغ اسعار السيارات فيها أعلى المستويات لأن المنتجين المحليين يتحكمون بالسوق التي تتدنى نسبة اختراق الصناعة اليابانية فيها الى ما دون ١٠ في المئة بسبب نظام حصص الاستيراد (الكوتا) والاتفاقيات الخاصة. وفي الطرف الآخر لسلم الاسعار تقف بلدان "البنيلوكس" (الاسم المشتق من الحروف الاولى لأسماء بلجيكا ونيدرلاند (هولندا) واللوكسمبور والدنمارك، حيث يتنافس كل صانعي السيارات ضمن شروط منصفة وحيث تشمل الحصة اليابانية ٢٥ في المئة من السوق مما يدفع الاسعار نحو الهبوط. ويقول كلاوس ستوفر من هيئة ادارة السياسة التنافسية في الاسرة الاقتصادية الاوروبية: "ان لصناعة السيارات الاوروبية نظام توزيع تقييدياً الى اقصى الحدود."

الربح والخسارة – اخذ المستهلكون يتسوقون على اساس المقارنة الجدية بعدما نشر المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين دراسة في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ تكشف الفروق في الاسعار الاساسية التي تصل الى ١١٧ في المئة بالنسبة الى ٢٥ طرازاً من السيارات تباع في ثمانية بلدان اوروبية هي الدنمارك واللوكسمبور وبلجيكا وهولندا والمانيا الغربية وفرنسا وايرلندا وبريطانيا. واتبعت الجمعيات الوطنية لحماية المستهلك هذه الدراسة بتقارير مفصلة ترشد المواطنين الى حيث يجدر بهم ان يتوجهوا لعقد صفقات شراء السيارات. ونشرت مجلة "ويتش؟" (أي منها؟)، وهي صحيفة بريطانية مختصة بخدمة المستهلكين، دليلا يرشد الراغبين في شراء السيارات الى كل ما عليهم ان يفعلوه في عملية الاستيراد، بدءاً باختيار السيارة وتخليصها من الجمارك وانتهاء بتسجيلها او باعادة بيعها. وقد ولدت من كل هذه النصائح ظاهرة تجارية مستحدثة هي الاستيراد الشخصي للسيارات.

ومن بين اوائل التجار الجدد كان آرنست مولر (★)، وهو هاوي سيارات

(★) جميع أسماء شاري السيارات مستعارة.

من برلين كان يحلم دائماً بامتلاك سيارة "جاغوار اكس ج ٦"، لكن ثمن هذه السيارة كان ٤٩ الف مارك الماني (١٨ الف دولار) ويتجاوز امكاناته. قرأ مولر في مجلة "التجربة" الالمانية المختصة بخدمة المستهلك ان الضريبة الدنماركية الباهظة على السيارات تصل الى ١٨٠ في المئة، ونتيجة لذلك سحق موزعو السيارات اسعارهم لينالوا حصتهم من السوق المتقلصة، فغدت الدنمارك المكان الارخص في اوروبا للاجانب الراغبين في شراء سيارة.

حمل مولر دليلا للمستهلكين في شهر يوليو (تموز) وسافر الى مدينة توندر الحدودية في الدنمارك واشترى سيارة "جاغوار" بمبلغ ٣٧ الف مارك فقط (١٤ الف دولار). وحتى بعد حسم تكاليف السفر وفر مولر اكثر من ٧٥٠٠ مارك (٣٠٠٠ دولار) في هذه الصفقة.

ازاء مثل هذه الصفقات لا غرو في ان اكثر من ٤٠٠ الف اوروبي اشتروا سياراتهم الجديدة من الخارج خلال العام ١٩٨٣. وكان البريطانيون استوردوا - بصفة شخصية - بضعة آلاف سيارة خلال السنوات الثلاث السابقة، اما عام ١٩٨٢ فقد استوردوا اكثر من ٦٠ الف سيارة. وفي إيطاليا يقود نحو ٨٠ الف سائق سنوياً سيارات حديثة الطراز ويوفرون نحو ٣٠ في المئة من الثمن، وهم يشترون معظمها من الدنمارك وبلدان البنيلوكس. كما يخطط ألوف الالمان لقضاء اجازاتهم السنوية في هذه البلدان حيث تتوافر صفقات مربحة.

بعدما واجه صانعو السيارات انخفاضات حادة في مبيعاتهم في اسواقهم الوطنية، حيث الاسعار مرتفعة، اخذوا يخططون لاجهاض عمليات شراء السيارات بأسعار مخفضة. وكان احد ضحايا هذا التخطيط صاحب فندق في دانكرك (فرنسا) اسمه بول هويسمان.

في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٢ عبر هويسمان الحدود الى مدينة بيفرين - آلفرنغم البلجيكية حيث اشترى سيارة "تويوتا" ترسيل" ذات اربعة ابواب مع ناقل سرعة آلي في مقابل ١٩٦ الفاً و٤٥٠ فرنكا بلجيكياً (٣٧٠٠ دولار) من دون الضرائب، اي ٣٥في المئة دون السعر الذي كان سيدفعه في فرنسا. وفي طريق عودته اضطر الى دفع ٣٣،٣٣ في المئة من قيمة السيارة ضريبة للجمارك.

بعد ذلك اخذت الامور تتعسر. فحين ذهب لتسجيل السيارة قيل له ان عليه ابراز شهادة تثبت ان السيارة مطابقة للمواصفات التي حددها صانع السيارات للسوق الفرنسية. وقيل له ان شركة "تويوتا" تعطيه مثل هذه الشهادة.

ذهب هويسمان الى وكيل "تويوتا" المحلي فأبلغه هذا ان كل ما عليه عمله هو تركيب احزمة واقية في المقعد الخلفي. انجز هويسمان هذا التعديل ثم وجه رسالة الى الفرع الرئيسي لشركة "تويوتا" في باريس راجياً اعطاءه الشهادة المطلوبة. وجاءه الجواب: "بكل تأكيد، ولكن بعد ان ترسل لنا حوالة بقيمة ٥٠٠ فرنك فرنسي (٦٣ دولاراً)".

بعد تردد ارسل هويسمان الحوالة. واذا به يتلقى رسالة اخرى تقول: "نظراً الى نظام حصص الاستيراد الدقيق (الكوتا) لا يمكننا ان نقدم اليك اي مساعدة." وأعيدت الحوالة اليه. وهكذا، بعد تسعة اشهر ونصف شهر من تاريخ شرائه السيارة، باعها في بلجيكا بخسارة ٥٦ الف فرنك بلجيكي (١٠٠٠ دولار). بعد ذلك حاول استرداد ٩٠٤٢ فرنكاً فرنسياً (١١٣٠ دولاراً) كان دفعها كضريبة اضافية للجمارك، فقيل له ان لا سبيل الى ذلك لانه أبقى السيارة في حوزته مدة اطول مما يجوز. ورفع هويسمان قضيته الى نادي السيارات في شمال فرنسا وأمكنه اخيراً ان يسترد - بمساعدة النادي - جزءاً من الضريبة التي تكبدها. وبالنتيجة تحولت الصفقة التي غنم فيها هويسمان اصلا ١٤ ألف فرنك فرنسي (١٧٠٠ دولار) خسارة مقدارها ٨٠٠٠ فرنك (١٠٠٠ دولار).

المنافسة الحرة - عمد صانعو السيارات البريطانيون الى أساليب مغايرة. فطوال سنوات والشركتان البريطانيتان "فورد" و"ليلاند" تصدران الى اسواق القارة الاوروبية سيارات لها مقود على الجهة اليمنى تشتريها قلة من الجنود والديبلوماسيين البريطانيين لكي يعيدوها معهم الى بريطانيا بعد انتهاء فترة خدمتهم في الخارج فيحققوا بذلك ربحاً. ولكن حين اخذت الجمارك البريطانية تتلقى يومياً اكثر من ١٠٠ سيارة شخصية مستوردة اصيب صانعو السيارات بالهلع. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٢ اعلنت شركة "فورد" في المانيا الغربية انها اوقفت توزيع جميع سياراتها ذوات المقود الايمن في السوق الالمانية. لكن لجنة الاسرة الاقتصادية أمرت شركة "فورد" باستئناف مبيعاتها هذه، وصدقت محكمة العدل الاوروبية هذا القرار بعد ستة اسابيع من صدوره.

لجأ صانعو السيارات الاوروبيون الى اساليب حرب العصابات واستنفروا وكلاءهم في القارة مهيبين بهم ان يعرقلوا المبيعات من طريق تحديد مواعيد تسليم غير معقولة والمطالبة بعربون باهظ في مقابل اي طلب لشراء سيارة ذات مقود على الجهة اليمنى. وفي مواجهة الحاح الزبائن الذين تخطوا كل هذه العراقيل، اضطر بعض صانعي السيارات الى رفع اسعار السيارات ذوات المقود على الجهة اليمنى بنحو ٢٥ في المئة.

في تلك الاثناء شن صانعو السيارات الالمان، الذين آذتهم المنافسة الدنماركية، حملة لثني مواطنيهم عن التعامل مع "الوكلاء الرماديين"، اي الوسطاء الدنماركيين الذين يشترون مجموعات من السيارات بأسعار خالية من الضرائب ثم يعمدون الى بيعها لمقتنصي الصفقات الرابحة من الخارج. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٣ وقع ٢٥ وكيلا لشركة "فورد" اعلاناً صحافياً ظهر في شمال المانيا يحذر من ان اي سيارة مشتراة من اي بلد

آخر من بلدان الاسرة الاقتصادية الاوروبية لن يشملها الضمان في المانيا الغربية (سحب الوكلاء تقييدهم هذا لاحقاً حين اتخذت لجنة الاسرة الاقتصادية الاوروبية اجراء قانونياً ضدهم)٠

ان مبدأ المنافسة الحرة بين الدول الاعضاء مضمون بموجب معاهدة روما (وهي وثيقة تأسيس الاسرة الاقتصادية الاوروبية) التي تؤكد ان للمستهلكين مطلق الحرية في شراء اي بضائع، بما فيها السيارات، حيثما شاءوا وبأفضل ثمن ممكن٠ وهناك ثلاثة بنود محددة في المعاهدة، وهي ٣٠ و٨٥ و٨٦، تدين مثل هذه التدابير التي درجت البلدان الاعضاء وصانعو السيارات على تطبيقها٠

حجة باطلة — يؤلف صانعو السيارات هيئة سياسية ضاغطة في بروكسل عاصمة بلجيكا٠ وقد تلكأت الاسرة الاقتصادية الاوروبية في اتخاذ الاجراء المناسب في هذا الصدد٠ ففي بلدان الاسرة اربعةملايين عامل مدينون بوظائفهم لصناعة السيارات، كما ان مبلغ الـ٦٠ مليار دولار الناشيء سنوياً عن هذه التجارة يشكل ١٠ في المئة من مجموع التجارة الخارجية للاسرة الاقتصادية الاوروبية٠ ونتيجة لذلك تتردد الدول الاربع المنتجة في اتخاذ اي اجراء في صدد قضية الاسعار٠ لكن بريطانيا اتخذت خطوة في الاتجاه الصحيح حين سنت قانون عمل يسهل الحصول على شهادة "مطابقة المواصفات"٠

وبعد التحقيق في بضع مئات من شكاوى المستهلكين خرجت لجنة الاسرة الاقتصادية بمشروع قانون يوفر حلا٠ هذا المشروع يأخذ منحى "الجزرة والعصا"، أي الترغيب والترهيب: الجزرة هي نظام حصري للتوكيل والتوزيع الانتقائي يخالف مبادىء المعاهدة، لكن الاسرة الاقتصادية تتسامح في شأنه وقد تجيزه٠ ويقر هذا النظام بسيطرة صانعي السيارات انطلاقاً من المصنع وحتى صالة العرض٠ اما العصا فهي تضييق فروق الاسعار بين بلد وآخر الى حدود ١٢ في المئة فوق السعر الادنى لكل طراز من السيارات٠ واذا حدث أي تخطٍّ لهذه الحدود، فان التجار غير الرسميين — والوكلاء الرماديين وشبكات الاتجار الحر — يقتحمون السوق، حينئذ تفرض على صانعي السيارات غرامات باهظة اذا رفضوا امدادهم بما يطلبون من السيارات٠

ويبدو ان المستهلكين سيحصلون اخيراً على صفقة عادلة٠ وحتى اذا عمت اسعار دول "البنيلوكس" بدلا من الاسعار الدنماركية المنخفضة، فان ذلك سيوفر على شاري السيارات مبالغ كبيرة٠ وكما هو متوقع، يرفع صانعو السيارات عقيرتهم بالتذمر من الاجحاف٠ ويقول هانس كلاوس امين سر لجنة الارتباط لصناعة السيارات في الاسرة الاقتصادية الاوروبية، وهي المظلة الواقية لصانعي السيارات: "ان الخسائر التراكمية التي يتحملها صانعو السيارات الاوروبيون تصل الى بضع مئات

ملايين من الدولارات. واذا كانت ثمة محاولة لفرض بند الـ١٢ في المئة، فان شركتين او ثلاثاً ستسقط الى الحضيض".

لكن الذين وضعوا هذا النظام يخالفون هذا الرأي، ويؤكد لودفيك برايت، وهو عضو رفيع سابق في فريق مراقبة المنافسة التابع للجنة الاسرة الاقتصادية: "لسنا في صدد تدمير صناعة السيارات الاوروبية. فالقانون لن يطبق بين ليلة وضحاها، وهكذا يبقى امام صانعي السيارات وقت كاف لتنظيم شؤونهم الداخلية".

والواقع ان صانعي السيارات أبطلوا حجتهم بأنهم مهددون بالخراب حتى قبل وضع بند الـ١٢ في المئة. ففي ابريل (نيسان) ١٩٨٢ اقتطعت شركة "فورد" ٦٠٠٠ دولار من السعر البريطاني لطراز "غرانادا غيا" لأن مبيعاتها تضررت من منافسة الاستيراد الشخصي. وأبقى الصناعيون الفرنسيون زيادة اسعارهم للعام ١٩٨٢ في حدود نصف ما تتحمله السوق البريطانية عادة. ويعرض الوكلاء في المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا حسومات مغرية على الزبائن. ويقول باتريك ديبويسر، محامي المجلس الاوروبي لاتحادات المستهلكين الذي دأب على مراقبة أسواق الاسرة الاقتصادية الاوروبية طوال السنوات الثلاث الماضية: "مثل هذه التخفيضات تعني شيئاً واحداً فقط هو ان صانعي السيارات كانوا يتقاضون من الزبائن اثماناً باهظة وانهم يستطيعون اليوم تحمل خفض الاسعار".

ويبدو ان صانعي السيارات، الذين كانوا متصلبين ذات يوم، انصاعوا للتكيف مع القوى التي لا تقاوم في السوق. وازاء هذا الواقع لا يسع شاري السيارات في اوروبا سوى ان يهتفوا: "فلتحيَ المنافسة!"

■ بول مارتن



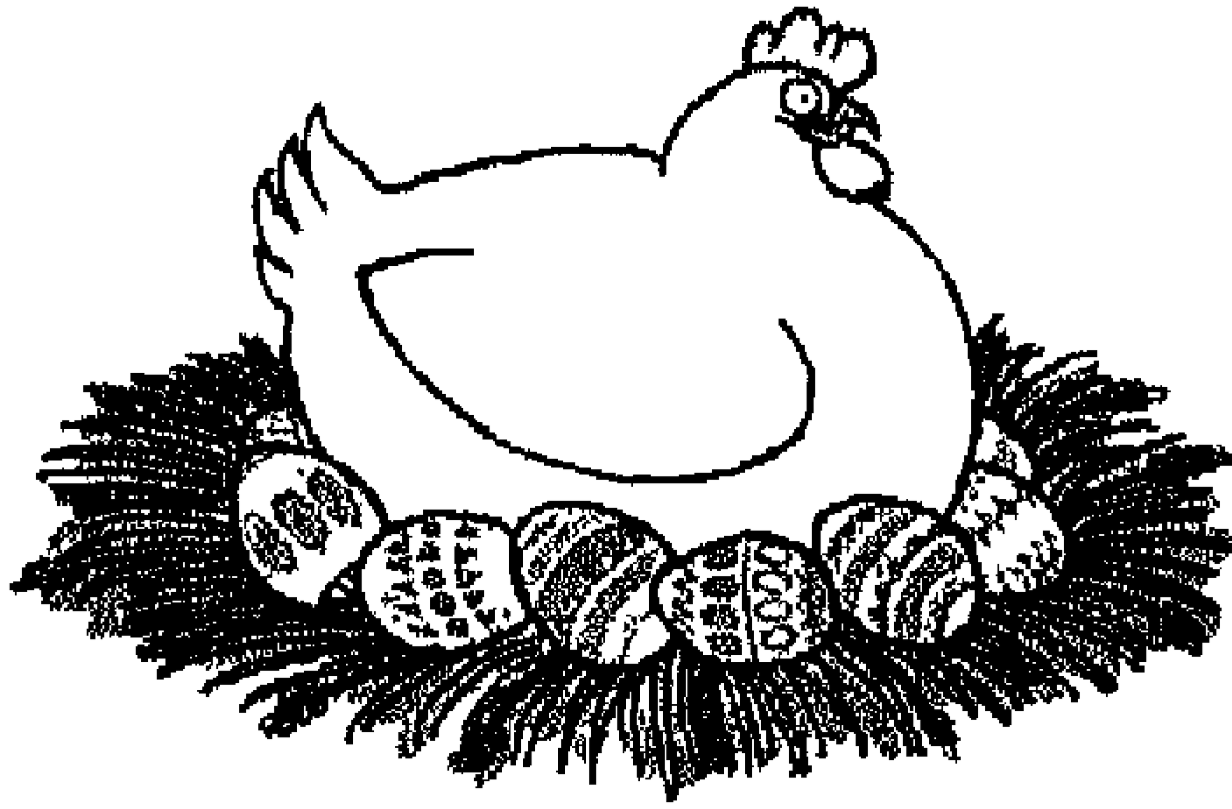
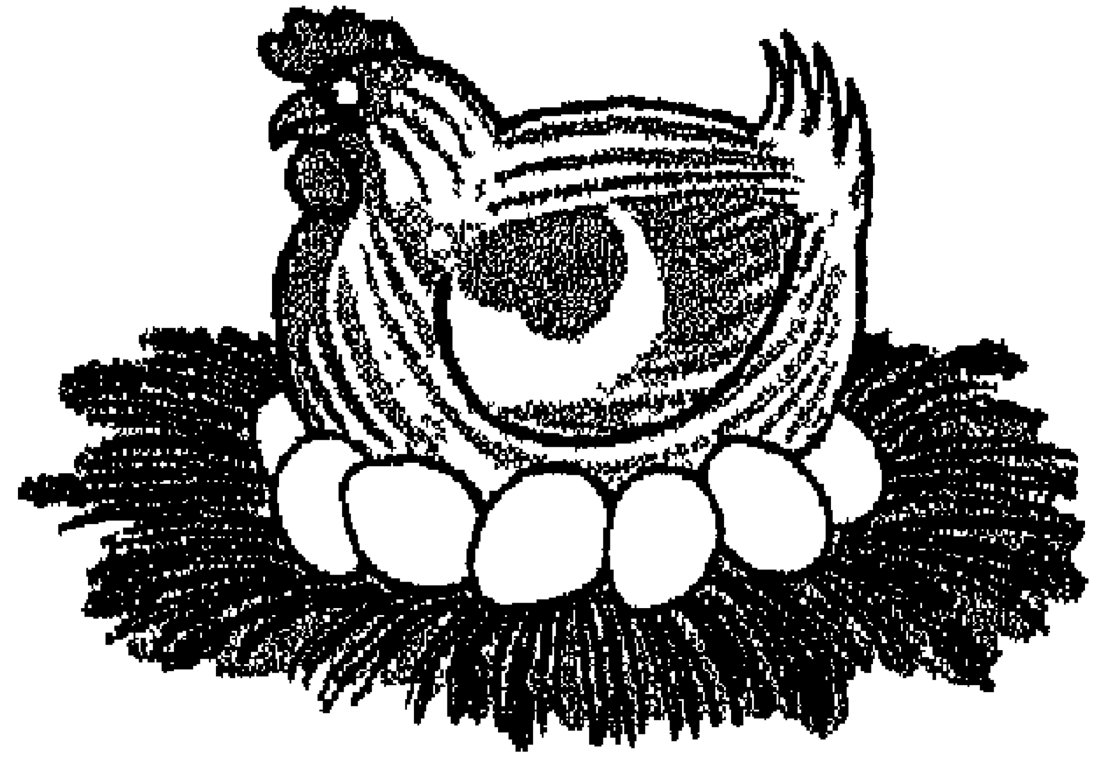
المرأة لا تكبر

فيما كنت وزوجتي ننتظر دورنا للصعود الى الطائرة، أعلنت المسؤولة ما يأتي: "فليتقدم كل من هو تحت السادسة أو فوق الستين". وتقدم جميع الركاب الذين صحبوا أولادهم. وبعد دقيقة جاء رجل اتضح انه فوق الستين. ولما مررت وزوجتي، وجدنا الرجل ينتظر على باب الطائرة. وسألته زوجتي عن سبب وقوفه هناك، فأجاب: "اني انتظر زوجتي التي رفضت الاقرار بأنها تجاوزت الستين، وهي تحمل بطاقتي السفر".

ج.س.

قالت ربة بيت لصديقتها: "إني أتناوش وزوجي مرة في الاسبوع... وأنت؟"
ـ إن زوجي يتلقى راتبه مرة في الشهر.

ن.س.

صورٌ من الحياة

هدية العيد

في الثالثة والتسعين، اقتصرت حاجات والدي على ما هو ضروري وتقلصت رغباته. وشاءت زوجتي ان يختار هدية لعيد ميلاده، فسألته: "ماذا تريد لعيد ميلادك هذه السنة؟"

- لا شيء.

قالت: "لكن هذا ما طلبته العام الماضي".

- اجل، وما زلت استعمله.

ل.ك.

ذهبُ البستاني

ذات صباح وصل البستاني العجوز متأخراً جداً الى منزل مخدومه لأنه غطّ في النوم. وما ان انتهى دوام العمل حتى جهز عدته واستعد للذهاب. وعندما سأله صاحب البيت اذا كان ينوي تعويض الوقت الذي فاته، اجاب: "وهل يجوز ان اتأخر مرتين في اليوم الواحد؟"

غ.د.

الفارق بين الجنسين

أمضى ولدنا أشهر الصيف يلعب مع ابنة الجيران، وهي مثله في الخامسة. وكانا يتسلقان الأشجار ويركبان الدراجة ويركضان في الحقول تحت الشمس. ولما اقترب الخريف، كان كل منهما ينتظر العودة الى حديقة الأطفال. وفي يوم المدرسة الأول، وقفت الطفلة على بابنا وهي ترتدي فستاناً جميلا مطرزاً. وفتح كمال الباب ونظر اليها، ثم تنهد وأخذ يشهق بالبكاء. وسألته: "ماذا دهاك يا حبيبي؟" فقال: "كنت أظن نهاداً صبياً، فاذا بها فتاة".

ش.هـ.

العين بالعين

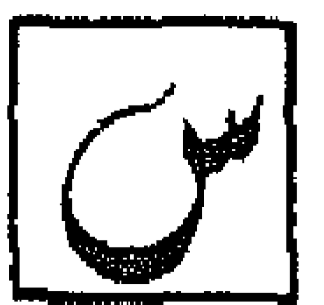
اخبرتني صديقتي كيف راحت تراقب زوجها المتقاعد حديثاً وهو يعيد ترتيب جميع الاغراض على رفوف المطبخ. وسألتها: "ألم تحاولي ثنيه عن ذلك؟".

فأجابت بهدوء: "كلا. بل انتظرت حتى فرغ من عمله، ثم ذهبت الى غرفته واعدت ترتيب اغراضه.

د.ب.

حدد العلماء الصينيون موعد الزلزال واتخذت الاحتياطات الضرورية فنجا مئات الالوف من اسوأ زلزال ضرب هايشنغ منذ ٣٠٠٠ سنة

زلزال هايشنغ



الساعة السابعة والدقيقة السادسة والثلاثون في تلك العشية المروعة من ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٥٠ في اقليم هايشنغ المكتظ بالسكان والواقع في مقاطعة لياوننغ شمال الصين كان الناس يشاهدون مسرحية في الهواء الطلق، وكانت لي سيجوان وهي زوجة مزارع في الحادية والعشرين من عمرها جالسة مع المشاهدين وقد ارتدت ثياباً واقية من البرد٠ وفجأة توهجت السماء برقع كبيرة من الضوء الاحمر والاصفر والازرق والابيض٠

قالت المرأة وهي تتذكر ما حصل: "إثر ذلك سمعت هديراً قوياً يشبه صوت جرار ضخم كأنه يعمل في جوف الارض٠ وأعقب ذلك ارتجاج رهيب عنيف رفع المقاعد المجاورة بمن فيها متراً عن الارض٠" ثم بدأت الارض تموج في اتجاه السيدة لي "شبيهة

بأمواج المحيط" فتوقعها كلما حاولت النهوض.

كان بعض الناس من حولها جاثين وهم يصلون، فيما راح آخرون يصخبون ويصيحون: انها نهاية العالم. واستمرت الارتجاجات زهاء دقيقة أو أكثر. وخيل الى الذين كانوا في ذلك المكان أن تلك الدقيقة أطول من أن تنتهي.

في تلك الاثناء كانت سي كييننغ، وهي مترجمة، عادت الى شقتها في الطبقة الارضية من أحد المباني. فشاهدت ألواح النوافذ الزجاجية وهي تنفجر والابواب المقفلة تتفتح بعنف، وانهار أمامها أحد الجدران فخرجت. وإذ ذاك إنهار سقف الشقة بكامله. أما كسياو شيي، وهو عضو في لجنة للطوارىء الخاصة بالزلازل ومكلف اخلاء المباني التجارية، فقد سمرته الدهشة اكثر من الخوف عندما وقف ينظر بذهول الى أحد المخازن الكبرى ينهار ويتفتت أمامه ليصبح في ثوان ركاماً.

كانت قوة الهزة الارضية ٧،٣ درجات بمقياس رختر، فهدمت ٩٠ في المئة من مباني تلك المنطقة المكتظة بالسكان. وبدلا من أن تتسبب في موت مئة ألف من المواطنين أو أكثر كما كان متوقعاً، كانت حصيلة الاصابات ضئيلة. والسبب في ذلك أن موعد الزلزال كان حدد بدقة ورصد العلماء يوم حدوثه بالضبط. وقبل وقوع الكارثة بخمس ساعات ونصف ساعة كانت السلطات أمرت باخلاء مباني المنطقة كلها. وللمرة الاولى في التاريخ تمكن الانسان من التأهب لمواجهة عدوه الطبيعي الالد وتفادي الكارثة في الوقت المناسب. وقد رأى العالم في تلك المأثرة معجزة علمية حقة.

موقع جغرافي خطر ـ كان نشوء تلك "المعجزة" في أعقاب زلزال كسنغتاي الذي تسبب في مقتل ٩٠ الف شخص عام ١٩٦٦. وكان شو إن لاي رئيساً للوزراء آنذاك، فطلب من العلماء تكثيف عمليات رصد الزلازل ووسع شبكة المراكز المختصة بعلم الزلازل بانشاء ١٦ مرصداً رئيساً و٣٥٠ محطة مختصة و٦٠٠٠ مركز مدني لتسجيل الزلازل يديرها عشرة آلاف مراقب يؤمنون دوام عمل كاملا. وقد منح علماء الزلازل سلطة إصدار أربع فئات إنذار تتوقف كل منها على الموعد المرتقب لحدوث الزلزال: إنذار طويل المدى، وثان متوسط المدى وثالث قصير المدى ورابع طارىء.

كانت الحاجة عظيمة الى مثل هذه الاستعدادات لأن الصين تقع في موقع جغرافي بالغ الخطورة. فهي عالقة في ملزمة ثلاثية الاتجاه بين حدود "اللوح" (١) الهندي الاوسترالي الممتد شمالا تحت جبال حملايا واللوح الاوروبي الاسيوي المتجه جنوباً ولوح المحيط الهادىء الواسع المندفع غرباً. ولهذا السبب تصدعت الاسس الصخرية للبلاد محدثة خطوطاً من الصدوع عميقة في قشرة الارض، وهذه الشقوق منجذبة من حيث التكوين في اتجاهات متضاربة. ومنذ

---

(١) Plate

ما بدأ الصينيون تسجيل المعلومات والاحصاءات الخاصة بالزلازل عام ١١٧٧ قبل الميلاد اجتاح أرضهم ما يزيد على ثلاثة آلاف زلزال مدمر. وفي القرن العشرين وحده ضربت الصين خمس وأربعون هزة أرضية قاتلة أودت بحياة مليوني نسمة تقريباً.

وبين ١٩٦٦و١٩٦٩ ضربت الصين ثلاثة زلازل بالغة العنف متجهة في خط شمالي شرقي على طول مراكز الصدع في تانلو وكسنغتاي - هيجيانغ، متحركة في سيرها تحت مناطق الصين الشمالية. واستنتج العلماء الصينيون في المؤتمر الوطني الاول لعلم الزلازل الذي انعقد في بكين عام ١٩٧٠ أن الكارثة المقبلة سوف تضرب مناطق أكثر توغلا الى الشمال، وأصدر المؤتمر بياناً يتضمن رصداً بعيد المدى يتوقع فيه حدوث هزة كبيرة خلال السنين العشر التالية في مقاطعة لياوننغ في منشوريا (عدد سكانها ٣٥ مليوناً). وأنشىء مختبران خاصان بفيزياء الارض واثنا عشر مركزاً خاصاً بعلم الزلازل يؤمن العمل فيها ٣٠٠ اختصاصي. وانتشرت هذه المراكز والمحطات على طول المنطقة المهددة لتخطيط صدوع الطبقات الارضية القائمة تحت المقاطعة ولترقب التحركات الطفيفة التي تسبق عادة الهزات الارضية.

حملة ومؤشرات - ظلت الامور على حالها من الهدوء طوال ثلاث سنوات. وفجأة في أواسط ١٩٧٤ تحركت الطبقة الصخرية على طول مراكز الصدع عمودياً وجانبياً في آن. وفي شبه جزيرة لياودونغ في شمال المقاطعة ازدادت سرعة انجراف الطبقة السطحية في الاتجاه الشمالي الغربي، وهي التي كانت على نتوء مستمر منذ الخمسينات. وسجلت الآلات زيادات حادة في الارتجاجات الطفيفة وتقلبات واسعة في مغنطيسية الارض. واستناداً الى هذه المعلومات عمد مركز علم الزلازل في العاصمة الريفية شينيانغ الى تغيير توقعاته الى المدى المتوسط، وهذا يعني احتمال وقوع الزلزال في غضون سنتين.

نُظمت حملة ناشطة شعارها مقاومة الزلازل. وجند خمسة آلاف متطوع ليسجلوا القياسات وينقلوها الى المركز في شينيانغ. وطاف علماء الزلازل أرجاء المقاطعة يلقون المحضرات، كما ادخل على مناهج المدارس برنامج خاص يعرف التلاميذ بالهزات الارضية. ووزعت كراريس وكتب مصورة تشرح للقراء إشارات الانذار والاحتياطات الواجب اتخاذها، كما وزعت مراوح مطوية من الورق طبعت عليها ارشادات شعرية عما ينبغي فعله في حال وقوع الزلزال.

ومع مرور الايام في تلك السنة باتت الدلائل تشير الى أن المنطقة بين هايشنغ وينغكو في جنوب المقاطعة ستكون مركزاً لانطلاق ثورة الارض المقبلة. وكانت الارض حول مدينة هايشنغ التي اصيبت بنتوء بلغ ارتفاعه ٦٠ سنتيمتراً عام ١٩٧٣، عادت فانخسفت ١١٦ سنتيمتراً في ١٩٧٤ محدثة حوضاً في الارض غائراً.

وسجلت جاذبية الارض انخفاضاً غير طبيعي ولم تعد المقاومية (٢) الكهربائية تعرف استقراراً. وزادت نسبة غاز الرادون في المياه الجوفية. ثم وردت التقارير الاولى حول غرابة سلوك الحيوانات، وهي في نظر الصينيين من إشارات الانذار اذ يعتقدون أن الحيوانات قادرة في الغالب على تحسس الارتجاجات وسماع الاصوات واشتمام الغازات والشعور بالتغيرات الكهربائية التي يعجز عنها البشر.

جنون الحيوانات – مع إطلالة شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٤ بدأت الارض تحت لياوننغ تتحرك بعنف وعلى نحو شبه متواصل بتأثير عشرات الهزات الطفيفة التي بلغت قوة احداها ٤،٨ درجات بحيث امكن الشعور بها من دون مساعدة الآلات والمعدات. وفي ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ أعاد مركز شينيانغ النظر مجدداً في توقعاته وحدد تأهباً للزلزال قصير المدى معلناً أن هزة تراوح بين ٥،٥ و٦ درجات ستضرب المنطقة في أقل من ستة أشهر.

تحرك الجهاز الحكومي بأقصى سرعته. وأقيمت في الهواء الطلق مساكن موقتة مصنوعة من الاعمدة الخشبية وسويقات نبات السرغوم والقش والخيش وغيرها من المواد الخفيفة استعداداً لايواء السكان أثناء الكارثة. كما جهزت المستشفيات النقالة بالخيام وأصدرت الاوامر الى المجموعات الصناعية والزراعية والمدنية والريفية بتشكيل فرق للطوارىء. وفي الوقت نفسه طاف المفتشون في المدن والقرى والتعاونيات الزراعية ليتثبتوا من بلوغ الارشادات كل بيت وعائلة.

وفي الاسابيع الثلاثة اللاحقة زادت الدلائل وضوحاً منذرة بالشؤم المحدق. وسجلت الآلات في مرصد شنيانغ تبدلا جذرياً في اتجاه انزلاق الارض من الشمال الى الجنوب. وراحت عقارب الآلات التي تسجل المقاومية الكهربائية للارض تترجح بجنون مما جعل قراءة الارقام والقياسات أمراً مستحيلا. وتعكرت مياه الينابيع قرب هايشنغ وهي التي طالما كانت مياهاً صافية عذبة، وزاد دفق النفط في الآبار صعداً ضغط متزايد على الطبقة الصخرية الجوفية. وفي هايشنغ نضبت المياه في أحد الينابيع ولم يكن ذلك النبع نضب من قبل. وفي وقت لاحق تحولت ابار طبيعية عدة آباراً أرتوازية.

وورد نحو ٧٠٠ تقرير عن تصرفات غريبة للحيوانات. فانطلقت الابقار مهتاجة من حظائرها. وانسابت الافاعي من أوكارها وقضت متجلدة في الثلج. وراحت الطيور في الاقفاص الكبيرة تحلق حائرة وهي تحمل بيضها بمخالبها. وهامت الجرذان تحمل صغارها في أفواهها.

ثورة الارض – إبتداء من السادسة والنصف من مساء ٣ فبراير (شباط) وقعت خمسمئة هزة طفيفة على مساحة عشرة كيلومترات مربعة في

(٢) نقيض الايصالية.

منطقة قريبة من هايشنغ، وبلغت ذروتها بهزة قوتها ٤،٨ درجات خلخلت المباني في الثامنة من صباح اليوم التالي. واستنتج مركز الزلازل أن تلك الهزات كانت نذيراً بقرب حصول الحدث الرئيس، وأبلغ مجلس المقاطعة في الرابع من فبراير (شباط) ان زلزالا قد تبلغ قوته ست درجات يحتمل وقوعه في جوار هايشنغ في ذلك اليوم نفسه.

وقف المسؤولون الحكوميون مترددين أمام الاحداث وهم يدركون أن مراكزهم معرضة للخطر إذا ما برهنت الوقائع المقبلة أنهم كانوا على خطأ. لكن اتصالا آخر من المركز بلغهم في الساعة الاولى بعد الظهر فازال ذلك التردد ووطد عزمهم، وهو افاد أن الارتجاجات توقفت فجأة وأن عقارب آلات الرصد استقرت للمرة الاولى منذ أسابيع، وفسر العلماء ذلك الحدث أنه مرحلة الهدوء المخيفة التي تطرأ في غالبية الاحيان قبيل انفصام خط من خطوط الصدع الملتحمة.

وفي الثانية بعد الظهر أصدرت الأوامر باخلاء كل مبنى في المنطقة المعرضة للخطر. أفرغ التجار مخازنهم من البضائع القابلة للتلف، ونقلت من المصانع الآلات الثمينة والمواد الكيمائية السامة والمواد الحمضية والمتفجرات. وخرج عمال المعادن من جوف الارض، وأخمدت مصانع الصلب نارها، وأبعدت المواشي عن الزرائب والحظائر المقفلة. ولحسن الحظ كانت المدارس في عطلة لمناسبة رأس السنة الصينية، وطلب من مرضى المستشفيات المتنقلة أن يعودوا الى بيوتهم واستبقي منهم ذوو الاصابات الخطرة فوضعوا في خيام. وطوال فترة بعد الظهر ظلت مكبرات الصوت تبث التحذيرات والارشادات: "إبقوا في ملاجئكم أو في الهواء الطلق بعيدين عن المباني العالية!" وهكذا استكملت عملية الاخلاء قرابة الساعة الخامسة بعد الظهر.

لم يكن بالسَّهل دائماً إقناع السكان بمغادرة منازلهم. كانت الحرارة صفراً والثلج يغطي الارض. وعلى رغم أن أعضاء اللجنة المحلية أخلوا المساكن فقد عاد اليها بعض السكان خلسة. ولتشجيع الناس على البقاء في الخارج أعلنت لجان المقاطعة في هايشنغ وينغكو عرض الافلام مجاناً في الساحات العامة الساعة السادسة مساء.

فجر جديد ـ كانت لاو ييجن وهي من فنيي علم الزلازل تراقب آلة للرصد عندما بدأ الزلزال. وأخذ المبنى الذي كانت داخله يرتج بعنف، فسقطت الآلات والمعدات وتحطمت. وتمكنت لاو من النهوض مع من كان في رفقتها من الزملاء، فجروا آلة رصد بقيت سالمة وأخرجوها ووضعوها على الثلج ووصلوها ببطاريات واستأنفوا عمليات المراقبة.

ولعل أهدأ الناس في هايشنغ واكثرهم رباطة جأش في تلك الاثناء كان غو هاودنغ كبير المسؤولين عن رصد الهزات الذي كان يجوب الضواحي في سيارة "جيب" آملا في

أن يصل الى مركز المراقبة قبل بدء الهزة. وعندما شعر أن سيارته ارتجت وارتفعت في الهواء ورأى المنازل على جانبي الطريق تنهار كصفوف من حجار "الدومينو" نظر الى ساعته. وقال في ما بعد متذكراً تلك اللحظة: "اردت تحديد بدء الزلزال تحديداً دقيقاً، وكنت واثقاً أن الصدمة ستكون أعنف بكثير مما كان متوقعاً." وقد صدق حدسه، فالزلزال الذي حل بقوة ٧،٣ درجات كان أقوى بعشرين مرّة من ذلك الذي تحدثت عنه التوقعات السابقة والذي تبلغ قوته ٦ درجات.

أعقبت الزلزال سبعمئة هزّة خفيفة أبقت الارض في حال ارتجاج مستمر طوال تلك الليلة. ومع بزوغ الفجر نظر السكان المرهقون حولهم ذاهلين فشاهدوا مكاناً لم تقع عليه أبصارهم من قبل. لقد تقوضت الجسور والمداخن كلها، وعلى مدى عشرين كيلومتراً من بؤرة الزلزال تداعى نحو ٩٠ في المئة من المنازل والمباني والمصانع. وعلى بعد ٢٠ كيلومتراً أخرى تهدم ٥٠ في المئة من المباني. وتفجرت أنابيب المياه والتوت خطوط السلك الحديد تحت وطأة الضغط الهائل. كما أحدث الزلزال في الارض فجوات بلغ عرضها متراً وطولها ١٥٠٠ متر في خطوط متعرجة طويلة عبر المزارع والقرى. وفي قرية لونلي ماونتن قرب بؤرة الزلزال ظهرت في الصخور الكلسية فجوات ضخمة كانت كافية لابتلاع الخيول والجرارات والاشجار والمنازل.

وعلى رغم الدمار فلم يشب حريق واحد ولم يبلغ عن اي حادث نهب. وأشارت المعلومات المتوافرة الى أن أقل من ألف شخص قتلوا من مجموع السكان الذين يبلغ عددهم نصف مليون. وقد أصيب بعض هؤلاء بالحجارة المتساقطة من المباني وهم في العراء أما الباقون فكانوا عادوا الى منازلهم متذرعين بحجج مختلفة فقضوا تحت الانقاض بعدما تهدمت عليهم سقوف تلك المنازل وجدرانها.

اول الطريق – لابد هنا من التساؤل عن عدد الضحايا الذي كان سينجم عن ذلك الغضب الطبيعي لو لم تسبق الزلزال عمليات رصد وإنذار وتأهب. الاجابة صريحة في الاحصاءات حول الزلزال غير المتوقع الذي بلغت قوته ٧،٨ درجات والذي ضرب مدينة تشانغشان القريبة بعد ثمانية عشر شهراً فحصد ٦٠٠ ألف قتيل وخلف ٨٥٠ ألف مصاب. كانت سنوات جفاف طويلة حلت سابقاً بتلك البقعة أعقبها هطول أمطار غزيرة غمرت المنطقة طوال أسابيع قبل حدوث الزلزال، فتعذر الحصول على قراءات دقيقة لرصد الهزات ومستوى ارتفاع المياه وانبعاث غاز الرادون، كما صعب تحديد التغيرات في مقاومية الارض الكهربائية وما شابه ذلك.

وعلى رغم هذه العقبات على أثر ورود تقارير مثيرة للشكوك عمد مركز رصد الزلازل في الولاية الى إرسال خمسة علماء للتحري والتحقيق. إلا أن هؤلاء وصلوا عشية وقوع الهزة وقضوا هم أيضاً تحت أنقاض الفندق الذي نزلوا فيه.

وبصرف النظر عن هذا الاخفاق في تانغشان فقد تمكن الصينيون منذ زلزال هايشنغ من إجراء توقعات ناجحة عدة. ففي ١٩٧٦ أمرت السلطات سكان بلدة لونغلنغ الواقعة على حدود الصين الجنوبية باخلاء منازلهم في الوقت المناسب قبل أن تحدث هزتان عنيفتان هدمتا قريتهم. وبعد ثلاثة أشهر أجلي سكان مقاطعة سونغبان - بنغو في غرب الصين قبل يومين من حدوث هزة مدمرة بلغت قوتها ٧،٢ درجات وعصفت بالمنطقة كلها. وبعد انقضاء أسبوع واحد على تلك الهزة كان السكان أنفسهم ما زالوا يقيمون في العراء عندما وقعت هزة أخرى مماثلة من حيث القوة دمرت كل ما أبقت عليه سابقتها. وعموماً، أصابت الصين سبع هزات رئيسة تم رصدها سلفاً، كما أصدرت مراكز الرصد إنذارات خاطئة عدة. كذلك تم رصد هزات خفيفة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان.

وفي معزل عن اي اعتبار فان الصينيين لا يتبجحون بما أصابوه من نجاح في هذا المجال، كما أنهم لا يحاولون خلق الاعذار لاخفاقهم في بعض الحالات. وقد صرح يودان ويدن المدير المساعد السابق لمركز الرصد الوطني مفسراً الوضع فقال: "إن علم الزلازل لم يبلغ بعد حداً من التطور يمكن من تلقيم الدماغ الالكتروني معلومات معينة ليعطينا ما نتوخاه من أجوبة حاسمة. فنحن ما زلنا نتلمس طريقنا. وجل ما يمكننا أن نفعله هو فحص الاعراض والخلوص الى بعض التوقعات أو التخمينات. فاذا ثبتت صحتها، اعتبرنا الحظ حليفنا."

والحق يقال ان الحظ كان حليف السكان الذين نجوا من الكارثة في "معجزة" هايشنغ.

■ رونالد شيلر



امهات الصبايا

قالت امرأة لصديقتها: "ان ابنتي لم تعد تخبرني بشؤونها الخاصة. وهذا يقلقني كثيراً."

- وماذا أقول أنا؟ ان ابنتي تخبرني كل شيء، وبهذا تحطم أعصابي.

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

الفلسفة المشتتة

كتب ناقد صحافي حول مجلد فلسفي طويل ومتعدد الافكار: "يبدو ان الرابط الوحيد بين أجزاء هذا الكتاب يعود الى عمال التجليد."

صحيفة "نيويورك تايمس"

مُعجزة الحياة

ماذا يعني ان تكتب لك الحياة بعد مواجهة الموت ؟

سمعت للمرة الاولى عبارة "الوقت الاضافي" من صديقي الذي كان في الحادية والثمانين حين عرفته. لكن بنيته الجسدية ومرحه جعلاه يبدو في الستين. واراني صديقي ثلاث قطع معدنية ملوية بشدة وقد اسود لونها، وسأل: "هل تعرف ما هذه؟"

ولم تكن معرفتها سهلة، لكنني قلت: "اهي قطع نقدية؟"

ـ حسناً، انها قطعة "سو" فرنسية (خمسة سنتيمات) وقطعتان من فئة البنس الانكليزي. ولكن اتدري ما حل بها؟

"لقد نزل عليها برق السماء!"

وضحك جو وقال: "لم تبعد كثيراً عن الحق". لقد اخترقت هذه القطع ساقي."

حدث ذلك في بلدة ايبر الفرنسية خلال الحرب العالمية الاولى. فوسط الظلام الحالك وجنون القصف، قفز صديقي جو سكينر امام مدفعه لحظة انطلاقه.

واحترقت بزته العسكرية على جسده وتغلغلت القطع النقدية الثلاث من جيب سرواله داخل فخذه. واستخرجت اثنتان من تلك القطع. وبعد بضعة اشهر برئت جروحه قليلا، واعفي من الخدمة واعيد الى بلده اوستراليا.

وبعد انقضاء سنة تكون خراج في الجانب الخلفي من فخذه. وحاول الطبيب كثيراً قبل ان يتمكن من استخراج قطعة السو المسودة. ويبدو ان القذيفة انفجرت بعنف وحملت

القطعة المعدنية عبر ساق جو، منحرفة قليلا عن العظم والشريان الفخذي.

ويقول جو: "منذ ذلك الوقت وانا اعيش وقتاً اضافياً، بحيث ان كل يوم من ايام السنوات الاحدى والخمسين حمل الي حياة جديدة."

واعاد جو القطع النقدية الثلاث برفق الى علبتها، واضاف: "لقد احتفظت بهذه القطع لتذكرني بحظي السعيد. وهي المرة الاولى منذ سنوات اخرجها من العلبة. ان شروق الشمس كل صباح تذكرة كافية."

ثمن المعرفة ـ لم افهم تماماً ما قصد جو بعبارة "الوقت الاضافي" الا بعد سنة، حين اصبت بمرض في كليتي.

كان ذلك عام ١٩٧٠، ولم تكن في اوستراليا آلات كافية لغسل الكلى. ولم يدر الاطباء اي المرضى يعطون الافضلية في المعالجة.

وكان امام المريض المنتظر في قسم معالجة الكلى متسع من الوقت لمعرفة علائم الموت حوله، ومنها الاضطراب في حلك الليل وضجة الأرجل والستارة الخضراء التي تلتف حول سرير مجاور وطيف طبيب متمرن ينحني فوق صدر مريض واصوات متلاحقة ومكتومة. وما ان يطل الصباح حتى يرى سريراً خاوياً، يحاول عبثاً ان يتذكر وجه صاحبه من خلال الغشاوة التي ترخيها العقاقير على ذهنه وعينيه.

ويهيمن عليه حس من الفزع هو اقرب الى الخيبة منه الى الخوف. انه لا يريد ان تهدر حياته الآن. فهناك امور كثيرة بدأت لتوها وكلمات كبيرة لم يقلْها بعد.

ويقرأ على وجوه اطبائه ان الوقت يفر منه. ويسمعهم يقولون بحسرة: "ليست لدينا آلة جاهزة للعمل في هذه اللحظة". ويلجأون الى بدائل موقتة لا تحمل سوى قليل من الفائدة. ويقبع منتظراً الموت على مضض.

ثم تبدأ المعجزة تشق طريقها... لقد فُرغ من زرع كلية لأحد المرضى واصبحت الآلة جاهزة للاستعمال. ويصل الطبيب. وتكاد لا تصدقه وهو يرفع عنك الحكم بالاعدام:

"سنضع انبوباً في ذراعك اليوم ونحيلك على الآلة غداً".

ويمكن ان نترجم قوله الى الآتي: "غداً تُمنح الوقت الاضافي".

وفي قسم غسل الكلى في المستشفى، تلتقي للمرة الاولى المرضى الآخرين الموصولين بآلات. إن منظرهم العام ينم عن شحوب، لكن اعينهم متقدة. انهم قوم يعيشون الوقت الاضافي من عمرهم، وعما قليل تنضم الى رفقتهم الجليلة.

ويعطيك الجرّاح بنجاً موضوعياً ويغرس في ذراعك انبوباً يصلك بآلة غسل الكلى.

وتقول لك الممرضات بعطف: "ستتعود هذه العملية". والحق انك تتعودها مع الوقت. واذ تفيق من نومك في جناح المستشفى، تحس ان كل صباح افضل من سابقه. كم هو عجيب هذا الامر: لقد عكس الواقع الذي بدا انه لا يعكس. وها انت تحيا بعدما كان الموت قدرك! ترى اهناك نوع من الكماليات اسمه المستقبل؟

فنّ الابتسام – بعد اسبوعين يسمح لك بالعودة الى المنزل. ويرهقك في البداية صعود السلم الى غرفة النوم، ولا تلبث ان تسترخي بارتياح في مقعدك الذي طالما حننت اليه.

وبسألك صديق: "كيف حالك؟"

وتحاول ان ترسم على وجهك ابتسامة هي علامة العودة من الموت. ويبدأ وجهك يتعلم فن الابتسام من جديد.

ويأخذ عالمك بالاتساع. ويكتسب المشهد من نافذتك بعداً ذا حلاوة جديدة. وتعجب كيف لم تسبق لك ملاحظة ذلك الطائر الذي يتسلق ببطء حافة الشرفة بحثاً عن حشرات، او العناكب التي تسعى تحت اطار النافذة.

ويأتي ضوء الشروق اللطيف ليجعل من كل يوم جديد مهرجاناً. وتكتسب ابسط الامور روعة: جلبة بائع الحليب وهو يتقدم نحو عتبة الدار، احتكاك لحيتك التي لم تحلق منذ ايام بملاءات السرير الناعمة، صرير الواح الخشب في ارضية المنزل، صوت صديق يأتيك كطائر صداح عبر الهاتف، صدى الضحك الذي تكتشف – لدهشتك – انه صوتك انت.

لقد انقضت ثماني سنوات منذ حصولي على نعمة الوقت الاضافي. وفي اربع منها اعتمدت على آلة للغسل قبل اجراء عملية زراعة ناجحة اتاحت لي ان اعيش حياة طبيعية.

ويقول الناس بعطف: "لا شك في ان حياتك كانت بائسة ايام اتكالك على تلك الآلة."

لكنني اجيب، وفي ودي ان يفهموني: "كلا، لم تكن حياتي بائسة، بل كانت رائعة. اعني انه كان لي امل في الحياة."

ويتابعون: "لقد أوتيت بأساً جعلك تتحمل ذلك البؤس." وأعرف ان ذلك غير صحيح، واني حققت ما يتقنه جميع الناس، وهو الصمود. وذلك اكسبني حساً عميقاً بالوقت وبعدم استقرار الحياة. ووجدت انه ليس هناك وقت اخشى فيه السقوط او المجهول، ولا وقت اهاب فيه شيئاً او احداً.

حياة جديدة – كنتُ قد ادرت، على مدى سنوات، تجارة ناجحة من غير عناء كبير. فتركتها كي انصرف الى الكتابة وهي رغبة طالما أردت تحقيقها ولم تكن لدي الجرأة على الشروع فيها. وها انا أبذل ما في وسعي لأكون كاتباً ناجحاً، ولا اغتاظ او اضطرب حين ترفض المجلات نشر كتاباتي، الامر الذي يحصل معظم الاحيان.

ولم اعد اهدر الوقت الثمين مؤنباً نفسي على زلاتها او مهنئاً اياها على طاقاتها. لقد جعلني الوقت الاضافي قانعاً بمن انا وبما انا.

ويقول الاصدقاء: "لقد تغيرت." والحق اني ادرك ذلك.

ان علاقاتي مع الآخرين اضحت اقل تعقيداً واكثر نفاذاً. ولم اعد اتوقع ان يحبني احد او يتفق معي او يشاركني في حماستي. ولئن يكن يسرني الحصول على هذه المباهج، الا اني اتقبل حرمانها. ولأني لم اعد اخشى انساناً، فقد بت اكثر

استعداداً لاصرح بما في خاطري.
ان ادراكك معنى الوقت الاضافي يبدلك حتماً.
فانت، اذذاك، تصبح غيوراً على صحتك، محافظاً على لياقتك البدنية، ساعياً الى تجميع اكبر مقدار ممكن من الخبرات.
وها هو زميلي في الوقت الاضافي جو سكينر-لا يزال حياً ومعافى، تزيده الايام قدرة على الرقة والغفران والكرم. وهو في التاسعة والثمانين ويولي صحته عناية فائقة. ويقرأ جو بنهم ويطلع على الأحداث المستجدة ويواجه الحقيقة بثبات ولا يعرف الخوف طريقاً اليه ويضحك بسهولة، وهو رائع المعشر.
اني لا احاول اجتذاب الناس الى عقيدتي. غير اني لا افهم لماذا يسيء معظم الناس استعمال صحتهم ويحرقون ارواحهم سدى.
انا وصديقي جو سكينر نعرف سر الوقت الاضافي الذي ليس هو بسر على الاطلاق.
ان كل حي يعيش معجزة الحياة يوماً بعد يوم. فعليك، يا اخي، ان تقدر لحظتك ويومك، لأننا كلنا نعيش وقتاً اضافياً!

■ بيل وورنوك



من اجل السجادة...

وُضعت في غرفة انتظار احدى العيادات الطبية الملاحظة الآتية: "من اجل تجنّب الثقوب في سجادة العيادة وفي رئاتكم، يرجى الامتناع عن التدخين".

ا.هـ.ب.

مثلث الاشغال

سألت السكرتيرة الرّجُل الذي يتكلم على الهاتف: "أأنتَ بائع أم جابي ضرائب أم صّديق لرب العمل؟"
- إنني الثلاثة معاً.
"إذاً هو في اجتماع، وهو مسافر خارج البلاد، وهو سيراك بعد ربع ساعة."

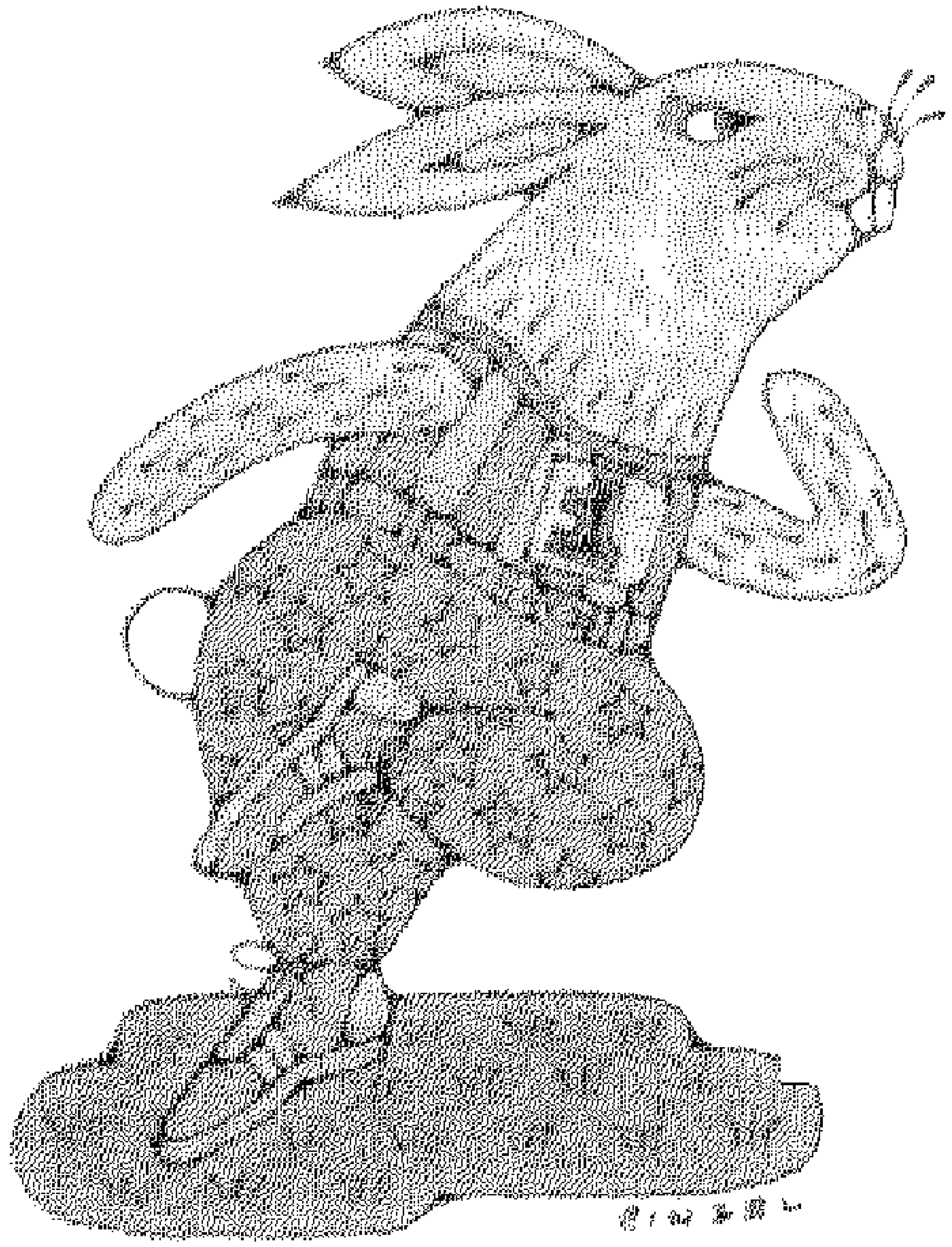
ك.ا.ن.

اقوى من الارق

وصف احد الرجال العلاج الآتي للارق:
اذا كنتُ في السرير ولم استطع النوم، طلبتُ من زوجتي ان تقول لي: "هناك عدد من الشؤون المنزلية التي اود ان نتكلم حولها الآن". وقد بينت التجربة اني استغرق في النوم خلال بحث المسألة الاولى.

س.ل.غ.

انها مبادىء يلجأ اليها رجال الاعمال الناجحون...
فلماذا لا تعتمدها أنت أيضاً؟



٦ مبادئ للنجاح

ح □ حين وجد الطالب جاي ليدن عملا في مرأب للسيارات في هيوستون (تكساس) وهو في سنته الجامعية الاولى، لم يكن الطالب الوحيد الذي تعينه ادارة الجامعة على تأمين عمل خلال العطل. غير ان ليدن اعتبر ذلك العمل مهنة. وبعد شهرين بات مسؤولا عن مرأبين يعملان لحساب شركة "اولرايت اوتو باركس". وهو اليوم في السادسة والثلاثين، وقد غدا رئيساً للمؤسسة التي تدر مئات الملايين، وهي كبرى الشركات التي تملك مواقف للسيارات في العالم.

□ بعد تخرجها في جامعة فاندربيلت (ولاية تينيسي) التحقت جين ايفانز بأحد فروع شركة "جينسكو" للاحذية. وفي الخامسة والعشرين غدت مديرته. وفي الثلاثين عُهدت اليها رئاسة شركة "باتيريك" لتسويق الازياء. وبعد ست سنوات أصبحت نائبة الرئيس التنفيذية لمجموعة "جنرال ميلز" للازياء التي يبلغ دخلها السنوي ٦٥٠ مليون دولار.

هناك روايات كثيرة كهاتين. وكلها تعطينا عبرة قيمة واحدة، وهي أنّ مباشرتنا عملا جديداً قد ترسم طريقنا كلها نحو النجاح، سواء أكنا نعمل للمرة الاولى أو نبدل عملا بآخر. وكلما ازدادت سرعة النجاح انتقل المرء من هدف الى آخر أعلى منه. أما البداية المتعثرة فتضعف الطموح.

وفي دراستهم عدداً من الشركات

الكبرى، وجد خبراء الادارة ان المؤسسات المتطورة تصدر أحكامها باكراً على موظفيها الجدد، وأن هذه الاحكام، بصرف النظر عن دقتها، تغدو برامج عمل لهؤلاء. وفي ما يأتي ستة مبادىء يعتمدها رجال الاعمال الناجحون ويمكنك احتذاؤها اذا شئت ان تضع نفسك على طريق بداية جديدة:

١. ليكن ظهورك على الساحة باكراً

وجد جاك آلبريكت نفسه ضائعاً وسط عدد من موظفي الدعاية الشباب في شركة اعلان في مدينة نيويورك. وقد عُهدت اليهم دراسة طرائق عمل بائعي الادوية. غير أن مديري الصيدليات ظلوا يصدونهم لكثرة مشاغلهم.

وأخذ آلبريكت على عاتقه اعتماد طريقة جديدة. ومن أجل تنفيذها استعار معطفاً رسمياً تعلوه ياقة مخملية، واكترى سيارة يقودها سائق طلب منه آلبريكت أن يوقفه أمام كل صيدلية على نحو يمكن ان يلاحظه موظفوها.

وكان لتلك الزيارات الرسمية أثر ايجابي لدى معظم مديري الصيدليات الذين زودوا آلبريكت بالمعلومات المطلوبة. وهكذا حصل على وظيفة حساسة في شركته.

٢. اعمل فوق ما هو مطلوب

بعد تخرجه في كلية الاعمال التابعة لجامعة هارفرد، باشر فيكتور كيام العمل لدى شركة "ليفر براذرز" لتوزيع أدوات الصحة والتجميل على محلات البيع بالتجزئة. ولم يكن تحرى موهبته في البيع، الا أنه عقد العزم على النجاح. وفي حين خصص زملاؤه ثلاثين أو أربعين ساعة للعمل الاسبوعي، ظلّ هو يعمل اثنتي عشرة ساعة يومياً ستة أيام في الاسبوع. وهكذا تجاوز المطلوب وتسلق سلم النجاح في تلك المؤسسة. وهو اليوم رئيس شركة "منتوجات رمنغتون."

٣. اطلع جيداً على الوضع

قطعت ليليان غريف عملها الصحافي لتُنضمّ الى شركة "كليفلاند" المصرفية. وهي تقول: "قررت أن أمضي معظم الاشهر الثلاثة الاولى في الاطلاع على شؤون المصرف التي لا يعرفها الآخرون."

وهكذا باتت، اضافة الى عملها، تنتقل من ركن الى آخر يومياً وتدرس أسماء الاقسام المختلفة ومواقعها. كما كانت تتحدث مع موظف من كل قسم ليُطلعها على ما يجري هناك، بطرحها السؤال الآتي: "ما الذي تفعلونه بالتحديد في هذا القسم؟"

وفي نهاية الاشهر الثلاثة بات العديد من قدامى الموظفين يأتي اليها لتمده بالمعلومات السريعة والدقيقة. وسرعان ما أصبحت مديرة للعلاقات العامة في المؤسسة.

وهي لا تزال تذكر بساطة طريقتها كأنها لا تصدق ما حصل: "كل شخص يمكنه ان يفعل ذلك في مؤسسة كبيرة. وهو ليس بالعمل الشاق، غير ان نتائجه رائعة."

٤. قل "حتماً" وتأكد لاحقاً

مديرو الاعمال يقدرون الموظف الجديد الذي لا يتردد أمام الامور

المستجدة، بل يقبل التحدي ويتابع طريقه. وهذا مثل هوارد فاولر عامل الانشاءات المتمرس الذي حصل على وظيفة في مصنع في مدينة تمبل (تكساس). وهناك عهدت اليه مسؤوليات هندسية عامة داخل المصنع. وذات يوم أرسل رئيس الشركة احد معاونيه يطلبه. وقال له الرئيس: "اننا نحتاج يا هوارد الى بكرات للفّ الورق أفضل من التي لدينا. فهل يمكنك صنعها؟"

وبعد صمت أجاب فاولر: "حتماً يا سيدي." وهو يتذكر ذلك اليوم بقوله: "لم تكن لديّ أقل فكرة عما يجب فعله. غير اني لم أشأ ان أقول لا."

وبعد سلسلة تجارب توصل الى صنع الآلة المطلوبة. وسرعان ما غدا فاولر مهندساً في أحد أقسام المصنع، ثم مدير القسم الهندسي كله.

٥. زد حماستك

ان موظفاً جديداً مقداماً من شأنه بثّ الحماسة في المؤسسة كلها. لكنّ الحماسة تعلو وتهبط. وهنا طريقة لابقائها متقدة: اذا شئت ان تكون متحمساً، فتصرف كما لو كنت كذلك. وهذا كفيل بايقاظ الحماسة الداخلية التي ستفعل فعلها في زملائك ورؤسائك. وستجد ان أحداً من الموظفين القدامى لن يتوانى عن مساعدتك.

٦. لا تخشَ تبديل طرائقك القديمة

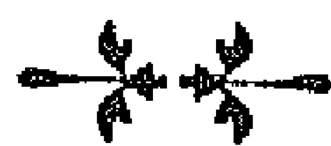
عندما باشر جيري سيمبسون برنامج تدريب المهندسين في شركة "امباير" للغاز والوقود في بارتلز فيل (اوكلاهوما) كان ينتظر بفارغ الصبر فرصة لاستخدام معلوماته الهندسية التي اكتسبها ايام الدراسة. لكنه وجد نفسه، وهو يمارس نشاطه الاول في ذلك البرنامج، أسيراً ضمن جدران أحد المشاغل يعد الاجزاء المطلوبة من هذا الشيء وذاك. وتلت ذلك نشاطات مماثلة.

وقال لنفسه متذمراً: "أيجوز أن يستمرّ هذا الانحراف عن الخط الصحيح شهراً بعد شهر؟"

وابتكر طريقة يزن بموجبها تلك القطع بدلا من عدّها، ثم يترجم الوزن عدداً. وحين وجد وكيل العمل أن سيمبسون أنجز واجباته في جزء من الوقت المحدد، أحاط أحد رؤسائه علماً بمقدرة المهندس الشاب. وللحال نُقل سيمبسون من داخل المصنع الى المشاريع الميدانية خارجه. وما لبث أن عُين مديراً لأحد الفروع.

ان أهمّ ما يجلبه النجاح السريع هو ذلك الشعور بالانتصار الذي يغدقه على صاحبه. واذا كنت بطيئاً في سعيك الى النجاح، فلا شيء يمنع أن تبدأ عملك صباح غد كما لو كان يومك الاول في مصلحة جديدة.

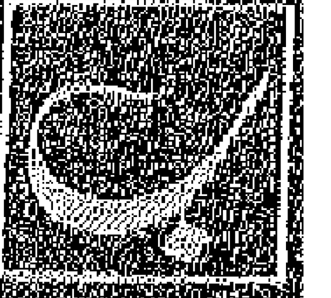
■ وليم ايليس



حديقة العالم

لا تبرر الانانية بتبني الرأي القائل ان العالم الذي نعيش فيه أشبه بالغاب. فهذا نفسه يمكن أن يكون حديقة. والامر متوقف علينا: أنريد أن نغرس ونروي أم أن نقتلع ونعيث فساداً؟

س.ه.



بدأ كل ذلك عندما رنّ الهاتف في امسية من شهر فبراير (شباط)، وكانت المخابرة من مؤسسة سايديراسافنيد وهي حديقة حيوان ومربى مائي في ايسلندا تقوم على ساحل صخري يبعد كيلومترات قليلة عن العاصمة ريكيافيك، ويضم ذلك المربى المائي، على صغره، مجموعات ثمينة من ذكور القفمة وإناثها كما يحوي حوضين لإيواء الحيتان السود الضارية، وتسمح السلطات الايسلندية بامساك ما يراوح بين أربعة حيتان وثمانية من هذا النوع سنوياً بشرط إطلاقها لاحقاً في البحر.

وكان مدير المؤسسة جون غونارسون على الخط الآخر يعرض علي مشكلته: فالحيتان الخمسة التي

اختصاصي في امراض الحيوانات يطير من بريطانيا الى ايسلندا لمعالجة الحيتان السود الضارية

التقطها الخريف الماضي هلك واحد منها واعتلت الاربعة الأخرى بمرض مجهول، وطلب الى مواهاتو سريعا.

وبعد حجز مقعدي على الطائرة لصباح اليوم التالي طفقت أتفحص الحقن العملاقة التي حضرت بناء على طلبي لغرزها تحت جلود الحيتان والتي يبلغ طول ابرة الواحدة منها ثلاثين سنتيمترا.

ولدى هبوط الطائرة في مطار كيفلافيك كانت الريح تضرب الأرض الجرداء التي يغطي قشرتها الجليد. وكان غونارسون في انتظاري، وتوجهنا على الفور الى سابديراسافميد التي ربما تكون أفقر حديقة حيوان في العالم. هناك يرى المرء الأغنام والأفراس القزمة تلتهم أسماك الرنكة الموضوعة في علفها.

قضية الحيتان السود



وقد تعلمت حيوانات ايسلندا قبل زمن طويل الصمود في الشتاء القاسي. وعلى الشاطىء مباشرة تقوم بركتان للحيتان مبنيتان بالصفيح. وأخذني جون لالقاء نظرة على الحيتان فيما هرع ابنه غونار نحونا يقول: "ثمة نبأ سيىء، لقد نفق حوت آخر."

شقوق عميقة ـ صعدنا الى الشرفة لنراقب الحيتان منها. وطيرت الريح رذاذ الماء القارس من البركتين الى وجوهنا. هناك كانت ثلاثة حيتان صغيرة تتحرك ببطء وسط المياه فيما جر الحوت النافق الى الحائط منعاً لغرقه.

وسألت جون وانا اصرخ وسط الريح المعولة: "ما الذي اهلك الحوت الاول؟"

ـ لقد اصابته سكتة قلبية.

"وأنت تقول ان الحيتان الاخرى عليلة. فما الذي لاحظته عليها؟"

ـ انها بطيئة ولا رغبة لديها في الحركة أو في الطعام. ويبدو انها مصابة بداء جلدي.

وبينما طفت الحيتان كي تتنفس لاحظت ان الماء لا ينزلق فوق جلودها التي ينبغي ان تكون في ملوسة المرآة. وامكنتني رؤية اثلام في ظهورها وزعانفها. وقلت لصديقي: "يجب إفراغ البركتين من الماء لتتسنى لي مراقبة الحيتان عن كثب. ولكن دعنا اولا نشرح الحيوان النافق."

وتشريح الحيتان امر مرهق نظراً الى ضخامتها. إلا أن الموظفين في دائرة الطب البيطري في ايسلندا اعانونا في عملية النشر وراحوا يصبون الماء الساخن على يدي لاذابة الجليد خلال التشريح. واتاحت لنا الدائرة فحص الاعضاء الداخلية في مختبراتها كما زودتنا بشراب منشط خلال العمل هو الشاي القوي الذي يحوي مادة البرينيفين المدفئة.

وجاءت النتيجة تقرع ناقوس خطر، إذ ظهر ان "ذات الرئة" هي العلة الاولى للوفاة. ولكن ماذا عن الجلد؟ فهو في حال يرثى لها إذ ان بعضه ميت وبعضه مقشور وشقوقه تبلغ خمسة سنتيمترات عمقاً في مساحات واسعة. وقد شاهدت قطرات من الدم والشحم تسيل من بعض الشقوق. وليس معقولا ان يكون سببها الخدوش التي رافقت عملية القبض على الحيوانات ونقلها. ولم يظهر انها امراض جلدية او ضروب من الفطر.

فجأة عرفت أمر تلك الشقوق. إنها نتيجة لقضمة الصقيع الناجمة عن التعرض لحرارة دون درجة التجمد. وكنت رأيت شبيهاً لها في حدائق حيوان اخرى، خصوصاً لدى صغار حمر الوحش وسعادين الرباح (بابون). ولكن لم يدر في خلدي البتة أنها قد تصيب هذه المخلوقات العاتية في ابرد بحار العالم.

قضمة صقيع ـ افرغت البركتان وبقيت الحيتان في ماءبحري ضحل لا يتجاوز المتر الواحد ارتفاعاً. واستعرت حذاء لخوض الماء ونزلت بين الحيتان. وراحت ركبتاي ترتعشان وسط الصقيع وأنا افحص تلك الحيوانات.

Condensed from «Next Panda, Please,» copyright (c) 1982 by David C. Taylor, published by Allen & Unwin Publishers Ltd., London.

وانحنيتُ لشم زفيرها، فاذا باثنين منها يتمتعان بنفس طبيعي عذب بينما تصاعد من الثالث نفس كريه. وكانت جلودها جميعاً مشققة كجلد الحوت النافق الذي شرحناه. ومن الطبيعي ان يكون جلد الحوت الاسود السفاح بارداً. لكن جلود هذه الحيتان الثلاثة كانت ابرد من المعتاد إذ تجمد النسيج الحي الذي يغطي أجسامها.

وفحصت رئتي الحوت ذي النفس الكريه وقلبه بالمسماع، ووجدت دلائل اولية على الالتهاب الرئوي. وحملت لوحة زجاجية فوق منخره وانتظرته كي يفرز الجراثيم عليها ليتم حضنها واختبارها بعد ذلك.

وفكرتُ في غرابة الامر وأنا اضغط خد الحوت برجلي الخدرتين. فقبل وقت ليس بطويل كان هذا الحيوان ذو الاسنان الثمانية والاربعين المخيفة في البحر لا يجد اي صعوبة في الانقضاض على فرائسه. ولكن ها انا امامه الآن لقمة سائغة وهو لا يبدي ادنى اهتمام في الهجوم.

وطلبت من جون وابنه غونار أن يرفعا احد فَصَّي ذنب الحوت فوق الماء لأتمكن من سحب عينة من دمه. ومن أجل مكافحة "ذات الرئة" حقنته بالدواء في عمق عضلاته القَطَنية وهي تلك الواقعة في اسفل الظهر. وكانت شقوقه الجلدية تحتاج الى مرهم "الديرموبيون" المعروف في بريطانيا. وأوصينا باحضار كمية منه. وفي انتظار وصولها عالجته بخليط من "السلفوناميد" ومراهم الجلد النسائية.

وبعدما تسلقنا السلم سألني جون: "ما هو تقديرك؟"

ـ إنها قضمة الصقيع.

"وكيف يحصل هذا للحيتان السفّاحة التي تعيش حياتها في البحار الجليدية؟"

ـ لا تنسَ ان الجلد المتشقق كان فوق الماء. والذي يسبب قضمة الصقيع ليس الماء، بل الهواء. ومياه البحر اقل برودة من الهواء الجليدي وهي لا تؤذي الحوت المفعم بالنشاط. وينبغي ان يكون حدث شيء في البركة لا يمكن حدوثه وسط البحر.

"وما هو هذا الشيء؟"

ـ حسناً، كيف كانت حال الطقس قبل ان تظهر الشقوق في جلود الحيتان؟

العالم الطبيعي ـ تذكر جون ان الاسبوع الذي سبق المشاكل كان بارداً على نحو غير عادي وقد تخللته رياح جليدية. "كما حدث شيء لا اذكر حدوثه من قبل. فالثلج الذي سقط في البركة لم يذب، بل كون طبقة طرية كالعصيدة على السطح كانت سماكتها تراوح بين خمسة سنتيمترات وعشرة وان تكن اقل سماكة فوق الحيوانات مباشرة."

ـ وهل حاول احد كسر تلك الطبقة؟

"حدث ذلك ليلا. وفي الصباح توليت بنفسي كسر الجليد."

وقضمة الصقيع لا تحصل في البحر لأن الحيتان تكون هناك تحت الماء معظم الوقت. وفي بروزها فوقه للتنفس لا تبقى سوى فترات قصيرة جداً. إلا ان حيتان جون تعرضت لغير

عامل سلبي. فهناك البركة المترعة الواقعة تحت رحمة تيارات الهواء الباردة، وهناك الحيز الضيق الذي يقلص الجليد مساحته اكثر فأكثر. اضف الى هذا وذاك ان بداية التشقق حصلت في الطريق من البحر الى البركتين وان خلايا الجلد ماتت على اثر تجمد "البروتوبلازما "الحية داخلها.

وبات السؤال متعلقاً بالحيتان الثلاثة الباقية. وبعد الاجتماع بالاطباء البيطريين المحليين قررنا التصدي لجميع الامراض الداخلية التي منيت بها الحيتان، مثل "ذات الرئة"، وترقيع جلودها ثم اعادتها الى البحر. ورحت أحقنها يومياً بالعقاقير الضرورية مما زاد حركتها وشهيتها. وبعد وصول الديرموبيون حقنتها جميعاً في اعماق جلودها.

وبعد اسبوعين من التطبيب سرّنا ان تكون حال الحيتان تحسنت بحيث بات من الممكن إعادتها الى عالمها الطبيعي. وانقص جون ورجاله كمية الماء في البركة ثم دلوا شباكاً تحيطها حرامات صوف ناعمة. ورُفعت الأشراك الى شاحنة نقلت الحيتان الى قارب راس في مرفأ هافنارفيوردهور القريب. وابحر جون بالقارب نحو ثلاثين كيلومتراً من ثغر الميناء، وهناك دلى الشباك.

وفي الصباح التالي أفاق سكان البلدة ليجدوا ثلاثة حيتان سفّاحة في المرفأ تسبح من سفينة صيد الى اخرى طلباً للطعام. وقلق جون لذلك تقديراً منه ان معاملتنا للحيتان سلبتها استقلالها وقدرتها على الصيد. ووقف يطلب الى المواطنين ألا يطعموا تلك الحيوانات.

وكانت الساعات الأربع والعشرون اللاحقة قاسية على ذوي الأفئدة الرقيقة. فقد استلقت الحيتان على ظهورها وهي تحدق الى الناس بأعين ملؤها الدمع. وفتحت افواهها الزهرية وأصدرت صرخات طويلة حادة. غير ان المواطنين قسوا قلوبهم وقاوموا عواطفهم.

وفي الصباح التالي كانت الحيتان غادرت المكان. ولم يبصرها احد بعد ذلك. ويغلب على الظن انها خلال الليل تداولت بلغتها الخاصة محنتها الآتية من تقلب افكار الناس. وتحت وهج النجوم باشرت إبحارها نحو ضفاف غرينلاند الزاخرة بأسماك الرنكة في ذلك الفصل. وفي تقديري ان تلك الحيتان الثلاثة التي التأمت جروحها ما زالت تسبح وتصطاد وتقفز الى سطح الماء لتتنشق الهواء بعيداً عن اليابسة.

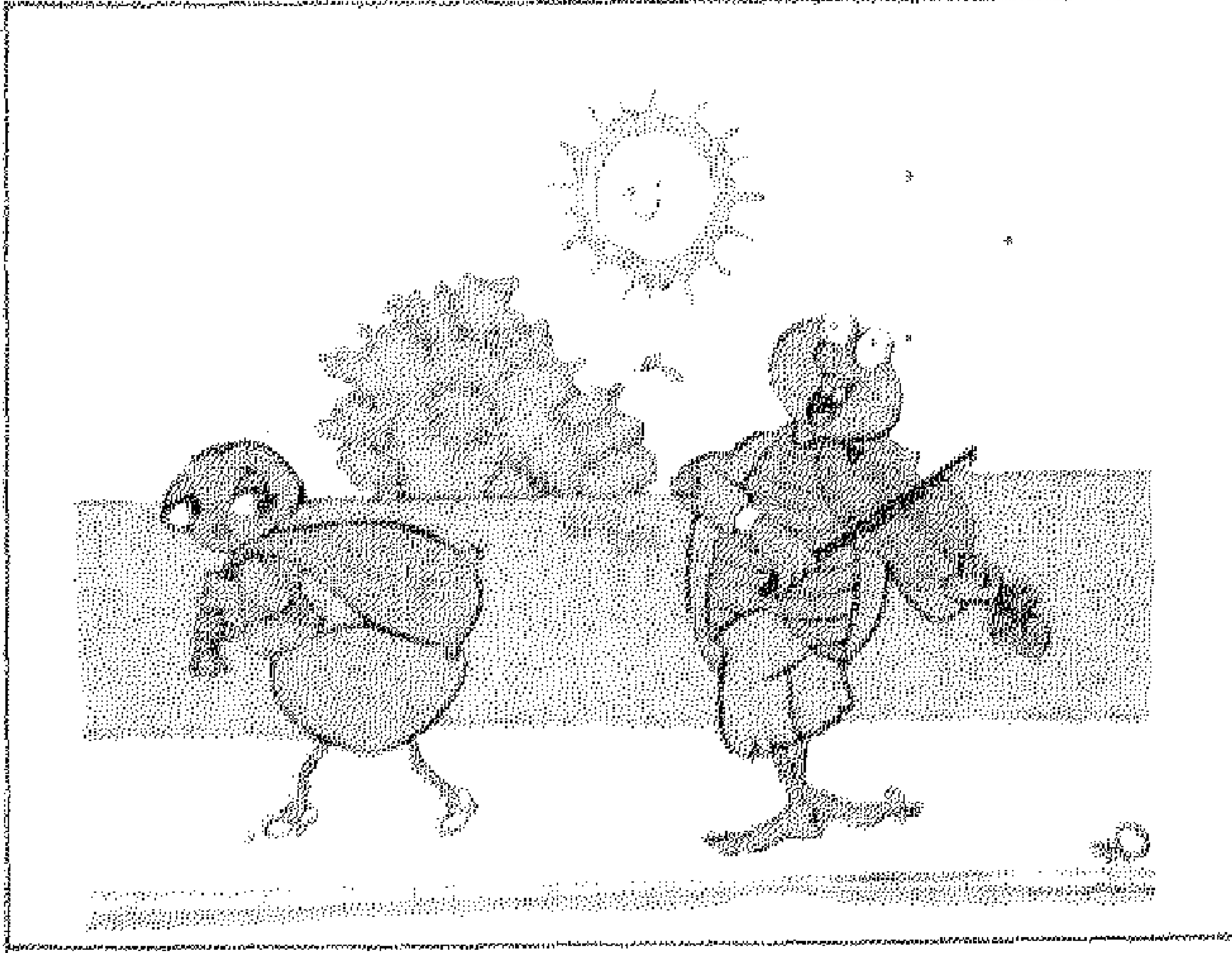
■ ديفيد تيلور



متعة الكتب

أن تجلس تحت نور المصباح وتضع أمامك كتاباً تفتح بواسطته حواراً مع اناس غير منظورين هو أن تتيح لنفسك متعة لا تضاهى.

ي.ك.



حديقة أفكار

أكمل أيام حداثتنا هي تلك التي نظنها مرّت من غير ان نعيشها بملء. انها الايام التي أمضيناها في رفقة كتبنا المفضّلة.

مارسيل بروست (قصصي فرنسي)

لا تتكلم عن عطف مهدور. فالعطف لا يُهدر البتة.

هنري لونغفيلو (شاعر امريكي)

كل ما يزعجنا في الآخرين قد يوصلنا الى فهم ذواتنا.

كارل يونغ (عالم نفس سويسري)

اذا تسلمت هدية أحدهم اليك بفرح وشكر ـ وان لم يكن لديك ما تعطيه في المقابل ـ فقد اهديت اليه ما يستحق ويرجو.

ليه هانت (كاتب وشاعر بريطاني)

ما ان يرغب المرء شيئاً حتى يؤمن به على الفور.

ديموستين (سياسي اغريقي)

أقوى اختبار للشخصية ليس قياس قابلية المرء لحفظ الاسرار، بل احجامه عن الاقرار بمعرفتها بعد افشائها.

س.هـ.

المتعصب شخص يعجز عن تعديل أفكاره ويرفض تبديل الموضوع.

ونستون تشرشل



عا
المتحركة امتزج الفن
بالخيال الاوسترالي وابدع
الفنان العبقري من
الخشب ابطالا محببين

ناس من خشب

دخلت السيارة المهشمة الصفراء ساحة الملعب في مدرسة بيل بارك نورث الابتدائية، فلحق بها الاطفال صائحين: "سيارة الدمى! سيارة الدمى!" وبعد ذلك جلس اكثر من مئة طفل على الارض متزاحمين

ومتهامسين ينظرون بترقب الى رجل طويل القامة، اشقر الشعر، يضع نظارات سوداء ويتمشى حول منصة تتدلى فوقها ستارة.

دخلت السيارة المهشمة الصفراء ساحة الملعب في مدرسة بيل بارك نورث الابتدائية، فلحق بها الاطفال صائحين: "سيارة الدمى! سيارة الدمى!" وبعد ذلك جلس اكثر من مئة طفل على الارض متزاحمين ومتهامسين ينظرون بترقب الى رجل طويل القامة، اشقر الشعر، يضع نظارات سوداء ويتمشى حول منصة تتدلى فوقها ستارة.

قال الرجل للاطفال: "سترون بعد قليل جماعة تنتوكيز، انهم الاقزام الذين يقطنون التلال الرملية." ثم صدحت موسيقى عسكرية من آلة تسجيل وبدأ رجل الدمى عرضا جديدا.

رجل الدمى هذا هو بيتر سكريفن (٤٧ سنة). واشهر الدمى التي ابتدعها كانت الجنيات الاوسترالية الصغيرة التي دعاها "تنتوكيز" والتي سحرت الاطفال في بلدان كثيرة خلال اكثر من ٢٠ سنة. وفي ثلاث مناسبات رعت الحكومة الاوسترالية دمى سكريفن كفن معبر عن التراث الاوسترالي، خلال جولات في آسيا، الموطن القديم لفن الدمى المتحركة. اما اليوم، فأن سكريفن يمزج الفن الآسيوي بالخيال الاوسترالي. فكل دمية في العرض صنعت بايدي حفاري خشب قرويين من سري لانكا.

ولا ريب في ان مشاهدة هذه الدمى الخشبية المتحركة تجربة ساحرة. يفتتح العرض بدمية تمثل احد سكان اوستراليا الاصليين بخدين منتفخين وعينين متقلبتين ولهجة اوسترالية مميزة. بعد ذلك يوقظ سكريفن بلطف كوالا (★) صغيرة نائمة في مؤخرة المسرح. تنهض الكوالا وتفرك عينيها. ويبلغ سحر التمثيل حداً يوهم المشاهدين بأن هذا الحيوان يبتسم لهم بدهاء. يحملق الصغار في الدمى مأخوذين حتى انهم لا يلاحظون محركها الواقف امامهم بلا قناع يتلاعب بالاسلاك المتشابكة.

تتحول الموسيقى نغمة مزمار بحار، وتخرج دمية بدينة ناهد مطلية بلون نحاسي لماع، يشاركها في الرقص شاب ترتسم على وجهه علائم الغباء ويرتدي قميصاً مقلماً. يشتمل الرقص على كثير من الحركات المضحكة فيقهقه المشاهدون. وعلى رغم اصلها الآسيوي، فان الدمى تبدو ذات طابع اوسترالي فكاهي مميز: خدود منتفخة وانف ضخم وعيون بارزة.

يشهق الاطفال عجباً ومرحاً حين يشاهدون عازف ناي بديناً قصير القامة يتمطى كالأفعى خلال النفخ حتى يبلغ ضعفي طوله كلما ارتفعت نغمة الناي. وأحب الدمى الى الاطفال حيوان جرابي من فصيلة الابوسوم له قلب في شكل قطعة حلوى حمراء وينشد للاولاد أغنية تقول: "هناك

(★) حيوان اوسترالي جرابي صغير.

مكان سري في قلبي." كذلك سام، وهو طويل القامة رفيعها ولكن له يدان وقدمان مفرطة في الضخامة. هذا لا يفعل شيئاً سوى التلويح بيديه في خجل ثم التراجع والاختباء خلف ساقي مبدعه.

فتوة بائسة - بالنسبة الى بيتر سكريفن، فن الدمى هوس يستحوذ على مشاعره. وتعود بداية تعلقه به الى ايام فتوته التعسة التي كانت تشبه فتوة ابطال روايات تشارلز ديكنز. فهو ولد لعائلة ثرية في ملبورن، وترعرع واخاه مايكل بين مربيات ومعلمين خصوصيين في بريطانيا ثم في القصر العائلي في مونت أليزا في ولاية فيكتوريا الاوسترالية. وعندما بلغ بيتر الثامنة من عمره توفي ابوه. وفي العام ١٩٤١ اصبح الولدان طالبين داخليين في مدرسة غيلونغ الابتدائية الخاصة.

بعد سنتين جاءت امهما الى غيلونغ لاخراجهما من المدرسة. وهي كانت مصابة بانهيار عصبي جعل سلوكها شاذاً وغريباً. وفي محطة القطار فر مايكل هارباً ولم يقيض لبيتر ان يراه ثانية الا بعد عشر سنين. وكان مايكل تدبر مع عمتيه امر البقاء في المدرسة.

قضى بيتر السنوات الاربع التالية مع أمه المختلة متجولا في خيام وسيارات نوم في انحاء ولاية فيكتوريا. وهو حاول مرة ان يدخل أمه مستشفى للامراض العقلية، ويقول: "جميع الناس اعتبروني قاسياً عاقاً. ولكن لو تسنى لها تلقي العلاج المناسب لمرضها العقلي، لرفع عنها ما لاقته من بؤس خلال سنوات الضياع والتشرد تلك."

عندما بلغ بيتر السادسة عشرة من عمره قررت أمه الابحار الى نيوزيلندة. لكن الفتى لم يعد قادراً على الاحتمال، فتعمد التأخير كي يفوته المركب الذي أبحر بأمه وحدها. وهو لم يرَها بعد ذلك. ثم وجد عملا في متجر للحيوانات الاليفة في ملبورن، وكان ينام تحت طاولة المتجر على غرار اوليفر تويست في قصة تشارلز ديكنز. واخيراً عثرت عليه عمته وادخلته مدرسة هانتنغتون تاور الخاصة.

غير ان عالم مسرح الدمى كان استحوذ على تفكيره، فأقنع صاحب مسرح صغير في ملبورن باعطائه عملا نهار السبت كمتدرب على تحريك الدمى. ولما أصرت ادارة المدرسة على ان يخصص ايام السبت ايضاً للدراسة، رفض الانصياع للامر فطرد. في اليوم نفسه أبلغه مدير المسرح ان مهارته هي دون المستوى المطلوب وانه لن يحقق اي مستقبل ناجح كمحرك دمى. ولكن على رغم معارضة اقربائه واصل بيتر صنع الدمى وتقديم عروض في حفلات للاطفال.

لكنه كان يحتاج الى عمل يعتاش منه، فعمل مدة سنتين مذيعاً في احدى محطات البر الاوسترالي. وعند بلوغه العشرين وجد نفسه في عداد فرقة عرض جوالة كمساعد لمشعوذ يدعى غراند ليفانت. بعد ذلك توجه الى اوروبا ليعمل في مسارح الدمى هناك. وعند عودته الى اوستراليا

استعان ببعض ما ورثه من مال العائلة لينظم عرضين كاملين في ملبورن وسيدني. وبعدما نجح العرضان ارتسمت في مخيلته صورة "تنتوكيز".

يقول بيتر الآن: "كنت أقدم قصصاً خرافية على غرار هانسل وغريتل." لكن النجوم التي ابدعها، مثل كرامبي كوالا وبانجي بوسوم وويلبي ومبات، جعلت عروضه الاولى تجتذب المشاهدين حتى اكتظت بهم المسارح في انحاء اوستراليا عام ١٩٥٦. وعقبت ذلك عروض حققت نجاحاً كبيراً مثل "فيلا بندي الصغيرة" و"المكتشفون" و"الفطيرة السحرية."

ساعد بيتر في عمله بولوني موهوب بتشغيل الدمى يدعى أيغور هايشكا، وأصبح محرك دمى رئيسياً لديه. وفي احد العروض سقطت ذراع احدى الدمى لدى مرورها على المسرح. وفي حين تابع المحركون الآخرون تسيير دماهم متجاوزين الدمية المنكوبة، جعل أيغور الموهوب دميته تقف وتنحني لتتفحص الذراع المقطوعة ثم تظهر امارات الهلع وهي تدور حولها على رؤوس اصابعها في اهتمام وقلق.

يقول سكريفن: "ليست المسألة مجرد جذب اسلاك او تحريك ذراع او ساق. على محرك الدمية ان يؤمن التوازن فتتحرك هذه كسواها ثم تبدأ اتخاذ طابعها الخاص. وفي وسعك ان تصنع ٤٠٠ دمية متشابهة ظاهراً، ولكن لا يمكن ابداً ان تجد اثنتين متشابهتين تماماً. قد امثل الدور ذاته ٢٠٠ مرة، وفي كل مرة يحدث امر غير متوقع."

الفنان المغامر – في العام ١٩٦٥ اصبح بيتر سكريفن ومجلس الفنون في اوستراليا (قسم نيو ساوث ويلز) ومؤسسة المسرح الاليزابيثي الاوسترالي شركاء في ملكية "شركة تنتوكيز." وأبدل اسم الفرقة فدعيت "مسرح اوستراليا للدمى،" وغدت بعد وقت قصير اكبر شركات الدمى الجوالة في العالم.

سكريفن هو المدير الفني، وهو يستخدم ١٠٠ دمية يحركها نحو ١٢ شخصاً. يختفون على منصات ترتفع مترين فوق ارض المسرح. الرحلة الاولى الى آسيا عام ١٩٦٧ حققت نجاحاً كبيراً اذ سجلت اصوات الدمى بـ ١٤ لغة مختلفة. وعندما قدمت فرقة "تنتوكيز" في الهواء الطلق عرضاً في مدينة مندلاي شمال بورما، حضر الحفلة ١٠ آلاف مشاهد اجتاز بعضهم مسافة اربعة او خمسة ايام على عربات تجرها الثيران.

وفي العام ١٩٦٩ شب حريق في مخازن المؤسسة فأتلف ٤٠٠ من دمى سكريفن بلغ ثمنها ٤٠ الف دولار اوسترالي (نحو ٤٢ الف دولار اميركي) وهي ثمرة جهد ١٢ سنة.

أصيب بيتر بالقنوط من جراء خلافاته مع الشركة حول التأمين والملكية، فأخذ يقضي معظم وقته في آسيا ولا يعود الى اوستراليا الا ليباشر عروضاً جديدة ويدرب شباناً يافعين على تحريك الدمى.

لمناسبة المعرض الياباني عام ١٩٧٠ في اوساكا، صمم بيتر عرضاً خاصاً دعاه "تنتوكيز عام ٢٠٠٠." وكان هذا يمثل تأريخاً تجريدياً

للعالم. استخدم في هذا العرض دمى دقيقة الجسم، رؤوسها بيضوية بلا عيون ولا أفواه، ومعها مقلد حي ومجموعة تعزف موسيقى جاز عصرية. اثار هذا العرض هلع التقليديين، ولارضاء هؤلاء قدم بيتر عرض "تنتوكيز..." مع نسخة مجددة من مسرحية "الفطيرة السحرية".

ولما عاد الى الطواف في آسيا عام ١٩٧٦، وجد له موطناً جديداً في سري لانكا. فقد اقلقه دائماً انحطاط الحرف التقليدية الاساسية في مهنته. لكنه عثر في سري لانكا على بضع قرى اشتهرت بامتهان حفر الخشب، فأسند الى بعض حرفييها صنع رؤوس الدمى واجسادها واذرعها.

وبعدما جرب بيتر طوال سنوات استخدام البلاستيك والزجاج المغزول، عاد مبتهجاً الى استخدام المواد الطبيعية بما في ذلك نوع من الخشب الرخص يدعى غون ـ كادورو. ولكي يضمن مورداً مأموناً للمستقبل اشترى غيضة من اشجار غون ـ كادورو. وحث حفاري الخشب والمصممين لديه ـ وهم من طلاب الفنون في كولومبو ـ على بث طاقتهم الابداعية في ما يصنعون. وهو يقول: "في احدى المراحل نزع هؤلاء الى نوع من الفن التكعيبي." ومن هذه النزعة خرج الرجل الآلي المدهش الذي ارعب به "توكي" الصغير أفعى جبارة في احدى التمثيليات المخصصة للمدارس.

الافعى هي رائعة فنية ايضاً، فهي مصنوعة من قطع خشب متداخلة ومطلية بالاحمر والاخضر، تتلوى ولها لسان طويل أحمر يبرز وينسحب.

حين يجمع بيتر دماه يبدو كأنه فعلا ينفخ الحياة في تلك القطع الخشبية الغبراء. كرات الطاولة تحشى بأثقال فتغدو مقلا تطرف متقلبة. وألياف النخيل الدقيقة المجففة تصبح شعراً مصففاً. وذات مرة طلب بيتر من احد الحفارين ان يصنع يدين بالحجم الطبيعي، ولم تكن في ذهنه اي خطة محددة. بعد ذلك وجد قدمين كبيرتين وجمع الاطراف الاربعة الى جسد طويل دقيق ورأس مستطيل. وهكذا ولد سام.

تخلى بيتر عن مسرح الدمى عام ١٩٧٧. لكنه عاد اليه وحيداً ليلتقي جمهوره المفضل: الاطفال.

لكن هذا الساحر يعزف الآن لحناً جديداً. انه يبني يختاً بخارياً فيكتوري الطراز طوله عشرون متراً، لينقل مجموعة من دمى تمثل اطفالا أيتاماً وراشدين ذوي طباع غريبة، وذلك لاخراج آخر قصصه التي دعاها "ايتام البحر". وعندما اصبحت هذه جاهزة في اواخر ١٩٧٨، تولت شركة كندية تصوير مغامرات هذه الدمى كشريط وثائقي يوزع في انحاء العالم. وربما وجد بيتر في ذلك موطناً جديداً له ولدماه ـ صالات السينما في ارجاء الدنيا.

■ باميلا فوكس

الهدف الاول لحفلات الاطفال تذكيرنا بأن هناك أطفالا أكثر إزعاجاً من أولادنا.

ل.و.

رغب الموظفون في الاعراب عن تقديرهم لما فعلته شركتهم من اجلهم...
فأهدوا اليها طائرة

عربون شكر

س

شهد ربيع ١٩٨٢ ازمة في صناعة النقل الجوي الامريكية. فالاقتصاد ضعيف وأسعار الوقود مرتفعة ومراقبو الملاحة الجوية مضربون. وللمرة الاولى منذ ٣٥ سنة أعلنت شركة "خطوط دلتا للطيران"، احدى اكثر شركات الطيران ربحاً، خسارة صافية بلغت ١٨،٤ مليون دولار في الفصل الاول من ذلك العام.

وفي بداية شهر اغسطس (آب) بعثت إدارة "دلتا" برسالة مفاجئة الى موظفيها البالغ عددهم ٣٧ ألفاً جاء فيها انهم سيحصلون على زيادة في الأجور بنسبة ٨،٥ في المئة.

وتتذكر جيني ويتفيلد التي عملت مضيفة لمدة تزيد على ١٥ سنة: "لم نصدق بادىء الامر، فقد كنا ممتنين لمجرد بقائنا في وظائفنا. والفضل في ذلك لسياسة ضمان الوظائف في الشركة. وكنا علمنا أن نحو ٤٠ ألف موظف في شركات أخرى للطيران خسروا وظائفهم."

وبعد مضي أيام على اعلان الزيادة كانت السيدة ويتفيلد وصديقتاها جين اونز وديان كارفيلي يتحدثن مع موظفين آخرين أثناء فترة الاستراحة. قالت ويتفيلد: "أود لو نجد طريقة ما لشكر دلتا." وسألها زميل ساخراً: "لم لا تشترين طائرة وتهدينها الى الشركة؟" فأجابه آخر: "إنها فكرة رائعة." وتساءلت اونز وقد اعجبتها الفكرة: "لم لا نشتري أول طائرة بوينغ ٧٦٧؟" مشيرة الى الطراز الجديد من الطائرات المتوسطة الحجم التي كانت "دلتا" تتوقع

تسلمها ابتداء من شهر اكتوبر (تشرين الاول)، واضافت: "ربما كان في وسعنا ان نقدم احدى الطائرات هدية شكر وتقدير."

أثار الموضوع حماسة ويتفيلد واونز وكارفيلي فانطلق يتحدثن عنه مع كل موظف صادفنه وهن يحاولن سبر ردود الفعل. ولم يشاركهن جميع الموظفين في حماستهن، لكن النسوة الثلاث أدركن مما سمعنه من الموظفين، ومعظمهم غير منتسب الى النقابات، انهم يشعرون بأن "دلتا" مهتمة لشؤونهم.

واعتبر بعضهم الفكرة "طموحة جداً"، غير ان زوج ديان كارفيلي شجعهن قائلا: "الفكرة رائعة، وهي جديرة بالمحاولة."

النسوة والرئيس – في الثاني من سبتمبر (ايلول) عزمت المضيفات الثلاث على استطلاع رأي الادارة. ولدى توقف طائرتهن في احدى رحلاتها الى اطلنطا (ولاية جورجيا) اغتنمن فرصة "سياسة الباب المفتوح" التي اتبعتها الادارة العليا في الشركة وطلبن مقابلة روبرت أوبنلاندر نائب الرئيس للشؤون المالية. ولدى سماع أوبنلاندر الاقتراح بدت عليه الدهشة: "اتدرين عن اي مبلغ تتكلمين؟ إنها طائرة بثلاثين مليون دولار!" وشعرت جيني ويتفيلد بالارتياح، فهي ظنت أن الثمن سيكون اغلى.

أخبرت النسوة أوبنلاندر ومساعده رون آلن انهن واثقات من الحصول على دعم ٨٠ في المئة من موظفي الشركة بحلول يوم الطيران ديسمبر (كانون الاول). وعرضن اقتراحاً لتحصيل ثمن "الهدية" باقتطاع نسبة مئوية من اجور الموظفين.

وكان اول ما تبادر الى ذهن أوبنلاندر كمسؤول معني بالأمور المالية الدلالة المادية لهذا العرض السخي. وفي تقديره انه سيؤدي الى حسم ٢،٥ في المئة من الزيادة الجديدة المقررة على الأجور، اي ما معدله ٨١٠ دولارات للموظف الواحد. ولم يثبط ذلك من عزيمة النسوة، فوعدهن أوبنلاندر بالتفكير في الامر.

وبعد أسبوعين أعلمهن أوبنلندر وآلن بموافقة الشركة وشكرها على الهدية الرائعة التي ينوين تقديمها. لكن ديفيد غاريت رئيس الشركة أصر على ان يكون الاشتراك في المشروع طوعاً والا يحتفظ القائمون عليه باي سجلات عن مقدار مساهمة كل موظف والا يوجدوا ميولا أو اتجاهات لدى الموظفين من شأنها ان تقوي المنافسة.

ووافقت الشركة على تحويل احد مخازنها في اطلنطا مكتباً لادارة المشروع، كما سمحت باستخدام شبكة الاتصالات في "دلتا" ومن بينها هاتف خاص، إضافة الى التعاون مع دائرة الرواتب والاجور في الشركة لاجراء الحسم الاختياري من الراتب واسداء المشورة حول الشؤون الفنية والقانونية. (وقد امكن حسم جزء من رواتب الموظفين المشاركين من دون احتساب الضريبة على المبلغ الذي تم اقتطاعه).

وقال الرئيس للنسوة: "والآن، الأمر

على عاتقكن." "نحن لم نسألك المساعدة ولكن نطلب منك مساهمتك المالية كموظف."

متقاعدون وايتام - انطلقت النسوة الثلاث تحدوهن اللهفة الى البدء بالمشروع. ارسلن برقيات مختصرة علقت على لوحات البلاغات في جميع مكاتب "دلتا" الموزعة في نحو ٩٠ مدينة. وفي ٢١ سبتمبر (ايلول) اعلن "مشروع ٧٦٧" كحملة ينظمها الموظفون للاعراب عن شكرهم شركة "دلتا" باهدائهم اليها طائرة "بوينغ ٧٦٧". ودعي المتطوعون الى المساهمة في انطلاقة المشروع، وذكر رقم الهاتف "ب ٧٦٧" لمن يود الاتصال.

وكانت الخيبة الاولى: فقد كادت طائرة الاحلام ان تتحطم قبل اقلاعها. وحسبما تذكر ديان كارفيلي، فقد ظن معظم الموظفين ان الامر لا يعدو كونه دعابة. ولكنه عندما تسرب الخبر الى وسائل الاعلام ابدى بعض الموظفين انزعاجهم لانهم لم يسمعوا به اولا.

ثم ظهرت بوادر مشجعة. فبالنسبة الى بايرون كارول الميكانيكي العامل في الشركة منذ ١٨ عاماً "كانت الفكرة جيدة. فقد أحسنت دلتا صنيعاً لي ولعائلتي، ومدت الي يد العون عندما توفي والدي فاتاحت لزوجتي وأولادي السفر لحضور الجنازة وبعثت برسائل تعزية وباقات زهر. وكان لذلك اثر كبير في نفسي."

اتصل كارول برقم الهاتف "ب ٧٦٧" وتطوع في المشروع متحرقاً الى خدمة "دلتا".

وحبذ جيف بورويت الفكرة لكنه بقي حذراً، فقصد مكتب رئيس الشركة وسأله: "الناس يريدون ان يعرفوا، أأنت صاحب الفكرة؟" وأجابه الرئيس: "لا، لكني كموظف، أؤيدها مئة في المئة." وعلى الاثر ذهب بورويت الى مكتب المشروع وعرض مساعدته.

طلبت النسوة الثلاث من كارول وبورويت الانضمام الى فريق "مشروع ٧٦٧" وهي لجنة من ١٦ عضواً مركزها اطلنطا وتضم ممثلين عن معظم الاختصاصات في "دلتا". وعلى رغم العقبات التي واجهتها اللجنة في البدء فقد أعدت خطة متكاملة واتفقت على عقد اجتماع في اطلنطا في اكتوبر (تشرين الاول). وكانت واثقة من ان دعم الموظفين للمشروع سيزداد من خلال نشاطاتها.

بعد ايام دخل مفتش الصيانة المتقاعد المر كريبس مكتب المتطوعين ووقع حوالة لحساب المشروع. فاعترضته احدى المتطوعات قائلة: "لا يمكنك ان تفعل ذلك. فنحن لسنا هنا لتلقي الهبات، والمشاركة مقتصرة على الاقتطاع من الرواتب."

غير ان كريبس قال: "اسمعي يا صغيرتي، لقد ساهمت في تأسيس هذه الشركة قبل ان تخرجي الى الوجود، فبالله عليك لا تخبريني اني عاجز عن التعبير عن شكري وامتناني." وبعد اجراء مكالمة هاتفية مع ادارة المشروع وافقت على الامر مفسحة في المجال أمام دعم لا بأس به من المتقاعدين وجماعات

أخرى من خارج الشركة. وقد أرسل أحد طياري شركة "الخطوط الجوية عبر العالم" (TWA) حوالة أرفقها برسالة جاء فيها: "أود أن أشارك في هديتكم. لقد اعتبرت دلتا دوماً نموذجاً تحتذي به شركات الطيران."

وفي احدى الامسيات دخل مكتب المشروع طفل من دار للايتام عمره خمس سنوات واسمه آدم بيبرز، قال: "هذه خمسة وعشرون سنتاً لتساعدكم في شراء الطائرة." بعد ذلك تلقى المكتب رسالة من دار الايتام مرفقة بحوالة بقيمة ١٠٧ دولارات و٣٥ سنتاً. وكانت مجموعات خيرية في "دلتا" دأبت على تقديم الدعم الى الدار منذ سنتين. وقد ذكر المسؤول عن الدار ان الاطفال لدى سماعهم بمشروع الهدية ارادواالمساعدة لأنهم يشعرون انهم اعضاء في عائلة "دلتا". وقد تم تحصيل المبلغ الذي قدموه بالعمل ساعات اضافية.

اليوم الاخير — في زخم العطاء الأول شارك نحو ٢٥ في المئة من الموظفين في المشروع، لكن سرعان ما أخذ العطاء في التباطؤ.

ودحضاً للاشاعات وسوء التفاهم نظم فريق المشروع عروضاً ميدانية ولقاءات وجاهية مع الموظفين في المدن التي تعمل فيها "دلتا". وجند ٣٠٠ متطوع ليساعدوا في توفير آخر المعلومات.

وأشعر الموظفون من خلال الاحاديث وردود فعل الناس بأنها مناسبة خاصة لأن يقول الموظف العادي لشركته: "شكراً." وأقر احدهم بصراحة: "لم أكن لأشارك، لكن اصدقائي ما برحوا يؤكدون لي اني محظوظ لاني أعمل في دلتا."

وبحلول نهاية نوفمبر (تشرين الثاني) كان نحو من ٥٠ في المئة من موظفي الشركة وقعوا قسائم المساهمات. ولاستثارة حماسة اكبر حث فريق المشروع الموظفين على تعليق شارات "مشروع ٧٦٧" على صدورهم، ووزع نسخاً من الرسائل التي وردت عليه من المسافرين، والشركات ومن بينها رسالة من شركة عرضت ان تقدم قطعة غيار تقدر قيمتها بتسعة آلاف دولار لمحرك الطائرة العتيدة. وطلب الفريق من المتطوعين ان ينظموا حملة ختامية مركزة في مدنهم قبل اليوم الاخير. وأثمرت الجهود التي بذلت في اللحظة الاخيرة اذ ارتفعت المساهمات الى ٧٧ في المئة.

روح دلتا — في صباح ١٥ ديسمبر (كانون الأول) تجمهر سبعة آلاف من موظفي "دلتا" في مطار "هارتسفيلد" الدولي في اطلنطا لازاحة الستار عن الطائرة الاولى في اسطول الـ"بوينغ ٧٦٧". وشارك تسعون موظفاً من معظم المدن التي تغطيها خطوط "دلتا" في ازاحة الستار عن الطائرة ذات اللونين الفضي والابيض والمزدانة بعبارة "روح دلتا".

وقدمت جين اونز وديان كارفيلي مفتاحاً رمزياً كبيراً الى الرئيس ديف غاريت. اما جيني ويتفيلد المرأة الاكثر حيوية في حملة جمع المساهمات فالقت كلمة باسم

الموظفين جاء فيها: "انها عربون حبنا وتقديرنا وشكرنا لشركة طالما لبت حاجات موظفيها."

وقال غاريت عندما رأى عبارة "روح دلتا" مربوطة بشريط مخملي أحمر: "تلك كانت من اسعد اللحظات في حياتي، فلم يسبق ان شعرت بهذا المقدار من اللحمة التماسك."

وكان آدم بيبرز الطفل الآتي من دار الايتام ركب القاطرة التي نقلت الطائرة من المرأب. بعد ذلك انضم فريق المشروع الى عدد من الركاب في رحلة الى تامبا. وغطت شبكات التلفزيون في اوروبا والولايات المتحدة هذه اللحظة الرائعة في تاريخ العمل.

ما زالت الهبات تتوالى، ويشارك الموظفون بفخر في طائرتهم. وها هي ادارة "دلتا"، كتعبير ملموس عن تقديرها، تقدم الى كل من موظفيها الـ٣٧ ألفاً ملصقاً عليه صورة حفلة ازاحة الستار مع قطعة من الشريط المخملي الاحمر الذي لفت به الطائرة.

لكن "الشيء غير الملموس" موجود في قلب الهدية ووفقاً لما يقوله اوبنلاندر: "لقد جمعت الطائرة شمل الموظفين، ووحدتنا كعائلة في وقت عصيب من تاريخ النقل الجوي."

في "دلتا" ما من ثناء أغلى من هذا.

■ ليندا لورنس



الطقس الحار

ذات عصر قائظ أتى النعاس على أفراد صفنا جميعاً. ومن أجل إثارة اهتمامنا، طلب الاستاذ من أحدنا أن يقرأ مقالا بصوت عال وبعدما انتهى، قال له: "هل لك أن تشرح ما قرأته؟"

ـ آسف يا استاذ، فأنا لم أكن أُصغي الى نفسي.

ا.ش.

بيت بيتر سلرز

بحكم مهنتي كبناء، استدعيت مرة لاصلاح مطبخ البيت الذي كان يسكنه الممثل الساخر بيتر سلرز وزوجته الاولى. وذات يوم قرع الجرس بينما كان سلرز في مكتبه وزوجته تخبرني ما تريد ان افعل. وتوجهت السيدة سلرز الى الباب، ثم عادت وعلى وجهها ابتسامة عريضة، وفي يدها برقية من زوجها تقول: "أحضري لي فنجان قهوة."

مايكل دو

الكلام بلا تفكير يشبه اطلاق النار من غير تصويب. ج.ل.

الكون في عقل عبقري

غدا هذا الشاب البريطاني المعاق أعظم عالم فيزياء معاصر، وقدم نظريات تتجاوز ما أعطاه آينشتين



تراه يحيي الداخل الى مكتبه في جامعة كيمبريدج بابتسامة خبيثة تظهر على وجهه وفي عينيه الزرقاوين المرتعشتين وراء نظارتيه. وعلى رغم بلوغه الثانية والاربعين فان وجهه الصبياني يجعله يبدو كطالب في تلك الجامعة البريطانية أكثر منه استاذاً بارزاً للرياضيات. لكن الناظر الى جسده الناحل الغائر في كرسيه المتحرك وعضلاته الهزيلة يظن أنه أمام رجل هرم. وهو ينطق كلماته بمشقة حتى يكاد المستمع لا يفهم منه شيئاً.

ولكن على رغم هذه العوائق، وربما بفضلها، تمكن ستيفن هوكينغ من تحقيق أعظم إنجاز فيزيائي في مرحلة ما بعد آينشتين. وقد قيل في هذا الانجاز انه الجواب الذي أنتجه نصف القرن الحالي ردّاً على فيزياء آينشتين.

ويذهب بعض الفيزيائيين الى أن عمل هوكينغ ربما شكل أحد أعظم الانقلابات في تاريخ العلوم. وثورة هوكينغ تقوم على التوفيق بين دعامتي الفيزياء الحديثة، وهما نظرية آينشتين في النسبية العامة التي تقول بأن الجاذبية هي التي تسير حركة الكواكب والنجوم والمجرّات والكون نفسه على نحو منظم يمكن توقعه، ونظرية ميكانيكا الكمّ التي تقول بأن المادّة، على الصعيد الذري، تعمل عشوائياً. وكان آينشتين، الذي أمضى السنوات الثلاثين الاخيرة من حياته محاولا التوفيق بين هاتين النظريتين المتعارضتين ظاهرياً، رفض العشوائية التي ترتكز عليها ميكانيكا الكم، وقال: "لا يمكنني الاعتقاد أن الله يلاعب الكون بالنرد."

وبات اكتشاف الحقائق والروابط التي تقوم عليها هاتان النظريتان بمثابة واجب مقدس لدى بعض العلماء، وهم اولئك الذين يظنون أن التوفيق بين النظرتين المذكورتين من شأنه إزالة العقبة الاخيرة التي تحول بيننا وبين فهم طبيعة إزالة العقبة الاخيرة التي تحول بيننا وبين فهم طبيعة الكون على نحو أكثر شمولا. وكما سدل آينشتين التسار على عصر الذرة، هكذا في استطاعة نظرية توفيقية أن تستهل عصراً علمياً جديداً. وقد أخذ ستيفن هوكينغ على عاتقه التوصل الى نظرية من هذا النوع.

داء مقعد ــ كان والد ستيفن باحثاً علمياً، وهو بكر أولاده الاربعة الذين عاشوا في جوّ علمي وعائلي متين الاواصر. ودخل ستيفن جامعة اوكسفورد عام ١٩٥٩، وكان متحرّراً وذكياً مع بعض عناد، كما كان محبوباً جداً من أصدقائه في الجامعة والبلدة. وفي سباق المراكب السنوي التقليدي بين جامعتي اوكسفورد وكيمبريدج، ظلّ وقتاً رباناً لأحد المراكب.

وعلى رغم اجتنابه العمل الدراسي الشاقّ فان أساتذته قدّروه لذكائه الخارق. وكان في استطاعته أن يحلّ بسهولة أي مسألة رياضية تعرض عليه. ولدى تخرجه أعطي امتحاناً

شفوياً إضافياً للتأكد من أنه يستحق درجة الشرف الاولى التي كان يحتاج إليها لمتابعة دراسته في كيمبريدج.

وفي تلك المناسبة سأله أحد أعضاء اللجنة الفاحصة عن خططه للمستقبل، فأجاب: "إذا حصلت على درجة الشرف، فاني أذهب الى كيمبريدج. أما اذا كانت درجتي أقل فسأبقى في اوكسفورد. لذلك أتوقع أن تمنحوني درجة الشرف الاولى." وهكذا كان.

لكنه ما كاد يمضي أشهراً قليلة في كيمبريدج حتى ظهرت عليه بوادر علة جسدية. وأخذ يتعثر في مشيه ويتأتى في لفظة ويجد صعوبة في السيطرة على ذراعيه وساقيه. ووجد الاطباء أنه مصاب بخلل جانبي في الانسجة والاعصاب الارادية، وهو داء قد يؤدّي الى الشلل والوفاة. وأمام ذلك الواقع المرّ أدرك هوكينغ أنه قد لا يعمرّ حتى الخامسة والعشرين.

وانتابه الاسى حين وجد أنه لا يقوى على السير في الجامعة من غير عكاز. وهجر دروسه وأمضى الكثير من وقته في الحانات.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣، بينما كان هوكينغ يزور ذويه في بلدة سانت آلبانز بالقرب من لندن، دعي الى حفلة. وهناك صادف جين وايلد، وهي فتاة زرقاء العينين بنية الشعر كانت تدرس اللغات وتستعد لدخول كلية وستفيلد في لندن. وأحبت ستيفن لبديهته وذكائه، وهو أحب حيويتها. ولم يثنها عنه وضعه الجسدي المتقهقر وإمكان وفاته الباكرة. وبعد صداقة دامت سنتين تزوّج الاثنان عام ١٩٦٥.

وكان ذلك الزواج حداً فاصلا في حياة ستيفن. وفارقته خشية الموت وأكب على دروسه من جديد. وما لبث أن أصبح أباً لثلاثة: روبرت الذي ولد عام ١٩٦٧ ولوسي (١٩٧٠) وتيموثي ستيفن (١٩٧٩).

بداية الزمن — بُعيد زواجه برزت عبقرية ستيفن العلمية. وفي منتصف الستينات شغلت الاوساط العلمية بمسألة "الانفجار الهائل" الذي ظن معظم الفيزيائيين أنه كان بداية الكون. وهم أجمعوا على أن الكون يتمدد ويكبر على نحو مطرد. ولكن عندما حاولوا الانطلاق من معدل الحركة الحالي لمعرفة ما حدث لحظة "الانفجار الهائل" بالذات حاروا جواباً.

ووقف هوكينغ مرتبكاً أمام الفكرة القائلة بأن الكون بدأ على ذلك النحو المتفرّد الغريب عند نقطة اجتمع فيها الزمان والمكان. وبدأ يعمل على المسألة مع رودجر بنروز، وكان آنذاك في جامعة لندن ومن علماء الريضيات الطليعيين في العالم. وفي العام ١٩٦٩ توصل الاثنان الى نظرية باتت منتشرة اليوم، وهي تذهب الى أن الكون يجب أن يكون بدأ كنقطة ذات كثافة لا متناهية إذا افترضنا صحة نظرية آينشتين في النسبة العامة. ويقول هوكينغ بابتسام: "لقد برهنا أن للزمن بداية."

وفي مطلع السبعينات كانت حال هوكينغ الجسدية ساءت الى الحد الذي أوجب إبقاءه في كرسي متحرك. إلا أن قواه الذهنية بقيت

تحلق عالياً، وما فتىء يأتي بالنظريات الرائعة واحدة تلو الاخرى. غير أن النصر العلمي العظيم الذي حققه لاحقاً كان مرتبطاً بنظرته حول الثقوب السود.

والثقوب السود هذه متعلقة بالنجوم. فعندما يستهلك نجم كبير حرارته النووية ينهار تحت وطأة جاذبيته الذاتية. وإذا حصل ذلك في ظروف ملائمة، فان النجم لا يلبث أن ينضغط حتى يستحيل كتلة عالية الكثافة يقدر العلماء أن لا شيء، بما في ذلك الضوء، يستطيع اختراقها.

وإذ حوّل هوكينغ اهتمامه الى الثقوب السود، بدأ يكتشف أسراراً لم تعنّ على بال أحد قبله. وفي العام ١٩٧١ جاء بافتراض يقول ان نهاية النجوم ليست الطريقة الوحيدة لتكوين الثقوب السود، بل ان ثمة ثقوباً أصغر كثيراً يمكن أن تكون نشأت بفعل عوامل جائحة خلال "الانفجار الهائل". ووجد هوكينغ، عبر طرائقه الرياضية، أن المجرة التي تنتمي الارض اليها تحوي مليوناً أو نحو ذلك من الثقوب السود الاصغر حجماً، وان كلا من هذه الثقوب لا يتجاوز البروتون - وهو الجسيم الموجب في الذّرة - حجماً، في حين أن الكتلة التي ينطوي عليها تضاهي جبل افرست ضخامة.

جدار الشك - في العام ١٩٧٣ راح هوكينغ يتأمل ملياً في حركة المادة في جوار الثقوب السود. وإذ اضطرته حاله الجسدية الى هجر القلم والورقة، شرع ينجز عمله النظري في ذهنه. ونظراً الى صعوبه تذكر المعادلات المعقدة، تولى ترجمة المسائل الى أشكال هندسية راح يمليها على معاون. وبعد حين وهو منغمس في تلك المسائل، وجد نفسه أمام اكتشاف مناف للعقل، ولكن عميق، ظن بادىء الامر أنه ينطوي على خطأ ما.

أجل، لقد وجد هوكينغ أن الثقوب السود تتحدّى كل قانون معروف لتبث فيضاً مستمراً من الجزئيات أو الاشعاع. ومعنى هذا أن الثقب الاسود نفسه قابل للتبخر والزوال. وبالنسبة الى الثقوب الكبيرة التي يكونها انهيار النجوم، أو الثقوب الضخمة التي يظن علماء الفلك أنها موجودة في قلب المجرات، ربما استغرق الاضمحلال وقتاً يتجاوز عمر الكون مراراً. لكن هوكينغ وجد أن معدل بقاء الثقب الصغير هو عشرة مليارات سنة (عشرة آلاف مليون). وهذا وقت طويل حقاً، لكنه يقل عن عمر الكون. وعندما ينحل الثقب الاسود الصغير ينفجر على هيئة طوفان من الاشعة الجيمية (غاما).

إلا ان تلك النظرية في الثقوب السود جاءت منافية لما هو معروف في الفيزياء، حتى أن هوكينغ نفسه، الذي يثق عادة بما يتوصل إليه، ظل أسابيع يراجع عملياته الحسابية التي أوصلته إليها. فهذه النتيجة الغريبة تحتاج الى براهين قوية لاقناع الآخرين بها. وإذا كان على حق، فهذه النظرية من شأنها إحداث ثورة تبدل كل شيء في علم الفيزياء. أما إذا كان مخطئاً، فهو يحتاج الى

سنوات لاستعادة ثقة الاوساط العلمية به.

وأخيراً، في فبراير (شباط) ١٩٧٤، حان الوقت لعرض نظريته على ذوي الاختصاص. وكان هوكينغ في الثانية والثلاثين. ولأجل ذلك ذهب من كيمبريدج الى مختبر رذرفورد آبلتون للبحوث حيث قرأ مقالا على مجموعة من الزملاء بعنوان: "الخلق الجزئي الذي تمارسه الثقوب السود." وعرضت شرائح مصورة عن العمل فيما هوكينغ يشرح التفاصيل. وفي نهاية العرض طرح الزملاء عدداً من الاسئلة لا يتميز بالسلبية الصريحة، لكنه يرفع جداراً من الشك في وجه نظرية هوكينغ.

غير أن ذلك لم يثبط عزيمته. وفي الشهر التالي نشرت دراسته في مجلة "الطبيعة"، وهي مجلة علمية اسبوعية ذات شهرة كبيرة تصدر في بريطانيا. وما هي إلا أيام حتى غدت نظريته حديث الاوساط الفيزيائية حول العالم. ومنذ ذلك الحين تتالت الشواهد على أن الثقوب السود تبث الجزئيات وتنطفىء. كما جاءت البراهين من علماء آخرين لجأوا الى طرائقهم الخاصة. أما النظرية فبات يطلق عليها اسم "إشعاع هوكينغ".

السؤال الاكبر – بما أن طريقة عمل الثقوب السود التي اقترحتها نظرية هوكينغ تشبه ما يظن أنه حدث لدى "الانفجار" الهائل"، ففي إمكان هذه النظرية أن تعين الفيزيائيين على فهم طريقة ظهور الجزئيات الذرية وطريقة تفاعلها في ما بينها في لحظة التكوين تلك. لكن الاهم من هذا أن هوكينغ طبق قوانين ميكانيكا الكم" على الثقوب السود التي هي موضوع نظرية آينشتين النسبية. وتلك كانت الخطوة الاولى لكشف الحقائق التي من شأنها التوفيق بين تينك النظريتين.

إن البناية ذات الآجر المتسخ التي تؤوي دائرة الرياضيات التطبيقية الفيزياء النظرية في جامعة كيمبريدج تبدو كمصنع من القرن التاسع عشر ضائع بين واجهات الجامعة وأبراجها. ويذهب هوكينغ الى هناك يومياً في كرسيه المتحرك، منطلقاً من منزله القائم في الطبقة الارضية من مبنى يعود الى القرن الماضي ويبعد نحو ٨٠٠ متر عن مكتبه. ويضم ذلك المكتب أكواماً من كتب الفيزياء وجهازاً الكترونياً كبيراً وقلابة صفحات آلية ورسوماً لأولاد هوكينغ الثلاثة. وقد وضعت على طاولته المقالات العلمية لكي يتفحصها.

إن هوكينغ رجل صارم وعنيد. وقد أنعم عليه بالاشخاص الملائمين حوله، وهم زملاؤه المعجبون وعائلته المتماسكة. إلا أن قوته الكبرى هي في تعويله التام على عقله بعدما سلبه الداء عافيته الجسدية. وقد وجد في عقله طاقات مذهلة أدهشت جميع عارفيه، كما أدهشته هو بالذات.

ولقد غدا ذلك الكرسي الهزاز المركز الذي يرى منه ستيفن هوكينغ الطبيعة ويبحث عن قوانينها الاساسية. كما غدا هو مثالا للشخص الذي يعيش كلياً ضمن عقله.

■ جون بوسلو

نحوّل همسك صراخاً...



النهار العربي والدولي

انطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء، في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت - لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME		الاسم :
ADDRESS		العنوان :
....		
PROFESSION		المهنة :
SIGNATURE		التوقيع :

NAME		الاسم :
ADDRESS		العنوان :
....		
PROFESSION		المهنة :
SIGNATURE		التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

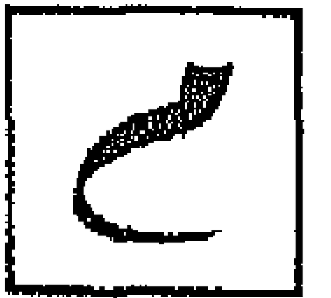
بنك المشرق ش.م.ل
ص.ب ١٥٢٤
بيروت ـ لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار"

جَدّتي

حياتي كلها لخصتها ايام سبعة على ضفة بحيرة



مضت اسابيع وانا اتأمل ذاتي محاولا ان ادرك لماذا انا عاجز عن التعريج على ذلك لدرب الترابي الضيق المؤدي الى بحيرة كبيرة فيليبس، حيث يقع الكوخ الذي استأجرته جدتي ذات صيف قبل وفاتها لعشرين سنة خلت. كنت اعرف تماماً اين يقع ذلك الدرب، حتى اني اطلقت الاشارة الضوئية قبل بلوغي المفترق بثلاثين مترا. لكنني في اللحظة الاخيرة تابعت سيري على الطريق الرئيسية.

لقد سارت الامور دائماً على هذا المنوال. وكل مرة كنت اقول لنفسي اني سأعود الى تلك البحيرة، لكني كلما وصلت الى ذلك الدرب الضيق وجدتني عاجزاً عن سلوكه. ولا تلبث ان تحتشد في رأسي ذكريات عن جدتي غاية في الرقة والغنى.

توفيت امي اثناء ولادتي، فجيء

بي لأعيش مع جدتي في حي من بيوت صغيرة متراصة في صفوف طويلة كأنها بنيت بعقلية مزارع قاس ضنين بالاراضي الخصبة. احببت جدتي ودعوتها "نانا" ووقعت اسير سحرها منذ البداية. كانت نانا مولعة بقشر التفاح الاخضر وانشاد الترانيم وخبز الحلوى وتتبع اخبار كرة القاعدة (البيسبول). كانت امرأة رقيقة على ضخامة بنيتها، عيناها خضراوان بلون البحر، ينظر اليهما المرء مثنى وثلاثاً قبل ان يصدق لونهما. كانت ترتدي فساتين طويلة فضفاضة وحذاء اسود كبيراً. ومع ان جواربها كانت دائماً تتكوم حول كاحليها، فلم يبد ان ذلك ازعجها مرة. وكانت لشدة سمنتها تنضح عرقاً حتى في فصل الشتاء. وكلما لفتني ذراعاها شعرت اني اتلقى معاملة خاصة لا تصدق.

ربيت نانا في مأوى للايتام. وعندما بلغت الرابعة عشرة هربت لتتزوج رجلا احبته وكان يكبرها بكثير. ولسبب ما اصبحت عصبية المزاج لا تستكن ولا تستقر على حال.

لم تكن عصبية المزاج الا لان الحياة استثارتها. تعلمت ان تنال كفايتها من ابسط الامور. وتقلبت احوال معيشتها من دون تذمر. "على المرء ان يمد رجليه بمقدار ما يسمح بساطه" هكذا كانت تردد وهي تؤدي اعمال المنزل. كانت تعمل باستمرار، تغسل وتكوي ثياب الاثرياء الذين كانوا يحضرون تلالا من الغسيل الى باب منزلنا.

اسرار صغيرة — لم اعتد مشاهدة قطع نقدية كبيرة في صغري. تعلمت ان علبة الحبوب يجب ان تدوم اسبوعاً كاملا. ولكن على رغم هذا الاقتصاد في الطعام لم اشعر مرة بالفاقة او الحرمان. فقد كان لجدتي اسلوبها الخاص في جعل كل الامور تبدو كأنها مغامرة او اكثر.

وكان وجود جدي في المنزل اكثر من مغامرة بالنسبة الى كلينا. كان من المستحيل التكهن بما يمكن ان يفعله، وكأنه عاصفة في بحر. كان رجلا انيقاً كثير التشكي، يصيح احياناً: "آدا، هلا هدأت قليلا؟" كانت دائماً تحاول ارضاءه، الا انها سرعان ما تنهض لعمل ما.

وعلى رغم مضي اربعين سنة على حياتهما معاً، فلم يبدُ انه كان يعرف شيئا عن آمالها واسرارها. لم يكن يدري مثلا انها تخبىء كرة بيسبول خلف خزانة المطبخ وانها تدخر القطع النقدية الصغيرة في علبة الازرار لشراء جهاز راديو.

اقتصدت نانا لسنوات ثم اشترت الجهاز في النهاية. كان بدعة غريبة الشكل ذا ابواب حلزونية وسقف مقنطر. وفي امسيات الصيف كانت جدتي تجلسني في حضنها ثم تأخذ في العبث بالاسطوانات المضيئة الى ان تترامى الى سمعنا فجأة اصوات اناس يلعبون البيسبول.

كان هذا جزءاً من الغموض والسحر اللذين اكتنفا جدتي، والا فكيف يمكن لعبة كالبيسبول ان تأخذ بشغاف قلبها. هذه اللعبة كانت يوماً سلواها في بؤس الميتم الذي ترعرت فيه، ثم، بعد ذلك، في السنوات العجاف التي مرت بها امريكا في الثلاثينات،

وابان الحرب العالمية الثانية التي اختطفت منها ابنها الوحيد ورمته وراء البحار، كذلك في رتابة الشيخوخة وكآبتها.

آمال كبيرة — كانت حركتها سريعة بالنسبة الى ضخامة حجمها. ولذا اعتقدها الكثيرون خرقاء تعوزها اللياقة. الا انها عندما كانت تلعب البيسبول كانت تلتقط الكرة وترميها بلباقة وخفة. كانت تلاعبني منذ صغري. وسرعان ما غدوت استمتع بمراقبتها وهي تتثاقل وراء الكرة بعد ان تخطئها ذراعاها الممدودتان. وبت اتعمد رمي الكرة بعيداً، فتلاحظ هي فعلتي لكنها ما كانت لتقول شيئاً.

واذكر كيف امضيت ساعات طويلة وانا اتلقف الكرة ثم اعيد قذفها، وكيف جلست مئات المرات امام جهاز الراديو وهو يبث مباريات البيسبول.

واذكر كيف وقفت جدتي قرب مرمى البيسبول عصر يوم مشمس من العام ١٩٥٤ وهي تصيح بابتهاج لاني سجلت اصابتي الاولى. كان ذلك قبيل عيد ميلادي الرابع. كانت تتمنى من كل قلبها ان اصبح لاعباً بارزاً. واصابتي الكرة ذلك الحين كانت توكيداً لكل ما حاولت ان تعلمني اياه: فهي تريدني ان اثق بنفسي. ليس فقط ان أؤمن بقدرتي على ان اكون ما اريد، بل بانني قادر على ان اكون كل ما اريد.

وكانت جدتي تأمل الانتقال يوماً الى مكان آخر جديد ومختلف. وهي ابقت ذلك الامل حياً في قلبها. وكان من عادتها في ربيع كل سنة ان تخرج السجاد من المنزل لتنظيفه، ثم ترتب الاثاث على نحو مختلف بحيث يبدو الامر في الايام القليلة التالية كأننا انتقلنا الى مكان آخر فعلا. وطال بها الأمد وهي تعد للرحلة المرتقبة، الى ان ذهبنا اخيراً في ذلك الصيف في رحلة بسيارة جدي القديمة.

رحلة العمر — امضينا سبعة ايام وست ليال قرب البحيرة. وكانت لنا صباحات بهية بدا فيها نور الشمس جديداً كل مرة. كانت الاصوات تتردد بخفر حولنا وكأنها تعتذر لازعاجنا. وبعد كل خفقة موج على الرمل يسود صمت طويل كصمت من يتأمل. كنا نرفع الراية كل صباح وننظف حبلها الرطب ثم تجوب تلك البقعة المستطيلة من الشاطىء جيئة وذهاباً ملتقطين كسر الزجاج الناعمة والحصى المصقول. ويغمر الماء المنعش كاحلي جدتي التي امسكت فستانها القطني باحدى يديها بينما انشغلت اليد الاخرى تحت الماء كأنها تبحث عن كنز دفين. كان ممتعاً ان ارى جدتي للمرة الاولى حافية القدمين وقد قبع حذاؤها الاسود الثقيل بين الاعشاب.

كنت طفلا يهاب العواصف. وعصر ذات يوم جلست قرب البحيرة ومعي جدتي. كانت السماء دكناء كئيبة وهدير الرعد يترامى الينا من الخلف والغيوم السود تحوم فوقنا والبرق يشق السماء. كنت ارتجف، الا اننا انتظرنا سوياً حتى هطل المطر بغزارة، ثم انبثقت الشمس من بين الغيوم فتبدد خوفي الى الابد.

امضينا امسيات رائعة قرب

البحيرة. كانت السماء مرصعة بالنجوم وقد نثر القمر بريقه الوهاج فوق المياه. اذكر حباحباً والباب الذي كان يصر كلما فتح واغلق، وكيف كان النور يتيه من مقصورتنا ويتلاشى في الغابة. هنا تعلمت الاصغاء الى اصوات الزيزان وهي ترنم بين الحشائش، وهنا عاينت للمرة الاولى بشائر الهدوء على وجه جدتي. كأنها هنا عند البحيرة اكدت لي حقيقة مهمة من حقائق الحياة، الا وهي انها منذ الآن ستكون دائمة الانشراح لانها تعلمت ان في وسع المرء ان ينتظر ويأمل وينال في النهاية ما كان يتمناه، بل اكثر.

فلا عجب اذاً الا اعود الى البحيرة ابداً. فقد رحلت جدتي وغدت الامور مختلفة هناك لا محالة. وانا اريدها كما عهدتها لا كما هي الآن. فذاكرتي لوحة زيتية تمتد على مدى سبعة ايام، كل حدث فيها ضربة فرشاة بلون مختلف. وانا لا اريد ان احيد عن اعتقادي ان هناك كنوزاً دفينة على الشاطىء ننبشها فجر كل يوم.

■ دون سنايدر



مخادع الطالبات

كنت وزميلتي في الجامعة نتهرب على الدوام من ترتيب غرفتنا في مخادع الطالبات. غير اننا قررنا تنظيف الغرفة بعدما خابرها والدها ليقول انه آت قريباً. وقبل أيام من موعد مجيئه، عدت من الصف لاجد الملاحظة الآتية على الباب: "الى ابنتي وزميلتها: لقد جئت الى المدينة قبل الموعد المحدد. وسأكون هنا بعد ساعة."

وباشرت العمل في تنظيف الارض واعادة كل شيء الى مكانه حتى باتت الغرفة صالحة للاستقبال. وما كدت أنتهي حتى دخلت زميلتي وجلست على السرير. فبادرتها: "توقعي ان يصل أبوك في أي لحظة. انهضي حالا وساعديني."

ـ ألا تعرفين انه لن يأتي قبل يومين؟

"اذاً من وضع هذه الملاحظة على الباب؟"

واكتفت صديقتي بالابتسام.

ف.ب.

كاتب اجباري

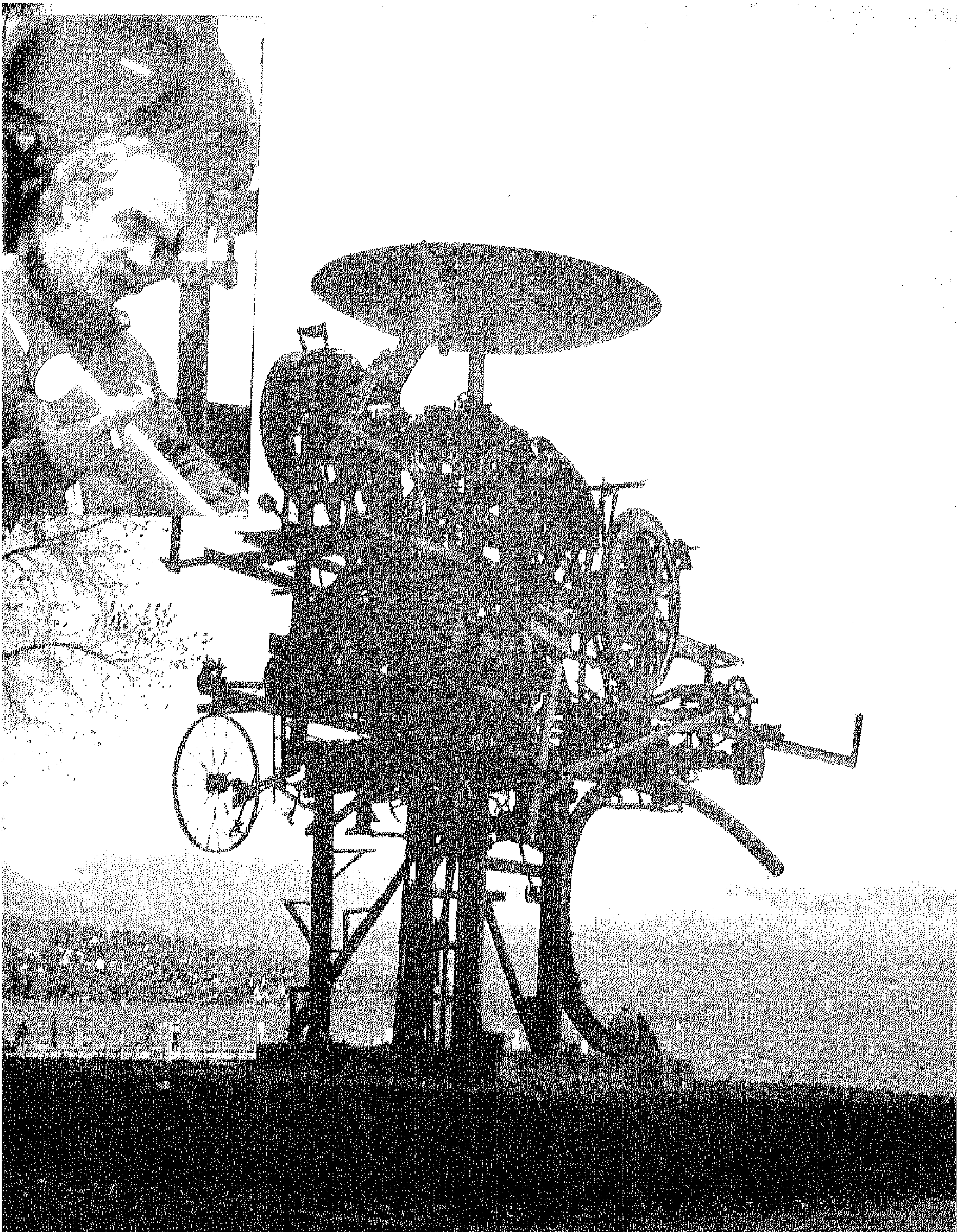
سئل الكاتب المسرحي الامريكي نيل سايمون كيف يرغم المؤلف نفسه على الكتابة، فقال: "عليك، أولاً، بارسال زوجتك الى محل للملبوسات المباهظة الثمن".

ا.و.

المتشائم المتفائل

جاء على لسان أحد المتشائمين: "كلما، تذكرت أن أسوأ مخاوفي لا تتحقق، أكاد أنقلب متفائلاً."

ا.س.



"الآلة بدعة فنية تتيح لي أن أعبر عن نفسي شعريا . وإذا احترمنا الآلة ولبسناها، أمكننا ابداع آلة تمنحنا الفرح، والفرح صنو الحرية" .

جان تنغلي

اللوحات المتحركة



هلع أهالي مدينة زوريخ السويسرية الطيبون حين ارتأت بلديتهم قبل عشرين سنة ونيف ان تضع بدعة جان تينغلي الآلية المسماة "يوريكا" في إحدى حدائقهم العمومية. واقترح المسؤولون في البلدية ١٦ مكاناً مختلفاً. لكن عرائض الاحتجاج انهالت من الجيران في جميع الامكنة التي وقع عليها الاختيار، خصوصاً المكان الاخير.

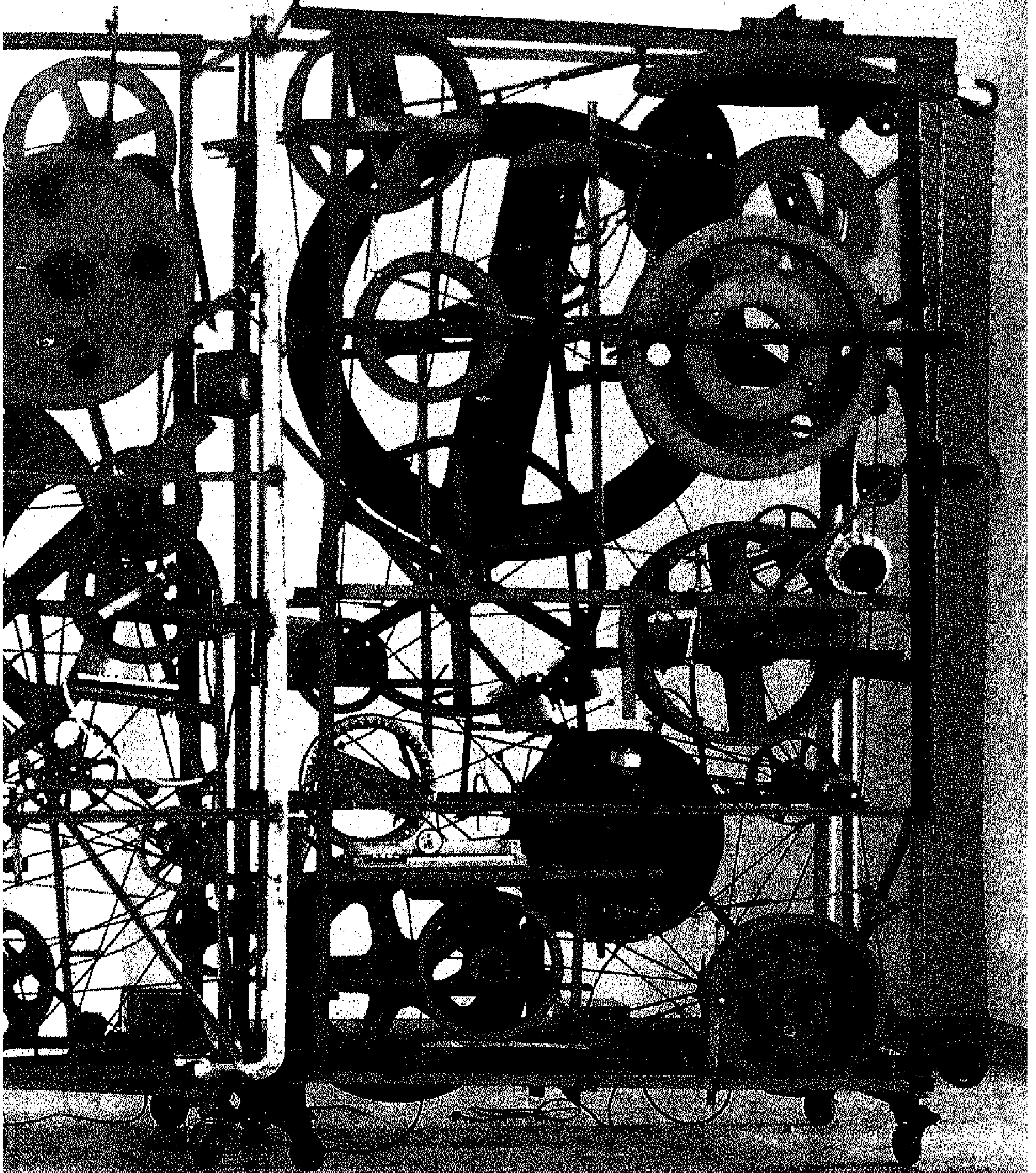
والواقع أن دهشة الرجل الذي قدّم تلك الآلة الغريبة، وهو الصناعي وجامع الاعمال الفنية السويسري والتر بيكتلر، لم تقلّ عن دهشة المواطنين. ويعترف قائلاً: "لقد أزعجتني تلك الآلة المعدنية الطنانة حين رأيتها للمرة الاولى."

وكواحد من المسؤولين في معرض ١٩٦٤ حين عُرضت "يوريكا"، وجد بيكتلر نفسه مضطراً الى رؤيتها يومياً، شاء ذلك أم أبى. وهو يقول: "ذات صباح أدركت فجأة ما الذي قصده تينغلي بتلك الآلة الغريبة. لقد أراد أن يتحدى تلك النزعة العصرية الى تعظيم الآلات. وعرفت إذ ذاك أن عمله، الذي يبدو هزلياً في الظاهر، ينطوي على جدية عظيمة في العمق. وهكذا أسرتني "يوريكا" بحيث لم أستطع منها فكاكاً."

وبلغ تأثر بيكتلر بالآلة حدّاً حداه على شرائها والتبرع بها لمدينة زوريخ حيث هي اليوم في حديقة زوريخهورن. وكل يوم بين شهري ابريل (نيسان) واكتوبر (تشرين الاول) تدب الحياة في "يوريكا" الساعة الحادية عشرة قبل الظهر والساعة الخامسة عصراً. وتدور عجلاتها الكثيرة: الكبيرة منها على نحو بطيء والصغيرة بسرعة هائلة. وينتأ قضيب حديد معقوف يسوط الهواء وتدور الاشرطة المعدنية كما في دوّامة. وفي قمة الآلة البالغة الامتار الثمانية ارتفاعاً، يطهر صحن ضخم يعلو ويهبط بلا توقف، كأنه رئة تتنفس. ويظهر الابتسام على وجوه المتفرجين. وغدا تعلقهم بالآلة كبيراً حتى انهم رفضوا نقلها الى مكان آخر

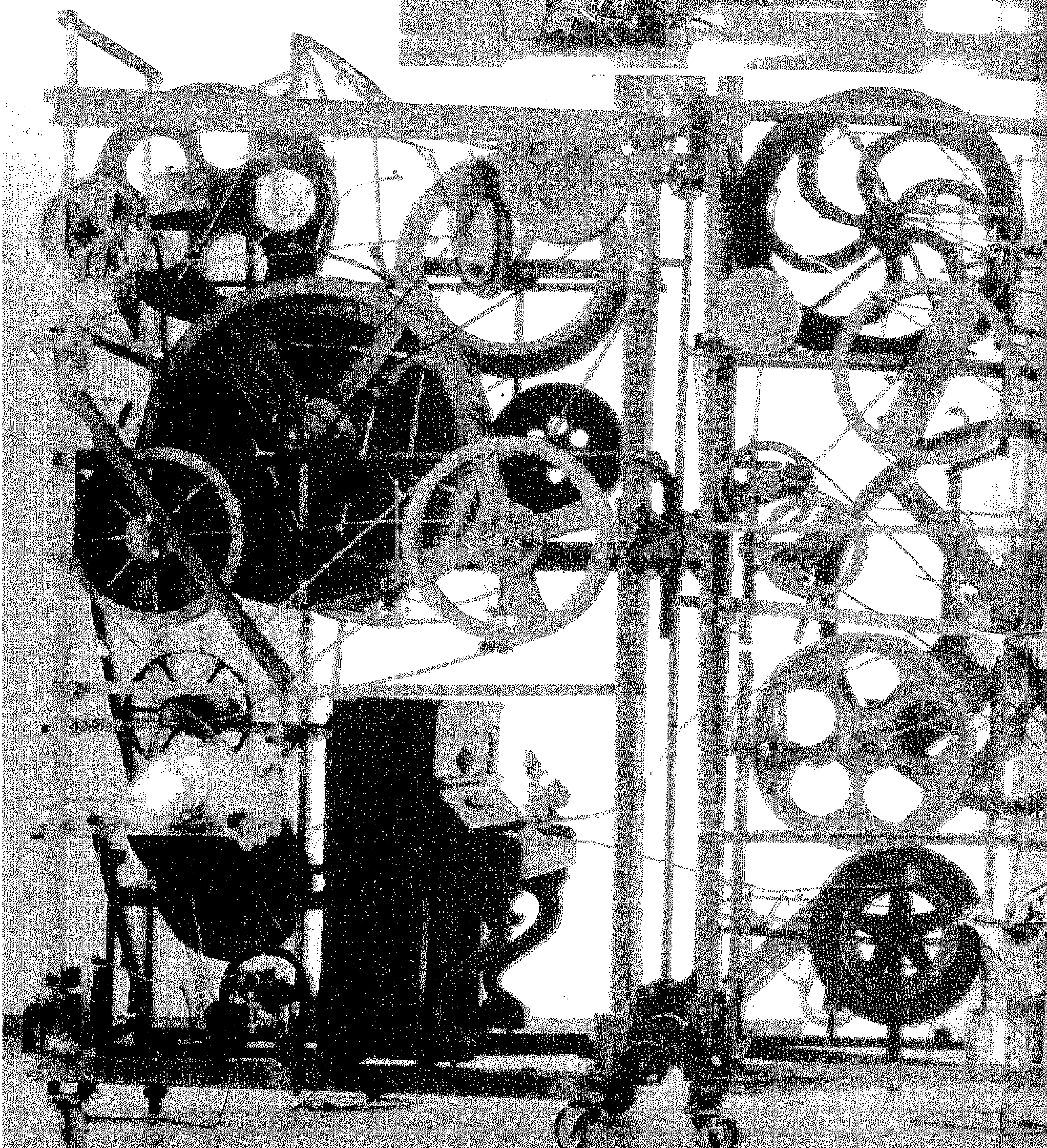
Photos Leonardo Bezzola, Switzerland

قبل تنفيذه الآلة ، يرسم
تينغلي تصميماً لها
على الورق ، وهنا
أحد تصاميمه لآلة اسمها
"الفوضى – ١" .



"نافورة سترافينسكي"
التي تم تدشينها
في باريس عام ١٩٨٣.

"مينا هارموني – ٢":
آلة ثلاثية موسيقية
صنعها تينغلي للاستعمال الكنسي.



قبل سنوات بالقوة عينها التي رفضوا استقبالها بين ظهرانيهم. وهكذا أُبقيت حيث هي.

الحركة والتبدّل – ان الرعب الذي تنطوي عليه "يوريكا" يميز جميع أعمال جان تينغلي خلال العقود الثلاثة الاخيرة. وفنه الآلي يسرّ ويأسر في الوقت نفسه،ويثير ويسكّن.وكمثل مبدع الآلات المتحركة الآمريكي الكسندر كالدر، يسعى تينغلي الى تجاوز السكون الفني الذي يتصف به الرسم والنحت. لذلك نجد أعماله، التي يسميها "ما وراء الآلة"، في حركة دائمة. والحركة عنده شريعة الحياة المفردة والاكيدة.

ويقف تينغلي مندهشاً أمام العجلات: تلك التي تعمل عليها آلات المصانع أو ترتكز عربات الاطفال ودرّاجات الاحداث. ولئن تكن حركة العجلات مكررة، إلا أنها دائمة الجدّة لأنها تطأ أرضاً جديدة. وتجدر الاشارة الى أن تينغلي، الذي يكبّ على عمله وهو يرتدي ملابس ميكانيكي، من هواة سباق السيارات. وهو يقول في ذلك: "لكم يروقني أن أرى الانسان والآلة يصبحان واحداً وسط السرعة الجنونية التي ينخس بها السبّاق سيارته."

وقد وُلد جان في بلدة فريبورغ عام ١٩٢٥ ونشأ في بال حيث أمضى الساعات الطوال في الغابات المجاورة.وعنّ على باله ذات يوم أن يبني آلة تقوم على عجلات خشبية وعلب فارغة بالقرب من نهر صغير. وعبر إمداده الآلة بطاقة المياه المتحركة، قال انه حصل على "حَفَلة موسيقية" ضمن "كاتدرائية غابة الصنوبر."

وبلغ إعجاب جان بالرسم حدّاً حمله على ارتياد مدرسة في بال للرسم الابداعي. وكان في السادسة والعشرين عندما وجّه أنظاره الى الفنّ المتحرّك. وفي العام ١٩٥٣ انتقل مع زوجته وولدهما الى باريس. وفي السنة التالية عرض لوحاته "المتحركة" في إحدى صالات الفنّ الطليعي ونال ثناء كبيراً من النقاد.

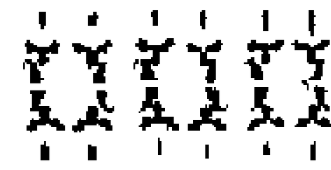
واتخذت أعمال تينغلي التي تحرّكها العجلات أو الأيدي أشكالا عدّة. ومن أعماله آلات تولد رسوماً تجريدية: إنه الفنّ ينتج فناً. وهناك علاقة دائمة بين آلاته وأولئك الذين يقفون أمامها. فهي لا تعمل عادة إلا إذا أدار المرء زرّاً أو ذراعاً فيها. وإحداها تلعب بالكرة مع الناظر إليها.

وقد صَمم بعض آلات تينغلي بحيث يلغي ذاته. وهو أمضى ثلاثة أسابيع عام ١٩٦٠ يصنع آلة باسم "تحية الى نيويورك"، وذلك في حديقة متحف الفن الحديث في مدينة نيويورك. وهناك، أمام جمهور مذعور، تولت تلك الآلة إحراق نفسها في ٢٨ دقيقة. وقال أحد المشاهدين ان تلك الآلة نرمز الى هنيهة في حياة كل منا: فهي تأتي ونعيشها، ثم تولي الى غير رجعة.

ومن أعمال تينغلي الاخرى ما يبقى دائماً في سلام. وأحد هذه الاعمال "نافورة سترافينسكي" التي تقوم في باريس بالقرب من مركز جورج بومبيدو الفني. وقد أنجزها تينغلي

بالاشتراك مع نيكي دو سان فال، ودشنت عام ١٩٨٣. وحركة آلاتها الدائمة تشبه رقص الباليه.
وربما كان هذا العمل من إنجازات تينغلي التي سيكتب لها البقاء. وبين الاشخاص الستين الذين تحلقوا مرة حول "نافورة سترافينسكي" صاحب مطبعة شاب وزوجته. وقد قال الطباع: "نظن أننا فهمنا الرسالة التي يود تينغلي نقلها إلينا، وهي أن في إمكان المرء تدجين الآلة ومعاشرتها."
والحق أن تينغلي يريد أن يصل فنه الى كل انسان. وقبل وقت غير بعيد تعطلت سيارته وهو يزور الريف السويسري. وبينما هو ينتظر إصلاحها تقدم إليه مزارع وقال: "ألست أنت الشخص الذي صنع تلك الآلة المضحكة يوريكا؟"
ولما هز تينغلي رأسه بالايجاب دعاه المزارع الى بيته لتناول بعض المآكل الخفيفة. ونادى المزارع زوجته: "تعالي! الرجل الذي صنع يوريكا في بيتنا الآن."
ويقول تينغلي: "لقد أعطتني تلك البادرة ثقة داخلية تتجاوز كل إطراء أغدقه علي نقاد الفن الكبار."

■ ليلى فولدز



اعمى عبقري

المغني الموسيقي الاسود ستيفي وندر لم ينظر الى عماه كعائق على الاطلاق. وهو يروي القصة الآتية: "قال لي أحد معلمي ان ثمة اموراً ثلاثة ضدي: الفقر واللون والعمى، وان كل ما استطيعه هو حياكة الحصر اسوة بالمكفوفين غير المثقفين".
الا ان وندر أصبح بعد سنتين، وهو في الثانية عشرة، من المغنين الاكثر شعبية، وصنفته شركة التسجيل في عداد العباقرة الافذاذ.
وهو يقول: "اذا كان المرء أعمى، فهو لا يحكم على الكتاب من غلافه، كما انه يبتعد عن التوافه ويختار المسائل المهمة. واني أرثي لاولئك الذين لهم عيون ولكن لا يبصرون".

صحيفة "راديو تايمس"، انكلترا

ابن الطبيعة

رأت طفلة ذات سنوات ثلاث أخاها وهو يبدل ملابسه في غرفة النوم، فنادت أمها قائلة: "تعالي يا أمي! إن أخي حافٍ من فوق الى تحت".

م.ت.ن.

أسمعت عن طبيب الاسنان الذي تزوج مقلمة أظافر؟ لقد حارب بالاسنان والاظفار.

ج.ك.

شخصٌ غيرُ عاديّ

سقط المتزلج عن المنحدر الثلجي واصطدم بشجرة كسرت عظامه ومزقت أحشاءه... كانت نجاته شبه مستحيلة

تعرف على الالم هناك، على جبال يوتاه. لم ير ان الالم موجود بهذه القوة. كاد ان يراه وهو يتوهج من حوله مثل حرارة بيضاء ويملأه عذاباً. حاول ان يتخلص منه بالصراخ، لكن الصرخات لم تجد نفعاً، وصلى علّه ينسى ما هو فيه، لكن الواقع لم يبرح خياله.

مارس رجل الاعمال هوارد هوي (٤٧ عاماً) رياضة التزلج لأكثر من ٣٠ سنة. وكان يملك زمام نفسه في الانزلاق على سفوح الجبال. لكن منطقة "هاي رسلر" التي تبعد خمسين كيلومتراً شرق مدينة سالت لايك في ولاية يوتاه تعد من أكثر المنزلقات اثارة للرعب في

أمريكا. ولم يكن هوارد يرغب في الذهاب الى هناك بعد ظهر الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣، لكن اصدقاءه عزموا على التزلج في المنطقة فجاراهم في ذلك.

وبعد جولتين وصل الجميع الى هاي ترافرس، وهو متعرج طويل ضيق يؤدي الى قمة جبل هاي رسلر. ولدى اجتيازه اعلن هوارد انه لا يحبذ مناطق الثلج الاملس، فاتجه وحده صوب منزلق شديد الانحدار يدعى آني.

بدأ هوارد الانزلاق ببطء وحذر، غير انه اصطدم فجأة بطبقة صلبة مرصوصة، فاختل توازنه وطار الى سفح الجبل.

حاول مرتاعاً ان يعود الى وضعه السابق، لكنه كان يتحرك بسرعة رهيبة. وانقلب على ظهره في دوران لولبي يزداد تسارعاً. ولمح الاشجار منتصبة أمامه. وفوجيء وهو ينطلق بسرعة عمياء بشجيرة صنوبر بين رجليه اخترقت ساقه اليمنى وبلغت أصل فخذه من دون ان تمس أعضاءه التناسلية، كاسرة عظمة فخذه تحت الورك. وتمزق الغضروف الذي يربط الجانب الايمن من الحوض بالجانب الايسر، وأصبح جانبا حوضه، المتصلان في الحالات الطبيعية، منفصلين مسافة ٢٠ سنتيمتراً. كما أصيب بفتق في المستقيم وانفجر محتواه في بطنه. وسقط هوارد بعيداً عن الشجرة منزلقاً ومتدحرجاً مسافة ٢٠٠ متر على سفح الجبل، والاطراف المدببة للحوض المكسور تشرط أحشاءه.

لم يغب هوارد عن الوعي. أدرك انه مصاب بجروح بالغة، غير انه لم يشعر بالالم بعد، بل بخدر وارتياح الى انه ما زال حياً.

ووصل مسعفان للحال لنجدة هوارد، وتبعهما آخرون بعد وقت قصير ومعهم المعدات الطبية اللازمة وجهاز لاسلكي. وبعد ست دقائق توجهت طوافة تابعة للمركز الطبي في جامعة يوتاه الى المكان.

الآن بدأ هوارد يحس بالالم. ولم تخفف ثمانية مليغرامات من المورفين حقنة اياها أحد المسعفين من اوجاعه. ووصلت الطوافة بعد ست عشرة دقيقة. كان الالم يصرخ في كل خلية من جسده وهو في طريقه الى المستشفى، فيقابله بزعيق وصرخات استغاثة بلا جدوى. ثم اختفى صوته، فاستمر محاولا ان يصرخ من دون صوت.

في المستشفى ادخل هوارد بسرعة غرفة الطواريء، وسرى النداء الملحّ عبر الجهاز: "نرجو الانتباه! حال طارئة! حال طارئة من الدرجة الاولى!" ومعنى ذلك ان ثمة مريضاً يعاني سكرات الموت. وللحال تولى جيفري سافل (٣٤ عاماً) الجراح المسؤول عن فريق الطواريء ذلك اليوم فحص هوارد واستنتج ان لا أمل له في النجاة.

لقد مرت بالدكتور سافل حالات متزلجين مصابين بجروح، لكن أياً منهم لم ينج من حادث بهذا العنف. كان جوف هوارد ممزقاً، وغشاء الخصيتين منتفخاً في حجم كرة قدم، والدم يتدفق منبثقاً من المستقيم

فائضاً عن طاولة الفحص ومنساباً على بلاط الغرفة. وقد ألصقت الانابيب بذراعي هوارد وباحدى رجليه، وأخذ الممرضون يعتصرون اكياس الدم ليضخوه في المريض بأسرع ما يمكن.

أصيب سافل بالذهول ليقظة هوارد الذي أعطى اسم زوجته ورقم هاتفها، وأمر بنقله الى غرفة العمليات ثم اتصل بزوجته. أصغت نانسي بجزع الى كلام الطبيب: "سنجري لزوجك جراحة الآن. ولا أدري اذا كان سينجو." وعلى الاثر ركبت نانسي اول طائرة الى مدينة سالت لايك.

كان سافل يدرك ما يمكن ان تحدثه اطراف عظمة الحوض المكسور من ضرر في المثانة، وقد عمد الاختصاصي بالمسالك البولية جوزف سميث الى ادخال انبوب في القضيب فبلغ المثانة وحقنه بصباغ ملون. وأظهرت صورة الاشعة تمزقاً رئيسياً في المثانة تسرب من الصباغ الى الحوض. بعد ذلك فتح سافل بطن هوارد لاصلاح الجزء المعطوب فيما استمر النزف قوياً داخل الحوض.

وفيما الدم يندفع غزيراً في الجوف، تابع سافل محاولاته اغلاق المنافذ الصغيرة التي يتسرب منها الدم. لكن النزف لم يتوقف. فحاول الجراح فتح شرج اصطناعي، فقطع المعي الغليظ وخاط الطرف الادنى وأخرج الطرف الاعلى من خلال جدار البطن ووضع كيساً خارجياً تفرغ فيه محتويات الامعاء.

الى ذلك حفر آرون هوفمان الاختصاصي بجراحة العظام ثقوباً في عظمي الورك وربط لولبياً بين اطراف مثبت فولاذي غير قابل للصدأ، وهو جهاز يشبه ملقط قطع الثلج. ثم قارب بين اطراف المثبت وسدّ الفجوة العريضة في الحوض.

وعلى رغم ذلك كله لم يخف النزف. واذا استمر الامر على هذا المنوال، فالرجل هالك لا محالة. ولاحت للجراح فرصة اخيرة. أغلق الجوف المفتوح ونقل المريض الى قسم تخطيط الاوعية الدموية حيث أدخل الدكتور باتريك لويرز أنبوباً في الشريان الى الجهة اليسرى من أصل الفخذ ودفع به الى الشريان الابهر (الاورطة) في البطن وحقن صباغاً. وراقب مسرى الصباغ في الشرايين والاوردة من خلال جهاز يعمل بالاشعة السينية (اكس) الى ان تسرب السائل الملون من شق في شريان في عمق الحوض. وبتؤدة سلك لويرز بالانبوب الى ان بلغ به مكان الشق. ثم حشاه ذروراً من مادة "جلفوم" اللدنية، آملا ان تتجمد في الشق. وراقب الاشخاص المتحلقون حول هوارد التجربة وهم يبتهلون. وسرعان ما توقف الدم المنبثق وارتفع ضغط دم هوارد. لقد سدّ الشق وتوقف التسرب.

كانت مضت على هوارد سبع ساعات في غرفة العمليات حين وضع في وحدة العناية الفائقة. وعلى رغم الجراحة الحاذقة التي أجراها سافيل فانه صرح بأن فرص نجاة هوارد شبه معدومة. فالمرضى الذين يحتاجون الى كميات كبيرة من الدم لا تكتب لهم الحياة عادة، وهو لم يعرف في حياته انساناً كهوارد اجري له هذا

العدد من عمليات نقل الدم، اذ بدلت كمية الدم في جسمه أكثر من خمس مرات. وفي قاعة الانتظار عرض سافل لنانسي حال زوجها الصحية، وفي رأيه انه، وان هو بقي حياً بعد الصدمة فسوف يكون من الضروري اجراء جراحات اخرى له في المستقبل، وانه من المنتظر ان تحدث مضاعفات خطيرة.

عندما اصطحب الطبيب نانسي لترى هوارد لم تتعرف عليه في البداية. فقد أدت السوائل التي ضخت في جسده الى تضخم رأسه الذي بدا في حجم بطيخة كبيرة. ومع الصباح استفاق هوارد وأحس بوجود زوجته. كانت الانابيب الملصقة بعنقه تمنعه عن الكلام، لكنه استطاع على ورقة وبقلم رصاص ان يخربش شكلا يذكر باحدى النكات، فانفرجت اساريره بينما ندت من نانسي ضحكة. ودهش سافل لهذه الروح المرحة. كان هوارد يستحق من الطبيب الشاب خير ما لديه، وهو ما كان في أمس الحاجة اليه.

بعد أربعة أيام على الحادث فتح هوفمان فخذ هوارد ولأم طرفي العظم المكسور وثبت قطعة فولاذ للحماية، واستعمل الطريقة نفسها في معالجة الجزء الخلفي من يسار الحوض الذي انحرف حوالى ثمانية سنتيمترات.

وتوالت الايام وبدت حال هوارد في تحسن. وأخبر سافل زوجته انه متفائل بحذر، لكنه ما زال متخوفاً من تعفن الدم. لذا اخذ هوارد ثانية الى غرفة العمليات حيث نظف الجوف من الجلطات والانسجة الميتة. وتكرر ذلك ثماني مرات.

وبعد سبعة عشر يوماً من الحادث شكا هوارد من ألم لا يطاق في اسفل بطنه، وارتفعت حرارته الى ٤٠ درجة مئوية. فنقله سافل على جناح السرعة الى غرفة العمليات حيث وجد ان أنسجة المرارة تلفت بسبب النقل المتكرر للدم. فعمد الى استئصالها آملا ان ينجو هوارد من هذه النكسة الجديدة. وفي الليل هبط ضغط دم هوارد، وكان ينزف بعد الجراحة الجديدة، فاضطر سافل الى وقف النزف مرة أخرى.

وجد هوارد في نفسه العزم ليجتاز الازمة التي مرت به. وهو نقل الى وحدة الحروق للعناية القصوى. وسهرت عليه هناك الممرضة دنيز جنسن لمدة ٢٢ يوماً. ولم يكن لديها مريض سواه. وأمضت معظم وقتها محاولة ثنيه عن محاولاته انتزاع الانابيب من جسده. وكان تقول له كل بضع دقائق: "لا يا هوارد، لا!" وعلى رغم الاوجاع بقي هوارد محتفظاً بروح الدعابة، وأدرك انه ما زال في وسعه ان يضحك عندما اخبرته دنيز ان زوجها سمعها في احدى الليالي تصرخ في نومها: "لا ياهوارد، لا!".

كان هوارد يكره الانتقال من مكانه وتغيير ثيابه وأغطية سريره لان ألمه المستديم كان يزداد. لكن سافل أصر على تنقله من أجل صحته ومعنوياته. وهو أجبره على التنقل في كرسي ذي عجلات ثلاث مرات يومياً. وكانت نانسي وأحد الممرضين يرافقانه في جولته داخل المستشفى.

في منتصف فبراير (شباط) بعد ٣٣ يوماً على الحادث، تم نقل هوارد الى

مستشفى قريب من البيت·وكانت أجريت له تسع جراحات (يتوقع ان تتبعها أربع أخرى في ما بعد) واستوعب جسده ٥٩ ليتراً من الدم ومشتقاته· وقد لا يعير أحد اهتماماً هذه الارقام، لكن بقاء هوارد حياً بهذه الجروح يعد أعجوبة من أعاجيب الطب·

بقي هوارد ٧٧ يوماً في مستشفى القديس بولس في مينسوتا وهو يتماثل للشفاء· وفي ٥ مايو (أيار) عاد الى منزله في غولدن فالي على عكازين· وبحلول شهر يونيو (حزيران) بات يستعمل عصا سرعان ما استغنى عنها· وفي يونيو (تموز) ازيل الانبوب عن مثانته، وعاد الى عمله في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٣ ليدير شركة الاستشارات التي يعمل فيها·

ولكن لن ينسى هوارد قط الالم الذي مزقه على سفح جبل يوتاه، وقد لا يفارقه هذا الشعور ابداً· لكنه الآن يتطلع الى التزلج من جديد·

ويدرك هوارد هوي تمام الادراك انه مدين بحياته لاناس مخلصين وموهوبين· لكن لدى الدكتور سافل، الذي ما زال مشدوهاً لشفاء مريضه، تصوراً مختلفاً: "لا أظن ان هذا الرجل فكر لثانية واحدة في الاستسلام· انه شخص غير عادي·"

■ جون هابل



سأل استاذ الاقتصاد تلاميذه: "ما الفرق بين الدائن والمدين؟"
فأجابه أحدهم: "الاول يتمتع بذاكرة أقوى"·

أ·ت·

المطبخ الانكليزي

زار صناعي الماني نظيراً انكليزياً استضافه أياماً في مدينة برمنغهام· وسأل الانكليزي صديقه، وهو يودعه، عما أعجبه في الطعام المحلي، فأجاب: "أفضل ما وجدته في المطبخ الانكليزي هو الطعام الصيني والهندي"·

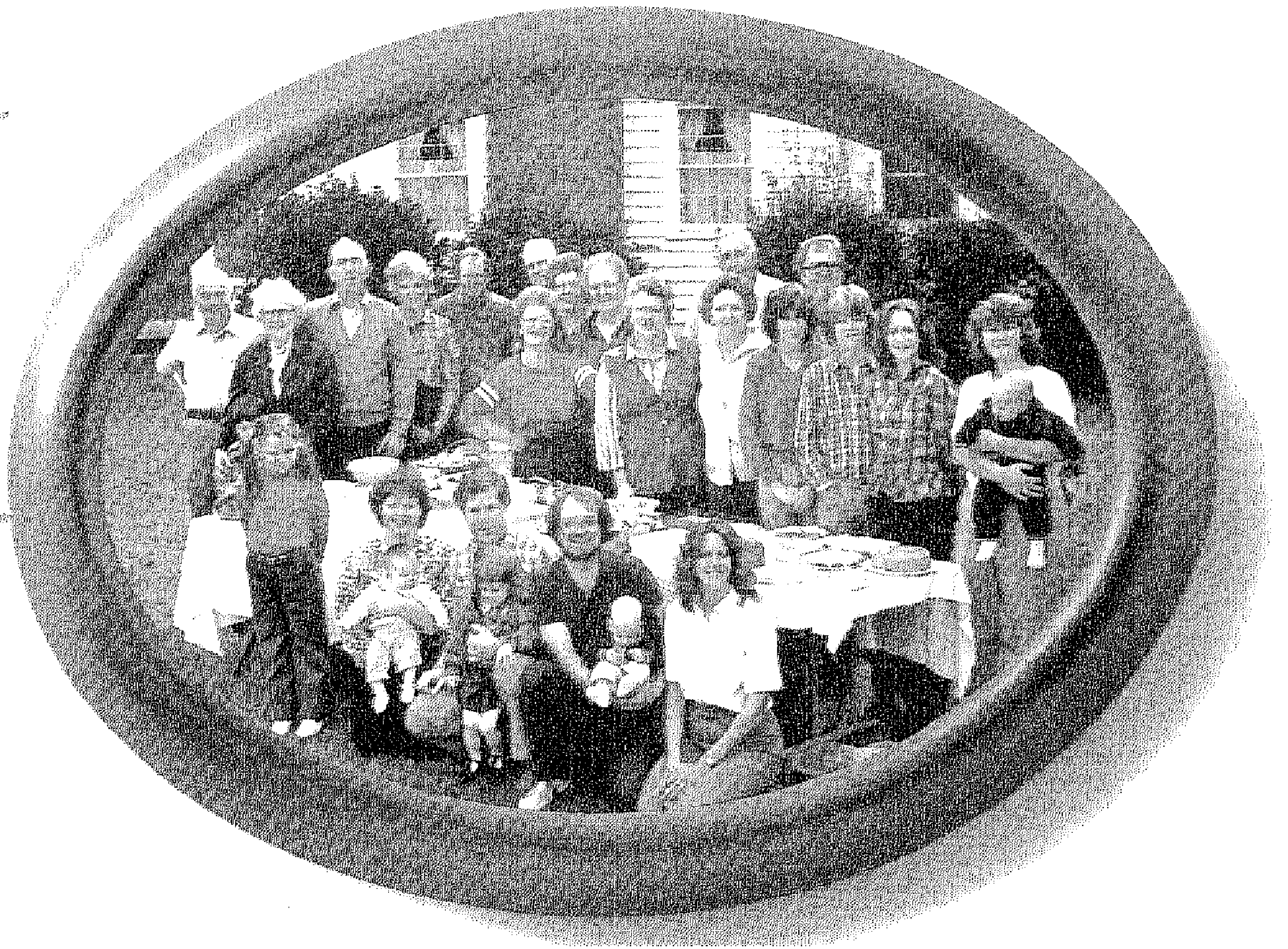
مجلة "هاي لايف"، انكلترا

طبيب نادر

ذات ليلة أصيب طفلنا بنوبة سعال قوية، فاستدعينا الطبيب الذي عالجه في الفترة التي أعقبت ولادته· وبدلا من موافاته الى المستشفى كالعادة، جاء هو الى البيت وأعطى الطفل حقنة ثم خرج الى صيدلية تفتح ليلا لاحضار المزيد من العقاقير·

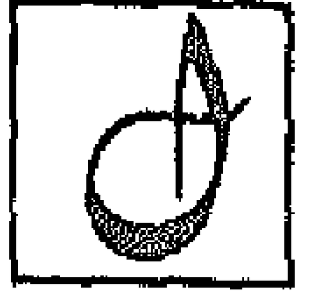
وفي الثانية بعد منتصف الليل، تحسنت حال الطفل وبات في امكان الطبيب ان يغادر· وراح أحدنا ينظر الى الآخر ونحن نسأله عن اجرة المعاينة· ولاحظ الطبيب ذلك، فقال: "ان ما فعلته تقدمة· فأنا لا أطبب في المنازل"·

ك·ب·



العُرْوَة الوثقى

بعد موت والديّ بقيت رغبة الانتماء الى العائلة راسخة في اعماقي وبقي الحنين يشدني الى البيت الذي ربيت فيه



لست أذكر من منا فكر في دعوة العائلة الى لقاء، لعلها احدى الشقيقات وهن كثيرات يتحدثن بلا كلل في شؤون العائلة، أو لعله اخي الاصغر غاري.

فوجئت صراحة عندما أخبرتني بيتي وهي احدى الشقيقات، بمشروع اجتماع العائلة. فكلمة "اجتماع" غريبة بالنسبة الى العائلة، كأنها تعني أن حدثاً ما قد طرأ وفرقنا وأن ثمة مناسبة تتاح أمامنا اليوم لرأب هذا الصدع واعادة جمع الشمل.

كان الاجتماع يوم سبت من أيام اغسطس (آب) وكان الطقس رائعاً والطبيعة خضراء زاهية تبهر العيون. والتقينا في بيت بيتي الذي يبعد بضع مئات من الامتار عن المنزل الذي ربينا فيه جميعنا. وفي ذلك اللقاء كان عدد افراد العائلة ثمانية وخمسين، وفيهم الاولاد والاحفاد وأولاد الاحفاد. ولم أكن أعرف أسماء جميع أبناء أولاد العم، وكنت أرى بعضهم للمرة الاولى.

تسلمت الشقيقات السلال والعلب الملأى بالطعام ورتبن محتوياتها على طاولات مدت في الهواء الطلق وأوكلن مهمة ابعاد الذباب عن المائدة الى بعض الحاضرين. ثم وقف فريد زوج بيتي وتلا صلاة شكر وجلسنا فأكلنا حتى التخمة.

ثم رحنا نتحدث على الاقارب والانسباء ولاسيما ابنة عمنا التي توفيت حديثاً. وكانت بيتي أرسلت يوم الدفن: زهوراً باسم العائلة كلها وحددت المبلغ الذي يتوجب على كل منا تسديده. وقال غاري ممازحاً: "ان بيتي تتصل بي هاتفياً من وقت الى آخر لتطلب مني ارسال بعض المال لشراء زهور للموتى. وما أن أعود الى المنزل حتى التقي الاشخاص الذين اعتقدت أننا أرسلنا زهوراً الى جنازاتهم."

الفوضى الحبيبة – تمددنا تحت أشجار ظليلة في مقاعد وثيرة وحللنا أحزمتنا ورحنا ننظر بسرور الى الاولاد يعدون في أرجاء الحديقة لاهين. والتقطنا للمجتمعين صوراً بعدما اصطف الاشقاء والشقيقات بموجب أعمارهم كما كنا نفعل كلما وقفنا أمام آلة التصوير. لكننا في تلك المناسبة كنا تقدمنا في السن واجتاح الشيب مساحات أرحب من رؤوسنا وبات اهتمامنا باحفادنا اكبر من اهتمامنا باولادنا.

وتذكرت أننا كنا جميعاً هكذا في لقاء شامل يوم جنازة أمي عام ١٩٧٣. ولعل واقع غيابها المرير كان بداية تعلقنا جميعاً بمبدأ العائلة.

في طفولتي كنت أعرف أعمامي وأخوالي، لكنني لم أكن أعرف أسماء جدي وجدتي. وأذكر أني كنت أنظر مرة الى صورة قديمة في المنزل فاستوقفتني صورة امرأة رائعة الجمال، فرفعت الصورة الى والدي وسألته: "من هذه؟" فأخذها برفق ثم أعادها الي وقال: "انها أمي."

كان والدي يحب أن يرانا مجتمعين في المنزل أيام العطل والاعياد. كان يحب ضجيج الجماعة والحركة وكميات الطعام الكبيرة التي تحضر لتلك المناسبات. وكان ينعم برفقة

Photo of Kay family reunion. Floyd Jillson / Atlanta Weekly

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

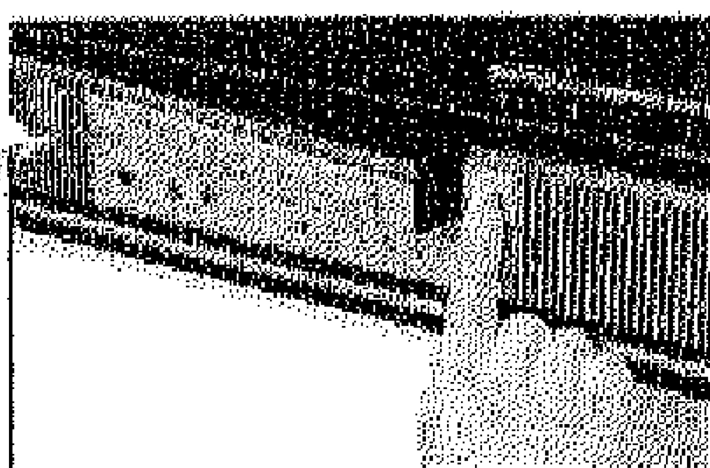
إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء . أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي . كل تلك المزايا الجديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة .. لك من شارب .

استمتاع بالعروض التلفزيونية والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

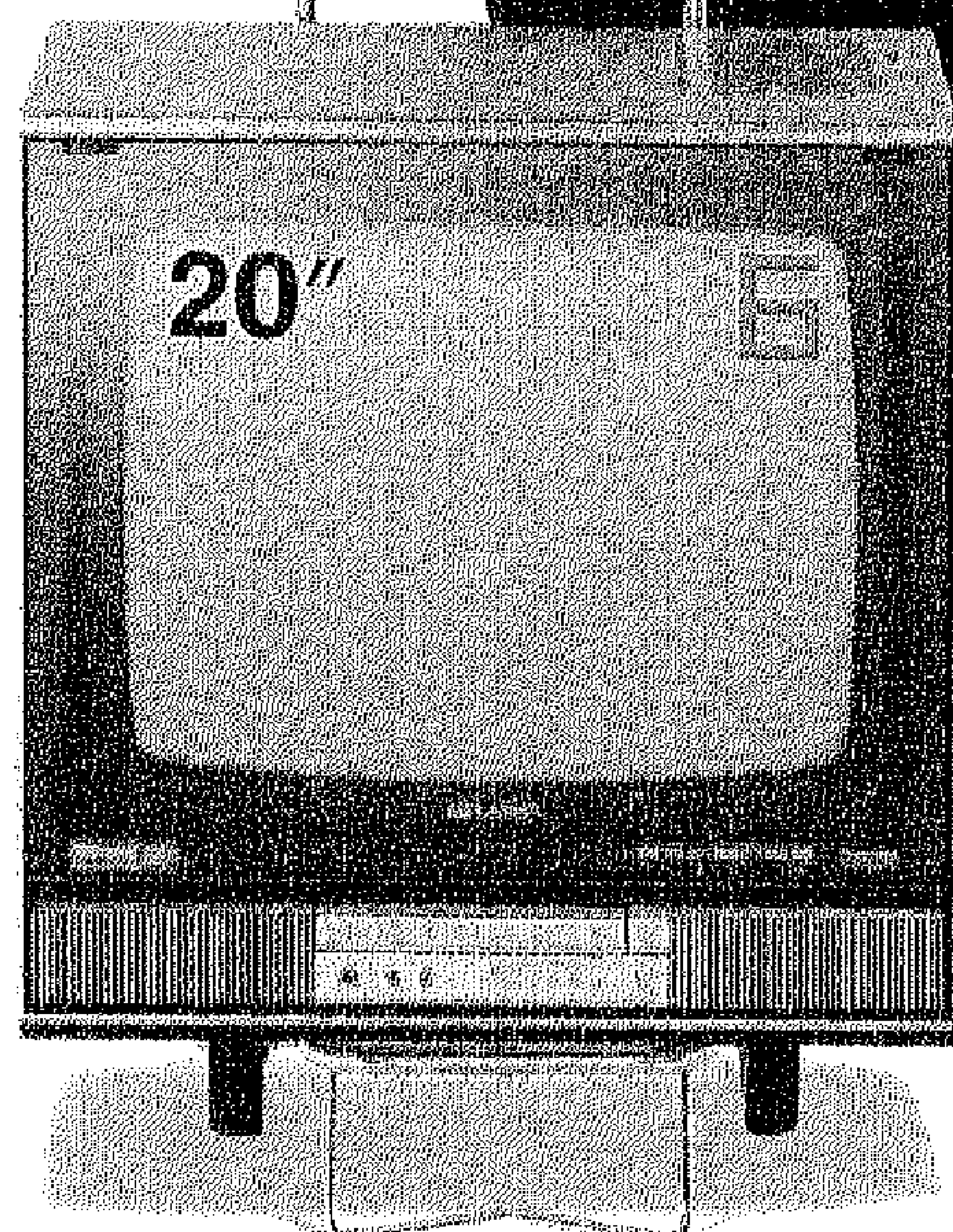
أضف الى ذلك تفارق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فبه ستحصل على الاداء الراقي . استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهولك أينما تريد أن تكون ..



Shot Vision

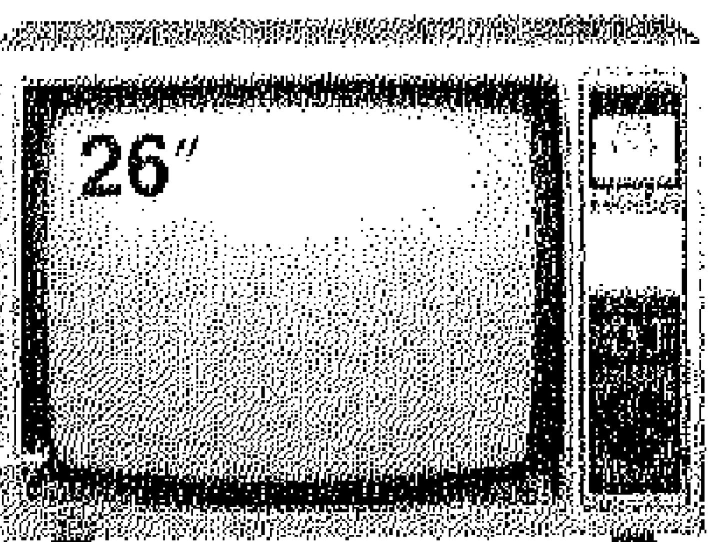
DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١سم (٢٠ بوصة) . مع ريموت كونترول قابل للإنفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة . مزود بساعتين ثنائيتي القناة ستيريو لصوت صاف يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو . يعرض رقم القناة على الشاشة . ريموت كونترول ... قابل للانفصال من شارب . ١٦٠٠ DV ١٤٠٠ أيضا بالاضافة مع وحدة ريموت كونترول ...



DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦سم (٢٦ بوصة) . مع ريموت كونترول يقوم بأداء ١٦ وظيفة . يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو . مجهز بذاكرة لبرمجة ١٦ قناة .



بكل فخر نخدمك لترقى الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب . اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي .
السعودية : حسين ع. سكلوخ ص.ب. ٧١٣ . جدة تلفون ٦٤٧٩٦٧٠ . ٦٤٧٦٦٢٥
الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب. ٥١١٨ . الصفاة تلفون ٤١٢٦٧١/٤١٢٦٧٩
الامارات : كوسموس ص.ب. ٦ . دبي تلفون . دبي ٤٣٥٩١٨ . ابو ظبي ٣٣٥٥٥٦ . العين ٦٥٦١٤٣ . شارقة ٣٧٧٩٦٦

البحرين : متجر وربن ص.ب ٣٣٣ البحرين تلفون ٢٥١٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢١٠١١٥
عمان : شركة عمان للالكترونيات المصرية ص.ب. ٢٠٨٨ . مطرح تلفون . ٧٠١٤٩١ ماربيتي . ٧٠٣٠٠٥
قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب. ٨٧٥ . الدوحة تلفون ٤١٣٦٨٧/٤٣٠٧٦
لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب. ١١-١٩٥٥ . بيروت تلفون . ٣٩٢٥٩٨/٩ . ٣١٦٣٢٥

أحفاده، خصوصاً أولاد أحفاده الذين يطوف بهم في المزرعة في شاحنة كادت ان تصبح حطاماً غطاه الصدأ، وكانت الشاحنة تكتظ براكبيها الصغار، فتدور وتلف مفرقعة مقرقعة والاولاد فوقها يرتجون ويهتزون كما لو كانوا غلالا جناها الوالد.

وكثيراً ما كان والدي يعتمر قبعته العريضة المصنوعة من لباد كثيف قبيل توديع المجتمعين. وبذلك كان يخفي وجهه والكآبة التي تجتاح قسماته فيما السيارات تنصرف مبتعدة عن الباحة واحدة بعد الاخرى.

ان المسنين يتألمون بصمت متى تُركوا ليعيشوا بقية حياتهم في عزلة. وقد تغيرت حياة أبي وأمي مع مغادرتنا بيتنا الأبوي واحداً واحداً. كانت الحياة تدب في المنزل عندما كان الجميع في الماضي يجتمعون وكانت الشقيقات يعدن دائماً مع أزواجهن واولادهن فيضفي ذلك الحشد على المنزل جواً من الفوضى مستحباً.

شيخ القبيلة - بعد الظهر انتقلنا، نحن الكبار، لنستظل بشجرة الجوز المورقة أمام المدخل الخلفي. وكان صهري جيم في مثل ذلك الوقت من جلستنا يتناول غيتاره ويداعب الاوتار باحثاً عن لحن يعزفه، ورأسه مائل واذنه تكاد تلامس الاوتار. عندئذ كنا نتوقف عن اللعب ونتسل لنجلس على مقربة منه ننتظر الاغنية الموعودة.

في الماضي اصبح والدي، بعد موت آخر أشقائه، شيخ قبيلتنا المشتتة. كان ذلك يوم بدأت حلقات اللقاءات تنمو وتتسع وشاعت النداءات لجمع الشمل وبدأت تلك الحلقات تجمع أناساً لم يلتقوا قط من قبل وانما تجمعهم صلات القربى وسمات الوراثة العائلية التي نحتت في وجوههم. وكان والدي يجلس وسط ذلك الحشد يقرأ بعض الاسماء وما يرافقها من تواريخ واحداث لم يكن أي منا يعرف شيئاً عنها. وكان يفعل ذلك بزهو واعتزاز.

ثم مات والدي. وعدنا اليوم الى سابق عهدنا باللقاءات العائلية. وفي كل مرة نتحدث حول ضرورة الابقاء على الاتصال بيننا وعلى الاجتماع كلما سمحت الظروف بذلك.

يجب أن تبقى العائلة متحدة، هكذا كان يقول والدي. وعلى كل فرد من أفرادها أن يعرف ما يصيب الآخرين من خير أو سوء، وأن يحتفل الجميع معاً بمناسبات الفرح والنجاح. وينبغي على الجميع أن يضحكوا معاً ويبكوا معاً. وعلى كل عائلة أن تحتفظ بسجلات تخلد ذكرياتها الطيبة، خصوصاً المجلدات التي تضم في طياتها صوراً لوجوه باسمة. ومن حق العائلة أن تنعم بالسعادة والسرور.

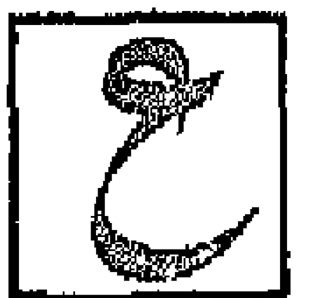
لقد تعلم والدي في دراسته تاريخ قومه ونسبهم وفيه أن قيمة العائلة هي في حاضرها.

■ تيري كاي

أول ما تتعلمه بعد شرائك منزلا جديداً هو أنك لا تعيش فيه، بل تنام فيه وتعيش في مخزن العدة.
ا.ك.

اثبت هذا
التاجر الرائد ان
مراعاة مصلحة المستهلك
تعود بالنفع على الطرفين

التاجر الناجح


عندما اوقفت حكومة جنوب افريقيا الدعم المالي للخبز عام ١٩٨٢ ارتفعت اسعار هذه السلعة بنسبة خمسة وعشرين في المئة. فاستعاض صاحب احد المتاجر الكبرى عن الدعم الحكومي بدعم شخصي موقت بمبلغ مليون راند (وحدة العملة في جنوب افريقيا) واعداً زبائنه بانه سيبقي اسعار الخبز لديه على مستواها السابق. وتسابق الزبائن لشراء ١٦ مليون رغيف قبل انقضاء مدة العرض بعد اربعة اشهر. وازدادت مبيعات المتجر عشرة ملايين راند في هذه الفترة. وهكذا اثبت ريمون آكرمان (٥٢ سنة) ان ما يصلح للمستهلك العادي يصلح كذلك للتجارة.

في غضون ١٦ سنة رفعت هذه الفلسفة التجارية ريمون آكرمان من ادارة اربعة حوانيت صغيرة الى التحكم بسلسلة من اكثر متاجر البلاد ازدهاراً تضم ٦٢ مخزناً وعشرة متاجر كبرى، وحققت له مبيعات زادت على مليار راند عام ١٩٨٢.

ومن المدهش ان آكرمان حقق هذا النجاح بانياً شهرته كمدافع عن حقوق المستهلكين. وربما كانت نشاطاته في هذا المجال تأخذ في الاعتبار تحقيق ارباح له، لكن المنافع التي نالها المستهلك بفضل جهوده لا يمكن انكارها. ويقول ستيفن ملهولاند محرر صحيفة "فايننشال ميل": "انه دعاية ممتازة للمبادرة الحرة. وهو برهن ان المشروع التجاري الذي يدار على نحو صحيح يعود بالنفع على الزبون والمستخدم ورب العمل على حد سواء."

"خذ وادفع" - كان آكرمان الأب أسس سلسلة المحلات لبيع الاقمشة والأدوات المنزلية في كيب تاون، الا ان اهتمام ريمون في مطلع حياته توزع مناصفة بين التجارة والرياضة. وبعد اختياره لاعباً في فريق الجامعة واصابته بارتجاج دماغي شديد في احدى المباريات، قيل له انه قد يصاب بعطل دماغي دائم اذا استمر في اللعب. عندئذ خصص آكرمان كل وقته بالتجارة وحصل على درجة بكالوريوس في العلوم التجارية. وحين تسلم العمل كمدير متدرب في سلسلة من المخازن كانت فكرة متجر الخدمة الذاتية (السوبرماركت) تلقى قبولا حذراً في جنوب افريقيا، واوفده رؤساؤه الى الولايات المتحدة ليتعلم أحدث أساليب البيع بالتجزئة (المفرّق). وهناك ركب وزوجته وندي حافلة من دايتون في ولاية اوهايو الى نيو أورلينز. وكان يترجل في كل محطة فيدخل المتاجر ليلاحظ مجرى العمل فيها.

وبعد عودته الى بلاده مفعماً بالحماسة قدم مخططاته لانشاء سوبرماركت "حقيقية" الى مجلس الادارة. وكانت هذه المخططات تقضي باختصار السلع وقصرها على الاطعمة تقريباً والغاء الخدمات التي تقدم للزبائن الا في قسم الاطعمة الجاهزة وصندوق المحاسبة على المدخل. كما شدد لرؤسائه قبل كل شيء على ضرورة خفض الأسعار الى ادنى مستوى ممكن.

ولم تلقَ اقتراحاته اهتماماً لدى هؤلاء. وبعد تسع سنوات من الكفاح لقبول أفكاره اضطر الى ترك وظيفته وقرر ان يفتح تجارة لحسابه الخاص. وقال له اصدقاؤه: "اشتر متجراً حيث يقدم الشاي، ولا تبدأ من الصفر. سوف تحتاج الى ٩٠ في المئة من الجرأة و١٠ في المئةمن رأس المال." وهو لم يكن يملك حتى تلك العشرة في المئة. غير انه عام ١٩٦٧ أمن ٤٠ ألف راند من ماله الخاص اضافة الى مبلغ جمعه من العائلة والاصدقاء وقرض من احد المصارف، فوظف في مشروعه ٦٢٠ الف راند اشترى بها متجراً من اربعة حوانيت في كيب تاون دعاه "خذ وادفع."

في السنة الاولى رفع اكرمان

مبيعاته من ثلاثة ملايين راند الى خمسة ملايين وأخذ يوسع اعماله. كان يختار مواقع في الاماكن القريبة من التجمعات السكنية ولكن بعيداً عن اواسط المدن، حيث توجد فسحات واسعة لوقوف السيارات وحيث الايجارات منخفضة. وكانت متاجره أنيقة وفسيحة وذات اجنحة واسعة لتحاشي ازدحام عربات التحوج. وكان يشتري كميات ضخمة من السلع ويخفض الاسعار فيصرّف بضائعه بسرعة. وأحب الزبائن هذا الاسلوب وفي غضون ست سنوات أصبح اكرمان يملك ٢٦ مخزناً تجارياً.

وقلقت المجموعات المنافسة من ان تقضي مزاحمته على تجارتها. وبعد وقت قصير من افتتاحه متجراً في جوهانسبورغ دعي الى اجتماع. ويقول في ذلك: "قال لي ثلاثة رجال: "عليك ان تبتعد عن منطقتنا او ان تشتري متاجرنا." ورفضت. فقالوا: "هذا يعني انك لا تأبه لما قد يحدث لعائلتك." وغادر آكرمان الاجتماع وهو ينتفض غضباً وخوفاً.

كسر القاعدة — في غضون اسبوع غمرت المياه محلا جديداً لآكرمان في كنسنغتون نتيجة انفجار خط انابيب لم تعرف اسبابه. بعد ذلك شب حريق في محل آخر له في بلاكهيث في جوهانسبورغ وأتى على سلع بألوف الراندات. ويتذكر آكرمان ذلك قائلا: "اتخذت احتياطات امنية مشددة للعائلة لكني بقيت مصمماً على المثابرة."

وهو ثابر فعلا وكسر قاعدة ذهبية في تجارة جنوب إفريقيا: مبدأ التقيد بالسعر المعلن. بموجب هذه الخطة كان اصحاب المصانع يحددون اسعار منتوجاتهم على نحو يترك هامشاً واسعاً من الربح للبائع، اما الذين يحسمون من السعر المحدد فيقاطعون. لكن آكرمان تحدى هذه الخطة وخفض أسعار بضائعه الى أدنى المستويات، وكانت تلك مغامرة افترض فيها ان اصحاب المصانع لن يجرؤوا على رفض طلباته الضخمة. وكان على صواب فاضطر منافسوه الى مجاراته في خفض الاسعار.

غير ان بعض اصحاب المصانع صمدوا في موقفهم. وحين دخلت جنوب افريقيا متأخرة عصر التلفزيون عام ١٩٧٦ رفض اصحاب المصانع امداده بما طلبه من اجهزة كان سيبيعها باسعار دون السعر الموصى به. واستعان آكرمان بزوجات مديري محلاته وبالاصدقاء لتقديم طلبات شراء الى المصانع تعطى فيها عناوين وهمية لعدد من الحوانيت الصغيرة في مدن الولايات الحدودية وموزامبيق. وحين كانت الاجهزة تصل بالقطار كان رجال آكرمان في انتظارها لنقلها في شاحناتهم الى المحلات. ويقول آكرمان في ذلك: "على رغم التكاليف الأولية المرتفعة، اي سعر المبيع بالجملة اضافة الى تكاليف النقل بالقطار والشاحنات، عرضنا اجهزة التلفزيون بأسعار أدنى من السعر المحدد وتفوقنا في التصريف على منافسينا."

يشعر آكرمان ان اغراء الأرباح العالية يعمي التجار غالباً عن رؤية

الارباح التي يدرها بيع بضائعهم بكميات كبيرة. ففي العام ١٩٦٩، حين علت الاسعار كثيراً مما جعل الدجاج طعاماً مقصوراً على المترفين، أخذ يعرض الدجاج بسعر ١٠ سنتات للباوند اي نحو ٢٢ سنتاً للكيلوغرام. ويقول: "أخذ الزبائن يحتشدون ويقفون صفوفاً وينتظرون ساعات لشراء الدجاج". وكانت هذه احدى المناسبات القليلة التي باع فيها آكرمان بخسارة، اذ كانت البضاعة تباع لاجتذاب الزبائن الى المحل.

جميع المتاجر الكبرى (هايبرماركت) في جنوب افريقيا هي ملك آكرمان، وهي تعتمد مزيجاً من الأفكار المستقاة من السوبرماركت الرائجة في الولايات المتحدة والهايبرماركت التي رآها آكرمان في بلدان اخرى، مثل فرنسا وألمانيا. وأنشأ اول متاجره الكبرى هذه في موقع بدا كأنه يتوسط اللامكان، في بوكسبورغ. غير ان هذا الموقع اختير استراتيجياً ليجتذب ألوف الزبائن من المجتمع السكني الضخم "ريف". ويملك آكرمان الآن عشرة متاجر كبرى وتزدهر تجارته الى حد بلغت معه مبيعات احد متاجره في كيب تاون مليون راند في يوم واحد عام ١٩٨٢.

فلسفة المنضدة — في حين لا يزال آكرمان يعتبر جنوب افريقيا منطقة انتشاره الاولى فانه اخذ يسعى اخيراً للانطلاق الى مناطق جديدة في الخارج. وهو يخطط لفتح متجر في بريسباين في اوستراليا عام ١٩٨٤ مع شركاء محليين يملكون ثلثي الاسهم. ومرة اخرى واجه آكرمان معارضة لافكاره سواء من المناهضين للتمييز العنصري او من الاتحادات العمالية. غير انه يواصل السير بثقة في الطريق التي اختطها لنفسه.

هذا النجاح الذي حققه آكرمان لم يأت بسهولة. فهو مدمن العمل. وحين لا يكون جالساً الى مكتبه في كليرمونت في كيب تاون تجده متجولا في اجنحة متاجره الكبرى في انحاء البلاد يقارن بين اسعاره واسعار منافسيه. ويتحدث آكرمان في ثلاث ليال من كل اسبوع في اجتماعات عامة متناولا مواضيع العلاقات التجارية. كما يشارك في الهيئات الادارية الجامعية ومؤسسة التنظيم المدني وسوى ذلك. وانتجاعاً للراحة يمارس رياضات خفيفة كالغولف ويمضي عطلة نهاية الاسبوع مع عائلته في منزله في كيب تاون.

يشبه آكرمان فلسفته التجارية بمنضدة ذات اربع قوائم فيقول: "يجب ان تكون القوائم الاربع متوازنة والا انقلبت المنضدة." القائمة الاولى هي الادارة، اي تقنيات تشغيل الشركة. والثانية هي التسويق، اي توفير ما يحتاج اليه الزبون (يؤمن آكرمان السلع الاساسية في جميع متاجره. ولكن في أغلب الاحيان يجد المهاجرون الجدد في المتجر القريب من مساكنهم سلعاً تذكرهم بوطنهم الام، مثل جبن "فيتا" من اليونان والحلاوة من الشرق الاوسط والبراتفورست من ألمانيا).

القائمة الثالثة هي الترويج، ويعتبر

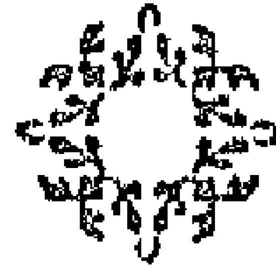
آكرمان انه لا يشمل الدعاية فحسب، بل مراعاة المستهلك وتحمل المسؤولية الاجتماعية ايضاً. وهو لا ينى يحض التجار على المساهمة في معالجة مشاكل المجتمعات البائسة في جنوب افريقيا. انه يستخدم في متاجره اناساً من كل الاعراق، ويقول في ذلك: "المؤهل الوحيد المطلوب هو الكفاية. واذا لم نوجد المجتمع السعيد الآن، فكيف تنجح تجارتنا في مجتمع تمزقه الصراعات؟"

يشدد آكرمان كذلك على العلاقات مع المستهلكين. فالزبائن الذين يتصلون هاتفياً بالمكتب الرئيسي لتقديم شكاوى يفاجأون بأنهم يتحدثون الى الرئيس الاعلى نفسه. وفي الحالات التي تكون الشكوى محقة يجبر آكرمان مدير المتجر على زيارة الزبون شخصياً لتقديم الاعتذار... مع صندوق من الشوكولاتة.

اما القائمة الرابعة في استراتيجية آكرمان التجارية فهي المستخدمون. وقد اجتمع آكرمان خلال العام ١٩٨٢ بجميع مستخدميه تقريباً، ويبلغ عددهم ١٦ الفاً، ساعياً الى التعرف على من رزق اطفالا جدداً او واجه مصاعب شخصية. وهو اعتمد مبدأ المشاركة في الارباح ومنح الاسهم للمستحقين، مما جعل مستخدميه يلتفون حوله في عصبة تشدها وشائج قوية.

عندما زار آكرمان احد متاجره في منطقة المناجم في ويتبانك انتحى به مستخدموه السود جانباً وقدموا اليه مصباح منجم نحاسياً نقشت عليه هذه الكلمات: "نشكر لك اهتمامك."

■ روجر كنيون



صوت الضمير

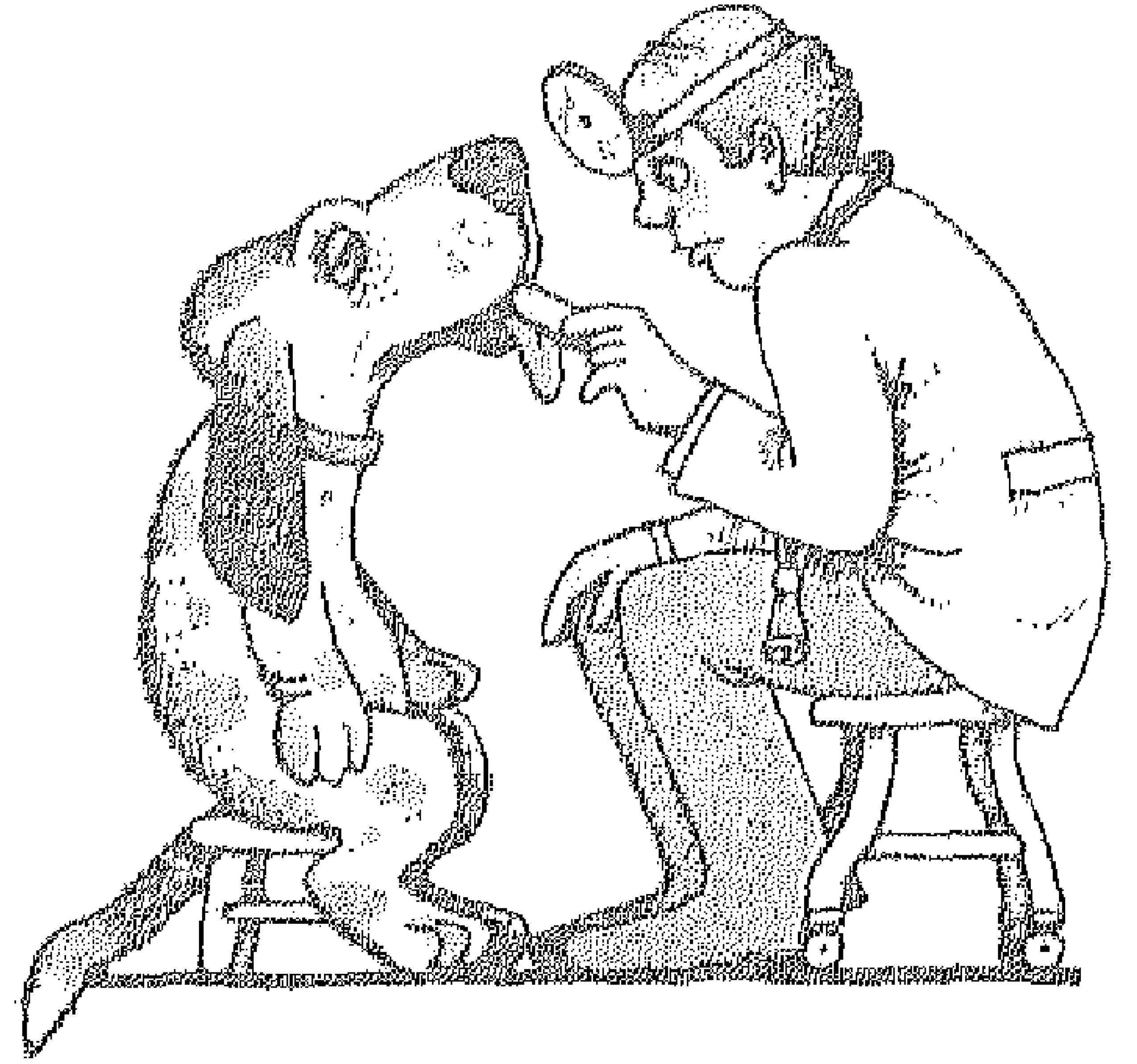
الطبيب الذي أعمل لديه لا يطيق التأخر عن المواعيد. وذات صباح جاءتنا المريضة الاولى وهي امرأة عرف عنها تأخرها على الدوام، بعد نصف ساعة من موعدها. وما أن دخلت غرفة الطبيب حتى رفع سماعة الهاتف قائلا لها ان شخصاً يود التحدث اليها. ولكم كان خجلها كبيراً عندما سمعت على الخط الآخر الساعة المسجلة تعلن الوقت.

ا.د.

الخطأ والمسامحة

حملت الى مكتبة الجامعة كتاباً بقي معي أطول من المدة المسموح بها. ووقفت أمام الموظف أتلو أعذاري. ولما فرغت منها أشار الى ملاحظة علقت وراءه: "الخطأ من طبيعة الناس، لكن المسامحة ليست من سياسة المكتبة." وهكذا دفعت الغرامة.

ج.م.



دائرة المعارف

لُقّب أبو العلاء المعري "شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء"، وهو سمى نفسه "رهين المحبسين" لذهاب بصره ولزومه بيته، ومن كتابه "اللزوميات" او "لزوم ما لا يلزم" انتخبنا ثلاثين كلمة، وقد وضع امام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ • حندس: حنكة ـ بساط عشبي ـ ظلمة ـ نبتة الحناء.

٢ • ذمار: وعد ـ حَرَم ـ دمار ـ حبل تَربط به الابل.

٣ • شَرى: جبل ـ أرض مقفرة ـ فساد ـ أسد.

٤ • كَرِيَ: امتطى ـ استيقظ باكراً ـ نعس ـ مقت.

٥ • ثلبَ: فتن ـ أخذ خلسة ـ قلب ـ عاب ولام.

٦ • حِمام: نار ـ موت ـ غبار المعركة ـ يمام.

٧ • هيدب: شعر الجفن ـ شجاع ـ مهذب ـ كثير الشعر.

٨ • رِجْس: عمل قبيح ـ خوف ـ كنز ـ صوت خفي.

٩ • قَطا: ثلج هاطل ـ من الطيور ـ قطن ـ نهر.

١٠ • ختلَ: لف ـ خدع ـ نمق الكلام ـ حاك.

١١ • ولغَ: شرب بأطراف لسانه ـ تمرغ ـ أحب ـ تغلغل.

١٢ • غَبَطَ: تمنى نعمة ـ ظلم ـ لبط ـ استخف.

١٣ • رضاب: غمد ـ تراب رطب ـ غيم ـ ريق.

١٤ • عِيْس: رماح ـ ماعز ـ ابل ـ حراس ليليون.

١٥ • شنار: لهب ـ عار ـ من المعادن ـ سخام.

١٦ • حِجى: لغز ـ مشية الحجل ـ أقصوصة ـ عقل.

١٧ • ارتجز: أنشد أرجوزة ـ اختصر ـ قطع العنق ـ أنجز.

١٨ • ثوى: ارتحل ـ ذبل وسقط ـ أقام ـ طوى.

١٩ • لَحى: أصر ـ شكر ـ لعن ـ شد من اللحية.

٢٠ • مَيْن: بعد ـ كذب ـ حظ تاعس ـ موت.

٢١ • حصيف: حذر ـ كثير الحصى ـ أنيق ـ جيد الرأي.

٢٢ • محاق: آخر الشهر ـ مستحيل ـ غياب ـ زلال البيض.

٢٣ • حَصان: لسان ـ امرأة عفيفة ـ خيل ـ زواج.

٢٤ • جدث: رحمة ـ قبر ـ انكار الحق ـ ركوع.

٢٥ • سمت: من النجوم ـ هدوء ـ طريق مائدة.

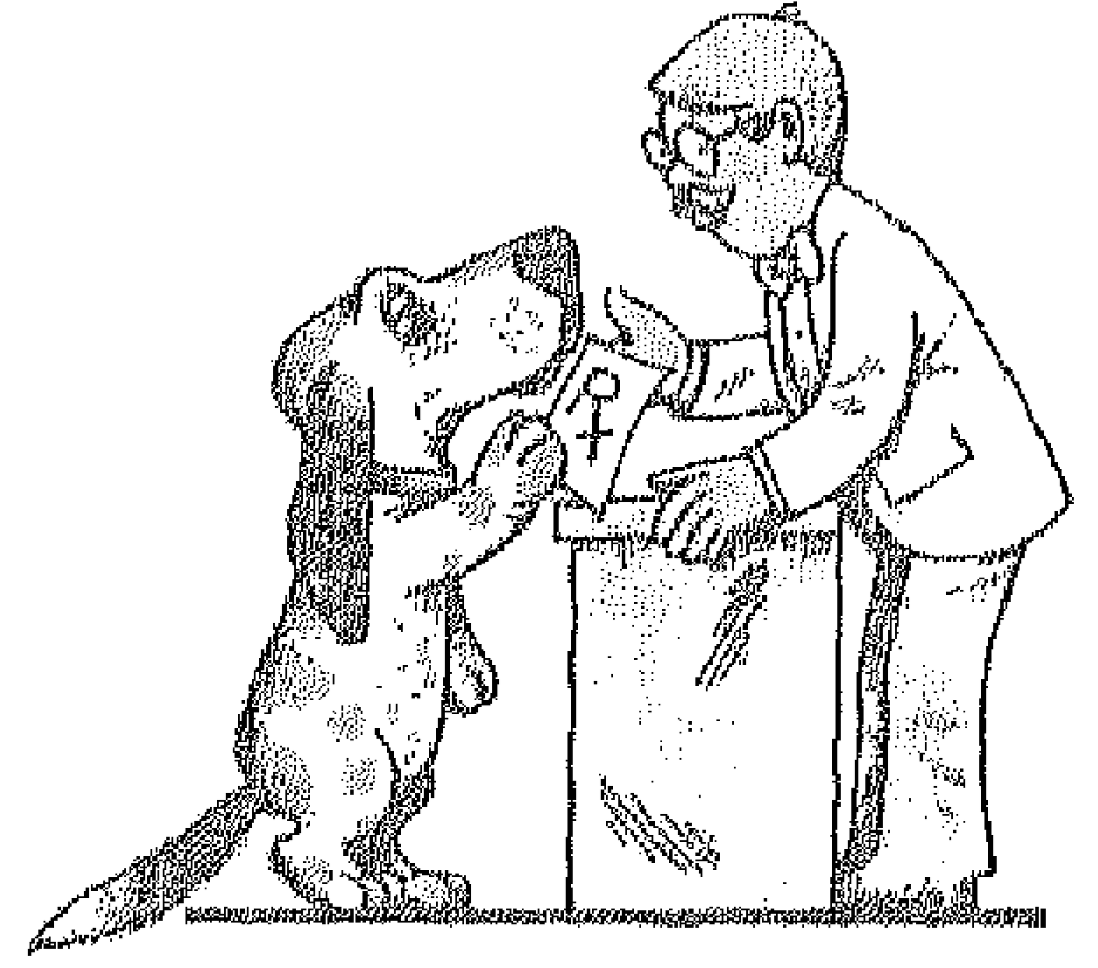
٢٦ • هارش: خاصم ـ قضم بشهية ـ دافع ـ بالغ.

٢٧ • تنطّس: تعجرف ـ تأنق ـ تنصل ـ تدخل في ما لا يعنيه.

٢٨ • سؤدد: طريق قويم ـ سيادة ـ صواب ـ سواد فاحم.

٢٩ • صَباء: سراب ـ ريح جنوبية ـ شغف ـ صفر.

٣٠ • رزية: مصيبة ـ شميلة ـ وتد ـ خطيئة.



الأجوبة الصحيحة

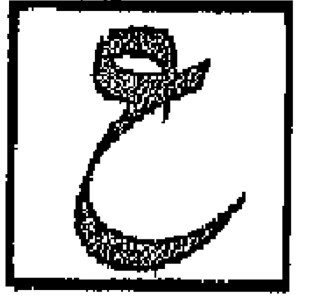
١٠ الحِنْدِس: الظلمة والليل الشديد السواد٠ الحَنادس: ثلاث ليال مظلمة من آخر كل شهر٠
٢٠ الذِمار: الحرَم والأهل وكل ما يلزم حمايته والدفاع عنه٠
٣٠ الشَرى: الجبل والطريق والناحية٠ ايضاً: مأسدة قرب الفرات يضرب بها المثل فيقال "هو كأسد الشرى"٠
٤٠ كَرِيَ: نعس٠ أكرى: سهر في طاعة الله٠
٥٠ ثلبَ: اغتاب، عاب ولام٠ المثلبة: العيب، جمعها مثالب٠
٦٠ الحِمام: الموت٠ الحَمام: السيد الشريف٠ الحميم: الصديق٠
٧٠ الهَيْدَب: الكثير الشَعر٠ ومن السحاب: المتدلي القريب من الأرض٠
٨٠ الرِجْس: العمل القبيح ووسوسة الشيطان٠ ايضاً: الحركة الخفيفة٠
٩٠ القَطا: طير في حجم الحمام يضرب به المثل في الاهتداء، والواحدة قطاة٠
١٠٠ ختلَ: خدع٠
١١٠ ولغ الكلب الاناء: شرب ما فيه بأطراف لسانه٠
١٢٠ غَبَطه: تمنى مثل حاله من دون ان يريد زوالها عنه٠
١٣٠ الرُضاب: الريق المرشوف، رغوة العسل٠ ماء رُضاب: عذب٠
١٤٠ العَيْس: كرام الابل، والابل البيض يخالط بياضها سواد، والواحدة عَيْساء٠
١٥٠ الشنار: العار٠
١٦٠ الحِجى: العقل والفطنة٠ الحِجا: الناحية. حَجا السرَّ: حفظه٠
١٧٠ ارتجز: انشد ارجوزة، وهي قصيدة من بحر الرجَز٠
١٨٠ ثوى في المكان: أقام فيه٠ ثواه: اضافه٠ ثوى الرجلُ: مات٠ ثُوِيَ: دُفن٠
١٩٠ لَحى: لام وسب وعاب٠ يقال "لحى الله فلاناً" أي قبَّحه ولعنه٠
٢٠٠ المَيْن: الكذب٠
٢١٠ الحَصيف: العاقل الجيد الرأي٠ ايضاً: كل محكم لا خلل فيه٠
٢٢٠ المحاق: (بتثليث الميم) آخر الشهر القمري٠ يوم ماحق: شديد الحر٠
٢٣٠ الحَصان: المرأة العفيفة٠ ايضاً: الدرّة٠ ابو الحُصَين: الثعلب لتحصُّنه٠
٢٤٠ الجَدَث: القبر٠
٢٥٠ السَمْت: الطريق والمحجة٠ ايضاً: هيئة اهل الخير، فيقال "ما أحسن سمته"٠
٢٦٠ هارش: خاصم٠ تهارشت الكلاب واهترشت: تواثبت وتحرشت بعضها على بعض٠ الهراش: الخصام والقتال٠
٢٧٠ تنطَّس: تأنق في كلامه وملبسه٠ تنطس الأخبار: تجسسها وبحث عنها٠
٢٨٠ السؤدد: السيادة والمجد والشرف والقدر الرفيع٠
٢٩٠ الصِبا والصَباء: الصغر٠ الصَبْوة: جهلة الفتوة٠
٣٠٠ الرُزء والرزيئة والرزية: المصيبة العظيمة٠

المستوى
- ٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
- ١٩ ـ ٢٤: جيد جداً
- ١٣ ـ ١٨: مقبول

عشقت الحياة وأحبت كل دور،
وهي شربت حلو الحياة ومرها حتى الثمالة



انغريد برغمان
نجمة لا تنطفئ



عندما ظهرت انغريد برغمان على الشاشة السينمائية من دون مساحيق تجميل، هبطت اسعار المساحيق. وعندما مثلت دور راهبة ارتفع عدد المنتسبات الى الرهبنة. وقد حجز الصناعي الاسطوري الثراء هوارد هيوز مرة جميع مقاعد الطائرة المتوجهة من نيويورك الى لوس انجلس كي تضطر السيدة الى الموافقة على ركوب طائرته الخاصة. ومشى معجب بخروف من اسوج (السويد) الى روما ليقدمه هدية اليها. كانت رسائلها تصل الى عنوان بسيط: انغريد برغمان ـ لندن.

اصبحت الكاتبة نجمة عالمية عندما مثلت عام ١٩٤٥ دور عازفة بيانو شابة في فيلم "الحجاب السابع". وهي مثلت ادواراً رئيسية في مسرحيات شكسبير في لندن، وكتبت وأنتجت اشرطة ووثائقيات، كما ألفت ثلاث روايات فصلا عن سيرتها الذاتية.

لكن صديقتي انغريد تختلف عن ذلك. كانت تجوب شوارع لندن منتعلة جزمة مطاطية رقيقة فوق حذائها ومتدثرة معطفاً قديماً واقياً من المطر، تمشي بخطوات واسعة وتضرب درجات السلالم بقسوة وهي تصعد الى شقتي حاملة بتأن طنجرة تحوي قطع لحم طبختها بنفسها على الطريقة الاسوجية لغدائنا. ثم تجلس على الارض امام جهاز التلفزيون حافية القدمين تضحك.... وتضحك.... وتضحك.

سمعت ضحكة انغريد الساحرة للمرة الاولى عام ١٩٥٠ في احد مطاعم روما حيث كنا نتناول بيضاً مقلياً. كنا ممثلتين تتكلمان الانكليزية وتعملان في بلد اجنبي. وقد تواعدنا على لقاء عفوي هناك. احببتها منذ ما سمعت صوتها. كان شعرها الاشقر ينسدل الى الوراء وعيناها الزرقاوان

Photos: Page (105) Movie Still Archives. Page (109) left top, from «Ingrid Bergman: My Story,» published by Delacorte Press, bottom Movie Star News: right top and middle, culver pictures; bottom, The Memory Shop

الصافيتان تلمعان وصوتها الخفيض يشبه صوت رجل حين تسمعه على الهاتف، حتى ان عاملات الهاتف (وهذا ما كان يزعجها كثيراً) كن يجبن أحياناً: "نعم سيدي!" ومنذ ذلك اللقاء الاول اكتشفت كل منا في الاخرى شقيقة مفقودة.

أسد يزأر – كانت انغريد دائماً الانسانة المتواضعة على رغم كونها احدى المع نساء عصرها، مغرمة بالمسرح والحياة، تحب التهام البوظة (الآيس كريم) والمشي تحت المطر. ارادت ان تمثل كل دور وتشارك في كل رحلة وتقيم كل حفلة وتشرب كل كأس تقدمه الحياة. قالت مرة: "لم اندم على عمل اديته. ندمت فقط على الاعمال التي لم انجزها."

قد تكون لائحة منجزاتها قصيرة جداً. فهي عاشت في اجمل مدن العالم واكثرها اثارة: استوكهولم وهوليوود وروما وباريس ولندن. ومثلت ادوار البطولة على المسرح وشاشتي السينما والتلفزيون في خمس لغات. ومثلت ٤٧ فيلماً ونالت ثلاث جوائز "اوسكار" وجائزة "ايمي". وكانت اماً متفانية لاربعة اولاد: بيا من زوجها الاول بيتر لندستروم وروبرتو والتوأمين ايزابيلا وانغريد من زوجها الثاني روبرتو روسيليني. وكانت سيرة حياتها ضمن لائحة أكثر الكتب مبيعاً.

كانت انغريد تتفانى بضراوة في عملها. قالت مرة: "اذا الغيتم التمثيل من حياتي فسوف اتوقف عن التنفس." وعندما أخبرها الكاتب آرنست همنغواي ان عليها "قص" شعرها لتلعب دور ماريا في فيلم "لمن تقرع الاجراس". اجابته بسرعة: "أقص" رأسي لأحظى بهذا الدور." وكانت تدأب على التمارين حتى ساعات متقدمة جداً من الليل من دون كلل وهي تتوسل لاعادة المشهد على رغم رضا المخرج عنه.

وما فتئت تصر على اجراء تجارب تصويرية حتى وهي في ذروة تألقها كنجمة سينمائية، وترفض ادوار بطولة لتمثل ادواراً ثانوية فيها تحد. ورفضت ان تكون اسيرة دور معين، وجاهدت للحصول على ادوار مثل عروس شابة على شفير الجنون في فيلم "نور الفانوس" او دور ثانوي لمبشرة اسوجية في فيلم "جريمة في قطار الشرق" (نالت عن الفيلمين جائزتي اوسكار).

منذ طفولتها الباكرة في استوكهولم كانت واثقة من طريقها الى المستقبل. في الرابعة عشرة من عمرها كتبت في مذكراتها تعلن رغبتها في تحقيق حلم لتمثيل دور البطولة امام ممثل اسوجي كان معشوق الجماهير. وقد تحققت امنيتها بعد خمس سنوات وقالت في حينه: "لم يولد انسان اكثر خجلا مني، لكن في داخلي أسداً يزأر ولا يهدأ ابداً."

وكان حظها غير عادي كموهبتها. فقد عاش في مدينة نيويرك زوجان اسوجيان مدحا تمثيلها في حضور ابنهما الذي كان عامل مصعد في بناية يسكن احدى شققها مساعد للمخرج السينمائي الشهير ديفيد

سيلزنيك. وبعد ستة أشهر كانت انغريد في طريقها الى هوليوود مدينة السينما. وهي ذكرت الحادث في ما بعد ضاحكة: "اني مدينة بنجاح حياتي المهنية الى عامل مصعد شاب."

غمامة صيف – هددت انغريد، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، بالعودة الى بلادها يوم أخبرها سيلزنيك انها ستمثل دور البطولة بشرط ان تغير اسمها وتشد اسنانها بقوس وترفع حاجبيها. وظهرت انغريد في الفيلم على طبيعتها وولدت معها موضة الشكل الطبيعي، ولقبها النقاد "غاربو النظيفة".

وتبعت ذلك الدور الممتع ادوار اخرى: مدرسة البيانو الوحيدة في فيلم "انترميزو" وعالمة النفس العاطفية في فيلم "المسحور" والراهبة في فيلم "اجراس سانت ماري". وخلال سنوات قليلة اصبحت من أشهر ممثلات السينما في امريكا وصاحبة الدخل الاكبر في شبابيك التذاكر في العالم.

وفي ليلة من العام ١٩٤٨ ذهبت انغريد لمشاهدة فيلم وثائقي اسمه "المدينة المفتوحة" عن روما ايام الحرب من اخراج روبرتو روسيليني. وللحال جذبتها عبقرية المخرج الصاعقة وأسرت الي في ما بعد: "اعتقد اني وقعت في غرام روبرتو منذ ما رأيت فيلمه." وبعفوية كتبت اليه تعرض رغبتها في تمثيل فيلم من اخراجه.

طارت انغريد الى روما حيث بقيت سبع سنوات. كانت لا تزال متزوجة بيتر لندستروم عندما حملت من روسيليني ووضعت ولداً كان سبباً في ثورة شعبية عارمة ضدها. كتبت الصحافة المعادية في الحادث انه "فضيحة القرن". ونالتها الشتائم من مجلس الشيوخ الامريكي وقيل انها لا تستأهل ان "تضع قدماً فوق تراب امريكا مرة ثانية."

وانقلبت المقاييس بين ليلة وضحاها، واصبحت انغريد كالسم في شباك التذاكر، واكتشفت ان عملها في هوليوود انتهى. ومعظم أفلامها من اخراج روسيليني لم تلق نجاحاً. وهكذا... تزوجا.

عام ١٩٥٦ مثلت انغريد دور البطولة في فيلم "آنستازيا" الذي تدور قصته حول الابنة الباقية لقيصر روسيا الاخير. وانقشعت الغمامة عن حياتها ونالت جائزة "اوسكار" عن ادائها الساحر.

ولم يمض وقت طويل حتى اصدر السناتور الامريكي تشارلز بيرسي اعتذاراً بأسم الامة وتقديراً لها واحتراماً، وهو موجود ضمن ملفات الكونغرس وقد جاء فيه: "ان احدى أجمل نساء العالم وأكثرهن موهبة كانت ضحية هجوم مرير قبل ٢٢ سنة شنته هذه الهيئة التشريعية. ستظل الآنسة برغمان تحتل منزلة رفيعة في قلوب الجماهير الامريكية كفنانة قديرة متميزة الاداء في هذا الزمن. ونحن نرحب بعودتها الى امريكا وهي تشرفنا كثيراً بزيارتها."

أريد أن أنام – ينبع اداء انغريد من

مع كاري غرانت في فيلم "الأحمق"، في الوسط: انغريد في "باريس يفعل أموراً غريبة".

كانت في السابعة عشرة عندما مثلت "الجميلة المستحمة"، تحت: "اعزفها مرة يا سام..." في "كازابلانكا".











داخلها ويشبه حياتها وطبيعتها الصريحة المخلصة. وقد قال الممثل جوس اوكلاند الذي قاسمها البطولة يوماً: "كانت عندما تدخل المسرح تتصرف بعفوية كزوجة تدخل مطبخها."

ووصفها المنتج اللورد سيدني برنشتاين قائلا: "لم التق فلاحة فائقة الحنكة مثلها."

كانت مشاريعها متواصلة، كأن تدخل مسرعة قريتي سوفولك القابعة على البحر لشراء زجاجة شراب، أو تركب معي دراجة صباح يوم احد في حديقة هايدبارك في لندن، أو تطير الى طوكيو لمشاهدة مسرحية جديدة باللغة اليابانية مقتبسة عن قصة "ذهب مع الريح". كانت تؤمن ان كل شيء يستوجب الاحتفال. كانت تحب الحياة وتريدها رحلة مرحة فوق ارجوحة دائرتة لا تقف ابداً.

واهتمت انغريد بأمور جديدة. ففي العام ١٩٥٨ مثلت فيلم "نزل السعادة السادسة" عن قصة مبشرة بريطانية تمكنت من انقاذ مئات الاطفال الصينيين خلال الحرب العالمية الثانية وأسست ميتماً في فورموزا (الصين الوطنية). وبعد بضع سنوات زارت انغريد الميتم وتأثرت كثيراً. لحال الاطفال البائسة وصبت جهودها بسخاء لجمع المال للميتم من اوروبا وامريكا. وبعد ذلك انضمت الى مؤسسة "اكندن فنشر" البريطانية التي تعنى بشؤون اطفال اللاجئين.

عام ١٩٧٣ اصيبت بمرض السرطان، لكنه لم يتمكن من تقييد روحها او امتصاص حيويتها، بل بقيت تواجه حياتها بشجاعة يوما بعد يوم وتناضل لانجاز ما يتوجب عليها.

وبقيت تخفي حقيقة مرضها عن أقرب الناس اليها لوقت طويل. وقد قالت وندي هيلر: "كانت تشاركنا في افراحها وتخفي عنا اتراحها واوجاعها. واجريت لها جراحتان لاستئصال الثدي، وتورمت ذراعها اليمنى على نحو مريع، لكنها كانت تشير اليها مداعبة: انظروا الى تنيني المدلل."

وصممت على رغم كل شيء ان تمثل دور غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل الراحلة وتقدم سيرة حياتها في اربع ساعات تلفزيونية من العمل المرهق المضني. وقالت معترفة: "الوقت قصير، وكل يوم اتحدى السرطان وابقى على قيد الحياة هو انتصار كبير لي."

اندفعت انغريد تنفذ المشروع بطاقتها المعهودة. سافرت الى اسرائيل وقابلت الاشخاص الذين عرفوا غولدا مائير معرفة وثيقة وأمضت ساعات في دراسة اشرطة مسجلة لها من أجل اتقان حركاتها وطبائعها. وما ازال اتخيل انغريد الانيقة الطويلة تتدرب على طريقة مشي رئيسة الوزراء ذهاباً واياباً في مطبخها حتى تمكنت اخيراً من تقمص شخصيتها واصبحت امرأة قصيرة ثخينة عدوانية.

وخلال التصوير كانت انغريد تشعر بألم متواصل في ذراعها، وفي الليل كانت تصبر على عذاب سحبها وتدليكها. وعندما انتهت لقطة التصوير الاخيرة بدت انغريد دامعة

العينين لانها كانت تعرف انها المرة الاخيرة في حياتها تواجه فيها الكاميرا. وقد اكسبها تمثيلها المدهش عام ١٩٨٢ جائزة "ايمي".

لم تتخل انغريد مرة واحدة في مرضها عن كبريائها واملها في الشفاء. وقبل ايام من موتها كانت تدرس قبول ادوار جديدة ولقد اعطتني هدية اخيرة هي تذكرة طائرة لحضور المهرجان الدولي في ادنبره. بكيت عندما اكتشفت انها حجزت لنفسها تذكرة ايضاً مع اننا كنا واثقتين من عدم استطاعتها القيام بهذه الرحلة. قالت لي ليلا عندما اتصلت بها هاتفياً: "اوه، انا متعبة جداً واريد أن أنام". وفي مناسبة اخرى قبل وفاتها بقليل قلت لها: "لديك موهبة عظيمة في نشر الحب... الذي هو اهم من الحب".

هزت رأسها ضاحكة. وفي رأيي ان هذه هي خلاصة سحرها.

توفيت انغريد يوم عيد ميلادها السابع والستين في ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٨٢. لكنها ستبقى حية للعديد من مشاهدي افلامها ـ مع غاري كوبر في جبال الثلج الاسبانية أو مع كاري غرانت في الريو حيث يكثر الجواسيس. وربما في دور إلسا لاند في "كازابلانكا" حيث يطاردك وجهها ويسحرك وتبقى صورته في ذهنك طويلا. في وقفتها هناك قرب البيانو تتمتم: "سام. اكراماً للمودة القديمة اعزفها مرة ثانية." تبتسم بذكاء وخبث وهي تنظر الى همفري بوغارت يقول لها: "كأسك يا صغيرة." وتودعنا حزينة متألمة وسط الضباب.

■ آن تود



مرضى محظوظون

لدى بلوغه الثمانين، قرر جدي التقاعد من مهنته كطبيب. وذهب الى محل للادوات الفضية واشترى عدداً من الملاعق الفاخرة. ثم قدم كلا منها في علبة الى مرضاه المسنين. وما أن فتحوها حتى قرأوا الاهداء الآتي محفوراً عليها: "الى مرضاي الاعزاء الذين أسعفهم الحظ ليعمروا على رغم محدودياتي."

ف.و.

أحاديث الزوجات

في حديث بين زوجة طبيب أسنان وزوجة كاتب ومحاضر، قالت الاولى: "لماذا لا ترافقين زوجك خلال محاضراته؟" فأجابتها صديقتها: "وهل تساعدين زوجك في قلع الاضراس؟"

مجلة "تايم"

مشكلة وضعك في مكانك عدم ايمانك أنه المكان الذي تنتمي اليه.

ر.ا.



حكايات من العالم

ثروة غير محسوبة

تفيد دراسة اجرتها غرفة التجارة الامريكية ان متوسط ما يحصل عليه العامل الامريكي يبلغ ٥١٣٨ دولاراً سنوياً. ووجدت الغرفة في استقصاء شمل ٨٥٨ شركة ان العامل يحصل ايضاً على فائدة تبلغ نحو دولارين ونصف دولار في مقابل كل ساعة عمل، وذلك على هيئة عطلات وعطلات مدفوعة الاجر ومساهمات في صندوق التقاعد وتأمين على الصحة والحياة.

مجلة "فاميلي ويكلي"

"باركر" في الصين

عندما افتتحت شركة "باركر" الامريكية للأقلام مركزاً للعرض والتصليح في الصين في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ هرع نحو اربعة آلاف صيني الى حفلة الافتتاح، لا لشراء أقلام جديدة بل لاصلاح أقلامهم القديمة. ويبدو ان أقلام "باركر" هذه التي بيعت في الصين قبل ثورة ١٩٤٩، تُعدّ متاعاً عائلياً يُنقل من جيل الى جيل ويعالج بعناية فائقة.

وتقول الشركة ان العصابات الصينية كانت، في ما مضى، تطلب أقلام "باركر" فدية لاطلاق رهائنها. وخلال الحرب العالمية الثانية كان الجندي الصيني الذي يمنح أرفع جائزة على الشجاعة يطلب ان يُعطى قلم "باركر" بدلا من وسام.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

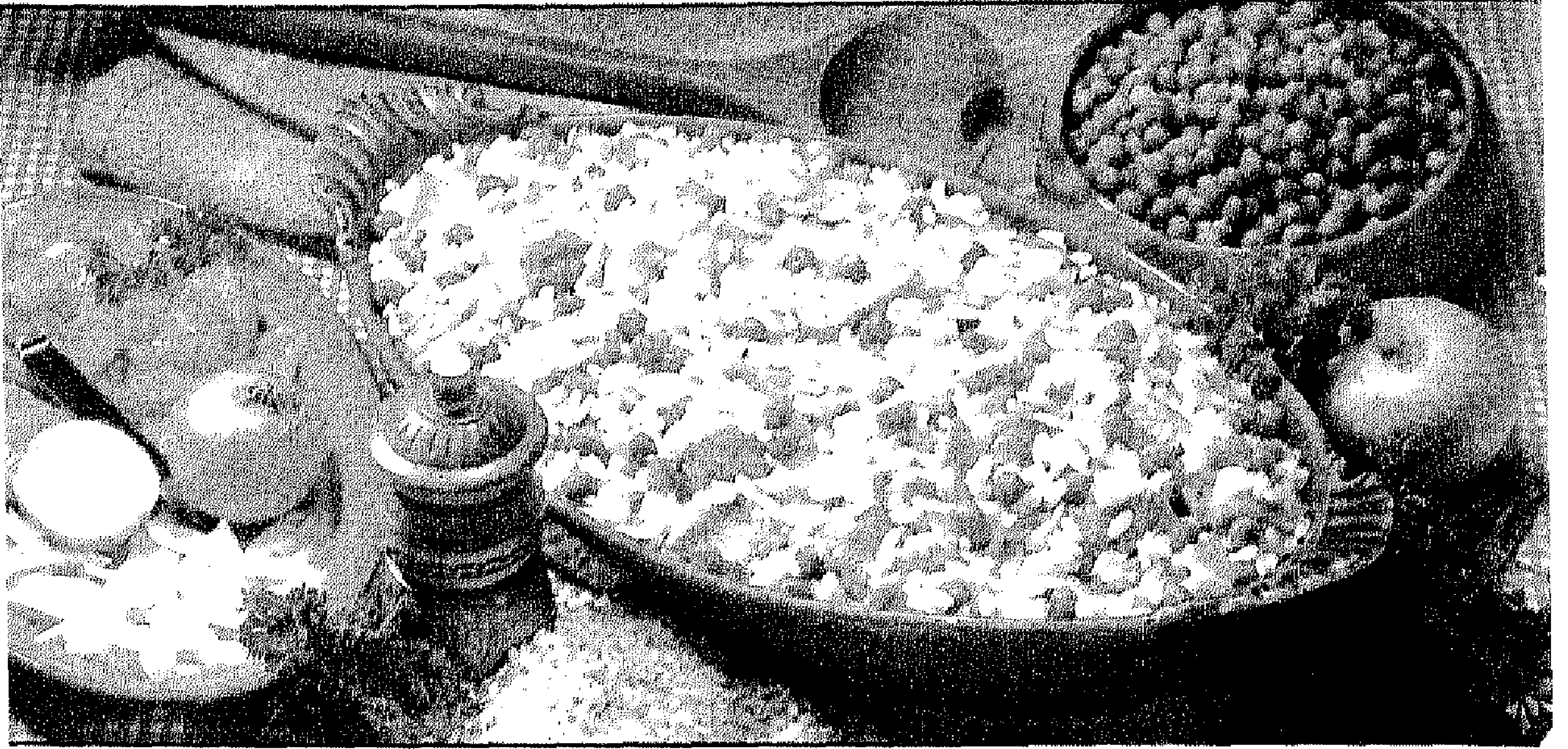
معرض العرائس

اذا كنت تبحث عن زوجة، فاذهب الى "معرض الحواري" على جبل غاينا في رومانيا واختر لك واحدة من الفتيات. ويقام هذا المعرض سنوياً في اواخر شهر يوليو (تموز).

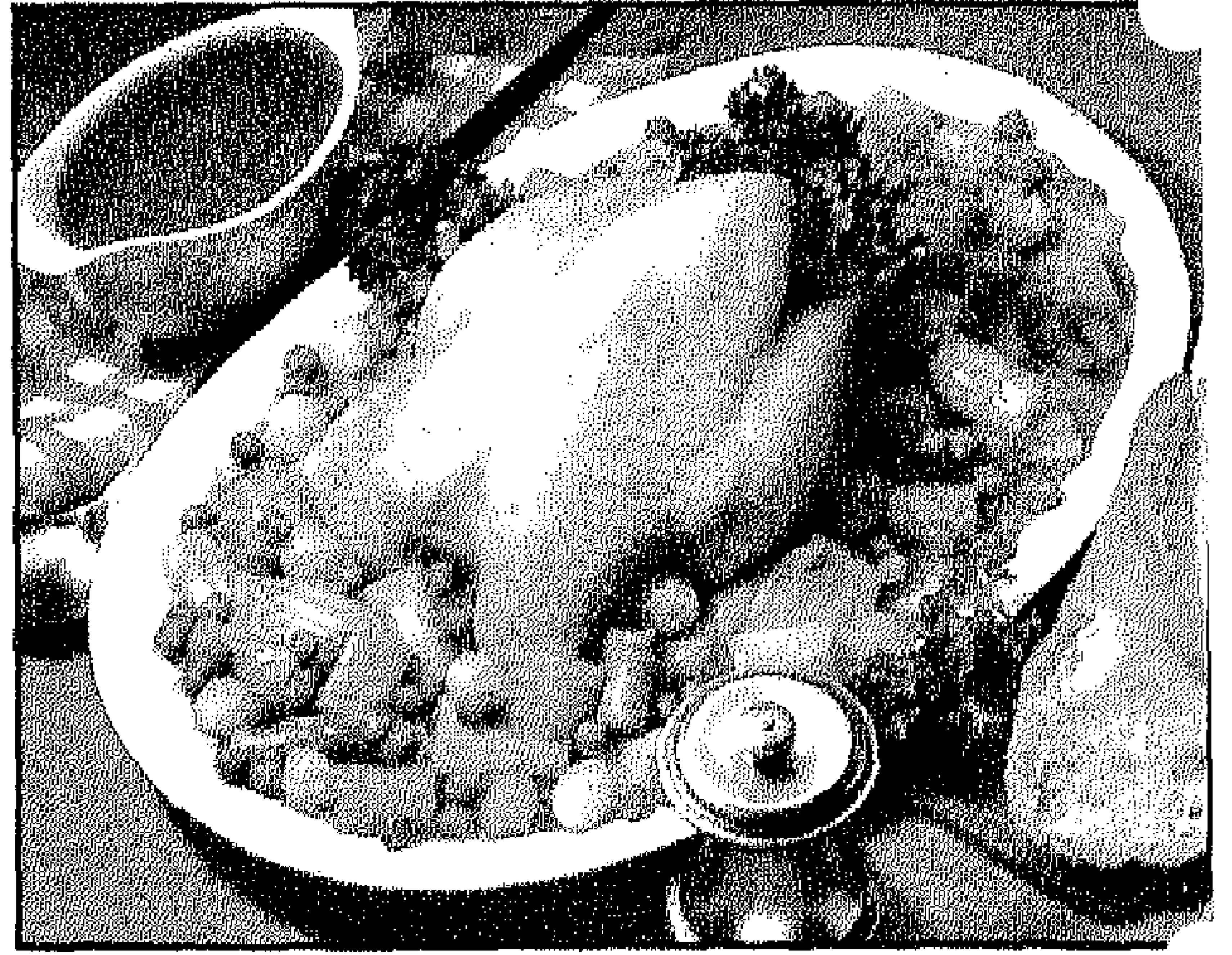
ويعود التقليد الى عصر اضطر خلاله رجال منطقة ترانسلفانيا الى المكوث ستة اشهر في الجبال يرعون غنمهم مما لم يبقِ لهم سوى وقت ضئيل للتعرف على شريكة حياة. لذلك درجت العادة على اقامة معرض سنوي للفتيات في مكان ما من جبل غاينا. وكانت النسوة يرتدن المعرض وقد اكتسين بأزهى الملابس والحلى ونقلن مقتنياتهن ومواشيهن الى ذلك المكان. واذا تم النصيب، كانت صاحبة الحظ تغادر مع عريسها.

وعلى رغم استمرار هذا التقليد فان المعرض غدا منذ الحرب العالمية الاولى عرضاً سياحياً. غير ان قاعدة واحدة لم تتبدل خلال السنين، وهي انه لا يحق للرجل اختيار اكثر من فتاة واحدة.

ن.ل.

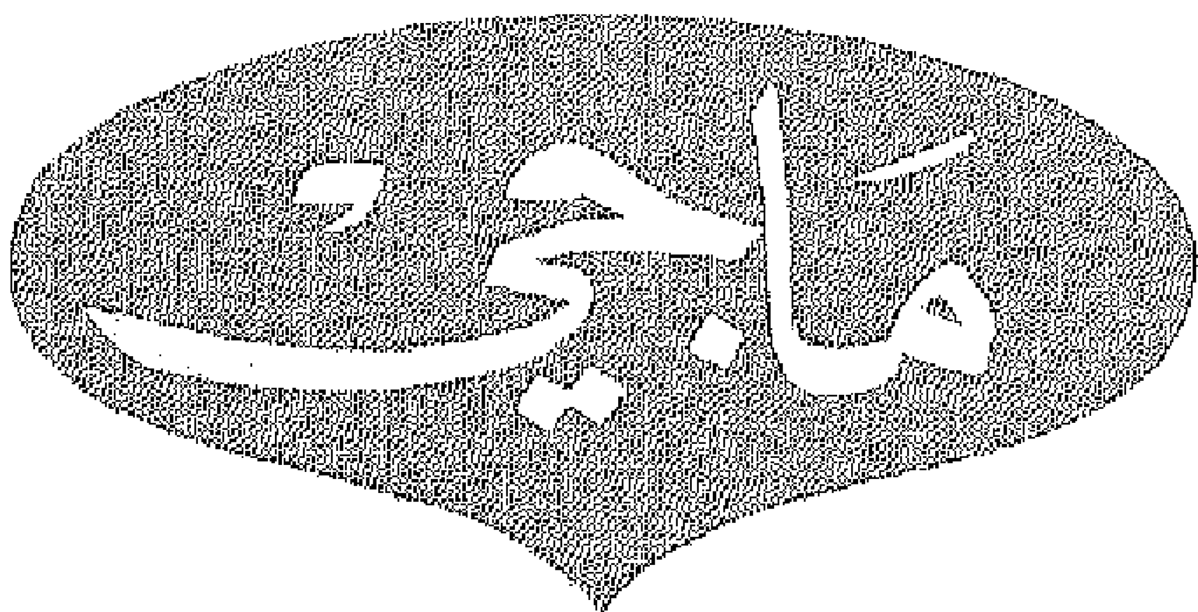


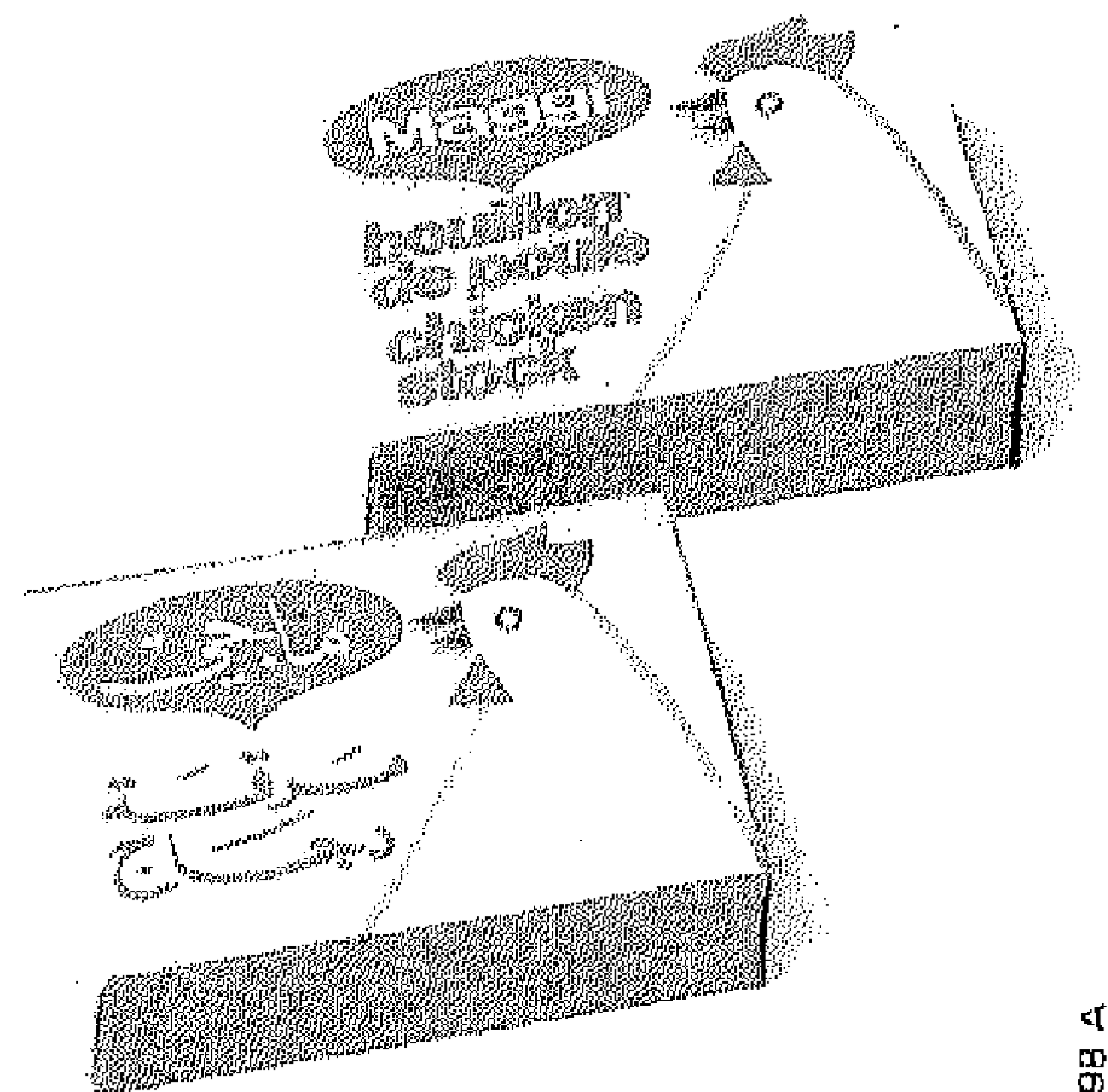




لتحضير أشهى المآكل وألذ الأطباق

مرقة الدجاج ماجي
تضفي نكهة لذيذة
الى الأرز وكافة الأطعمة





PI 3198 A

اضطرت الذئبة
الى ترك شريكها وحيداً
وسط السهول القطبية،
علها تستعيد دورها
في قيادة القطيع

ذئبة القطبِ الشماليّ



الشتاء كانت بزرة نبات صغيرة مطمورة في شعر عنقها الكثيف وجدت طريقها الى اذنها اليمنى. وكان للاهتزاز الناجم عن العدو السريع اثر اقحام الحبة الى وسط الاذن. وذات صباح في منتصف الشتاء وجدت نفسها تمشي على نحو دائري من جراء ذلك الالتهاب. وبات القطيع الذي تفرّق في كل اتجاه ينظر اليها بعين الريبة.

الا انها عادت تخترق صفوف قطيعها وتنظر الى افراده على نحو واثق. لكنها في الواقع ظلت تخشى فَقْدَ توازنها. وما لبثت تلك الخشية ان ظهرت عليها واعادت الهواجس الى جماعتها. وأخذت تحك انفها بأنف كل من الذئاب وعينيه وعنقه، وهي علامة بث روح القطيع في الأفراد لكي تحارب معاً اذا واجهها خَطَر.

واخيراً حكت خطم ذئب اسود. ذلك كان عشيرها وشريكها في قيادة القطيع. وهي لن تخونه مدى حياته ولا سيخونها هو الآخر. فهي تستمد منه الدفء والقوة شتاء، وهو يستمد من سرعتها الامان والطمأنينة في وجه العاديات.

الا ان قائمة الذئب الخلفية اليسرى كسرت قبل يوم واحد عند الركبة تحت وطأة احد الأيائل العابرة. وراحت الذئبة والذئب يشم احدهما الآخر طويلا، ثم تركته فجأة لتركض في اتجاه اطياف الأيائل. وهكذا بدأ القتال.

صيد الأيائل – تتمتع هذه الذئاب الشمالية بجسم ناحل وقوائم طويلة. ويزن الواحد منها ٣٥ كيلوغراماً، في حين يزن الأيل من اعدائها ٩٠ كيلوغراماً. وفي وسع الذئب ان يقفز من غير توقف طوال ٢٤ ساعة ليعترض قطيعاً من الحيوانات على بُعد ١٥٠ كيلومتراً.

وتحت لواء الذئبة اسرع القطيع نحو قافلة من الأيائل القوية يبلغ عددها نحو خمسين الفاً ويفصلها عنه ثلاثون كيلومتراً. ولم يكن عدد الذئاب ملائماً لمقاومة الأيائل واصطياد بعضها. ففي الخريف نفق خمسة منها بداء السل، وظل العدد بلا تعويض. واذا عجز الذئب الاسود عن العدو والهجوم بسرعة بسبب قائمته المكسورة، فلسوف تضطر الجماعة الى هجره هو ايضاً.

ووقفت بعض الذئاب في موضعها. واذ رأتها الأيائل تستعد لمهاجمتها، وقفت هي الاخرى ورفعت رؤوسها وراحت تنظر بحذر وفجأة انشقت الأيائل فئتين. وراحت الذئبة تتفرس في كل ناحية لتتعرف اياً منهما تهاجم.

وكانت خطتها تقوم على تحديد اضعف الحيوانات استعداداً للانقضاض عليها. وشمت الخوف من الفئة اليمنى فاندفعت نحوها. وللحال تبدّد افرادها.

واندفعت الذئاب معاً وحافظ كل منها على مكانه ضمن المجموعة. وشرعت الذئبة تتفحص الذئب الابيض الصدر الذي وقف في الصف الثالث. وهو ذئب قوي في الثامنة من عمره اخذ مكان شريكها الأسود

بمبادرته الخاصة. وبعد ذلك اخذت تتفحص الذئب الرابع المتشح بالبياض. وهو في الثالثة من عمره واقوى افراد الجماعة. ولا شك في ان يصبح يوماً القائد العتيد اذا لم يقض عليه تهوره باكراً. وفي المرتبتين الخامسة والسادسة وقفت انثيان. وفي السابعة وقف ذئب عمره سنة، وهو الحوليّ الوحيد الذي سُمح له بالانضمام الى الجماعة.

وانبرت الحيوانات المطاردة والمطارَدة تركض بأسرع ما يمكن. وبلغت سرعة الأيائل ٦٥ كيلومتراً في الساعة وسرعة خصومها ٥٠ كيلومتراً. الا ان قوة الذئاب المتفوقة اضعفت الايائل. وسرعان ما اصبحت الذئاب عند قوائم الأيائل وراحت تقفز الى خاصراتها.

تحت الشمس ــ بعد خمس دقائق من المطاردة المسعورة استعدت الذئبة لهجمتها القاتلة على أيل بطيء العدو. وكان الذئب الثالث باشر هجومه، وسمعت صرير اسنانه وتمزق اللحم فيما هو يجرّ خصمه من خاصرته. وفي تلك اللحظة طغى عليها الدوار من أذنها وأوقعها تحت قائمتي الأيل الخلفيتين.

وراحت تزعق مثل جرو جريح وهي تحت حافري الأيل الذي رفسها في اتجاه الذئبين الخامس والسادس، وهما الأنثيان. وسقطتا أرضاً. وابتعد الجرو عنهما خوفاً من السقوط، وانقضّ على الأيل وأوقعه. عندئذ استعادت بقية الذئاب قوتها وشاركت في الهجوم، باستثناء الذئبة.

وظلت يومين فاقدة توازنها. وصرفت جماعتها ذينك اليومين وهي تغتذي على جيفة حتى اشبعت نهمها. غير ان الذئبة وشريكها لم يستطيعا استئناف مهمتهما القيادية.

في تلك الأثناء توجه قطيعُ الأيائل شمالا، مخلفاً آثار حوافره على الوحول التي ظهرت بفعل ذوبان الجليد.

وبعد نومها فترات طويلة تحت الشمس المشرقة استعادت الذئبة بعض عافيتها. وعادت تطوف بين اقرانها مؤكدة سلطانها ومهددة كل ذئب بالنظر الى عينيه مباشرة او بهزة من ذيلها.

وكان لقوّتها، كما للجوع، فعل اعادة النظام الى الجماعة، ومع النظام العمل والنشاط.

اما شريكها فلم يستطع مجاراة الوضع. وكانت حركته الدائمة تمنع عظام ساقه من الالتئام. وبقيت تنظر اليه مرة بعد اخرى وهي تفكر في الجوع الذي يعانيه قطيعها.

واستطاع ان يقطع مسافة ١١٠ كيلومترات بالجماعة الى مؤخر جيش العدو. ووقف هناك وهو لا يقوى على التقدم خطوة واحدة. وانفصلت الذئبة عن جماعتها ونظرت الى شريكها للمرة الاخيرة. ووقفت قبالته وهما يحكان خطماً بخطم. وحارت الذئاب في أمرها، واخذ بعضها يرتجف. واخيراً عادت الذئبة الى مكانها في القطيع الذي راحت افراده تنظر اليها وهي تريد ان تعرف قرارها حول مصير شريكها.

واعانها الذئب الاسود في اتخاذ ذلك القرار حين رفع رأسه قليلا

وصوّب خطمه الى فوق، وراح يعوي بارتعاش فيما انضمت اليه الذئاب واخذت تعوي هي الاخرى كما لو كانت فرقة موسيقية، وبعد ذلك انفصل الذئب الأسود عنها واضطجع أرضاً، ذلك كان قراره: ان يرتاد الصيد بمفرده من الآن فصاعداً، وستكون طرائده الفئران، وسوف يغدو اعجف الجسم، الا انه لن يعدم البقاء.

وعلى اثر انفصال الذئب الأسود باتت عمليات الصيد تستغرق وقتاً أطول، ووجدت الذئبة نفسها تلجأ الى ابعد حدود الصبر، وقد ألح عليها التهاب اذنها من جراء تلك البزرة اللعينة، وأخذت تتعثر اكثر من السابق وعلى حين غرة.

صيف وشتاء – اخيراً جاء فصل الصيف بأيامه المشرقة طوال ٢٤ ساعة، ووضعت اناث الأيائل أربعين الف جرو في مراعي استيلادها، ومع ازدياد الطعام من توت بري وبيض وارانب وطيور وجرذان وجراء ايائل، وجدت الذئاب ان في امكانها العمل المنفرد خارج القطيع.

غير ان الصيف القطبي يدوم نحو اربعين يوماً، يصير بعدها الاستعداد للعودة الى اراضي الشتاء، وهكذا حان الوقت للذئبة لاستعادة قيادتها او للتخلي عنها.

وذات مساء اخترق وقع الحوافر سجف الظلام... ها هي الايائل تجمع نفسها للعودة جنوباً.

وبعد يومين اصطادت الذئاب واحداً من تلك الايائل بعيداً عن قيادة الذئبة التي اخذت تمشي بتثاقل، وما لبثت ان سقطت عن مرتفع وصدمت رأسها بصخر في بركة وسط السهول القطبية، وغرقت احدى عينيها بالدم، الا انها سمعت صرير اسنان الذئاب وهي تأكل، ونهضت واتجهت بمشقة نحو قطيعها، وما ان بلغت جيفة الأيل حتى كفت الذئاب عن الأكل ونظرت اليها بهدوء وقد اشارت بأنوفها نحوها، وجعلها عداء افراد القطيع تشعر انها منبوذة، لكنها لم تتوقف عن التقدم، وكلما تقدمت خطوة ازداد بأسها.

ووقفت كبرى الذئبتين الاخريين واعترضت طريقها نحو الجيفة، واحتك الخطمان وارتجف الجسدان وجمجمت الانثى الاخرى، وانضم الذئب الرابع بهديره ثم الصغير المحول، وبات الضجيج يأتي كما من فم واحد، ورفع كل ذيله ووقف يحدّق الى الذئبة متحدياً سلطانها... ترى أيكون هذا حكماً بالموت؟

الا انها استعادت توازنها وصفاء عينيها كأن شيئاً لم يكن، لقد تغلبت على بزرة النبات التي لن تلبث حتى تذوب في جسمها.

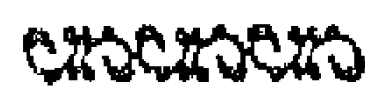
وتحلقت الجماعة حولها واحدا واحداً، اتحارب الانثى التي اعترضتها وتعرّض حياتها للموت، ام تحل المسألة على نحو آخر؟ انه أمر ينبغي ان تبته سريعاً، قبل فوات الأوان.

وكانت منها التفاتة الى الذئب الرابع الأكثر جموحاً، وتفرّست فيه ثم انقضت عليه فجأة وعضته في بلعومه ورمته أرضاً، ثم استدارت نحو

الانثى التي تحدتها وانقضت على قوائمها حتى هوت جريحة على رفيقتها ٠
بعد ذلك اخترقت صفوف الذئاب الذكور البالغة وأنزلتها من فوق حيث جيفة الأيل٠ وفي ثوان استعادت هيبتها وعادت تنظر الى افراد قطيعها نظرات قوية واثقة٠ ثم اتجهت نحو الجيفة وأمعنت انيابها فيها ٠

وارتفع القمر من المحيط القطبي وسدل فوق القائدة هالة من الجلال٠ وسُمع من الجنوب عواء ذئب منفرد؛ فأدارت الذئبة القائدة رأسها نحو مصدر الصوت؛ ومعها ادارت الذئاب الاخرى رؤوسها٠
ونهضت الذئبة القائدة على قوائمها واخترقت الظلام نحو ذئبها الأسود الوحيد٠

■ فرانكلين رصل



كلب الجزار

كل يوم في طريقي الى عملي أمر بكلب جالس امام حانوت جزار، فينظر اليّ كأنه جائع وحزين٠ وبعد مدة بدأت أدخل الحانوت كل صباح وأشتري كمية من اللحم المفروم مع بعض قطع من العظم وأتركها للكلب٠ وكان الجزار، كلما فعلت ذلك، هز رأسه دونما اكتراث٠

وفي صباح فتحت امرأة متقدمة في السن نافذة منزلها المجاور للحانوت، ونادتني قائلة: "لا شك، أيها الشاب، في انك تعطف على المخلوقات الضعيفة٠ ولكن ما الذي يدفعك الى اطعام كلب الجزار؟"

ر٠ك٠

لياقة دانمركية

يجد المترجمون الفوريون في البرلمان الاوروبي متعة في التحديات اللغوية التي تواجههم أكثر الأحيان٠ ومرة دُهش نائب انكليزي للسرعة التي نُقل بها خطابه الى الدانمركية٠ وعلى رغم قلة العبارات التي استخدمها المترجم، إلا أن المستمعين ضحكوا للنكتة التي ختم بها الخطيب حديثه٠

ولما سُئل المترجم عن الطريقة التي اعتمدها لنقل الخطاب، أقر بأنه لم يفهم معظم ما سمعه٠ إلا أنه قال للمستمعين الدانمركيين إن النائب الانكليزي روى نكتة، ومن اللائق أن يضحكوا٠ ففعلوا٠

صحيفة "أخبار لندن المصوره"

الدراما الاقتصادية

سمعتُ كثيراً عن الفوضى في مكتبة جامعتنا٠ غير اني لم أتحقق من ذلك إلا عندما طلبتُ أخيراً كتاب "الدراما الآسيوية" الذي نال عليه مؤلفه غونار ميردال جائزة نوبل للاقتصاد، فوجدّته في قسم الدراما٠

ر٠ل٠

طعم طبيعي لا يقاوم



كريم يُسعد الآلاف

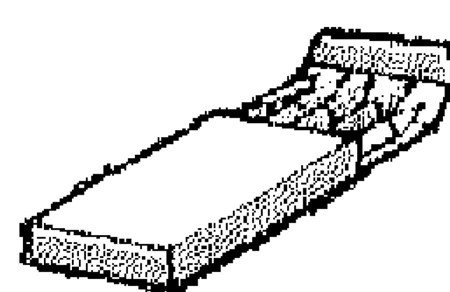
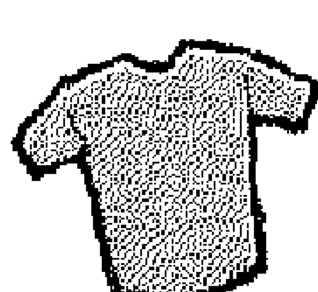
ترقبوا كريم وهداياه تقدمة

فرانس ليه

يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم إلى المملكة العربية السعودية
ومتى شاهدتموه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
لا تنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.

الملايين تنعم مع
فرانس ليه



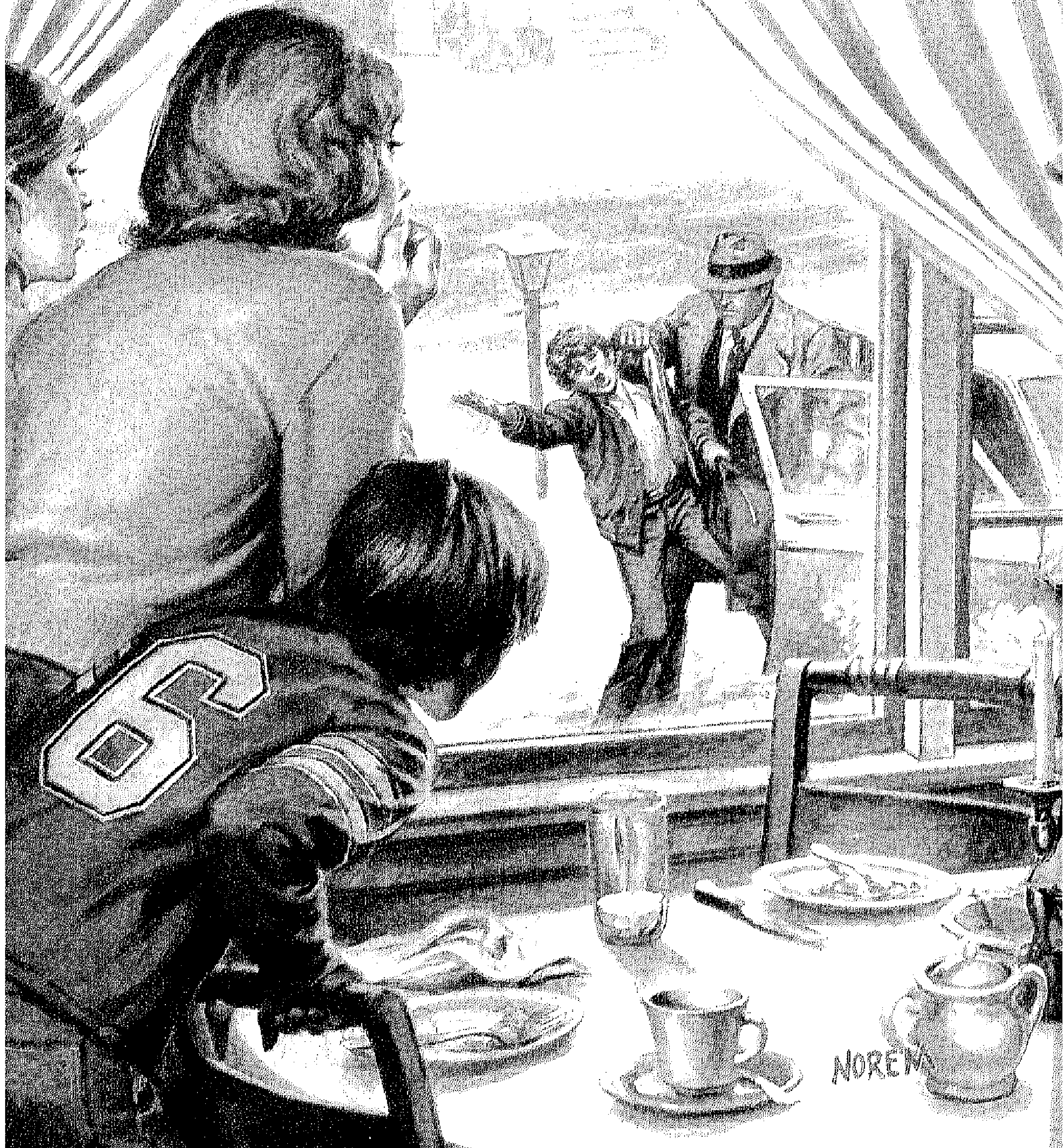




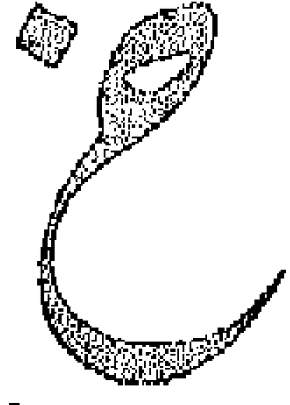



كتاب الشهر

ليس بالحب وحده

بقلم: سوزان هولت بورتر





خبأ الفتى وحشته وأساه خلف ظاهر عنيف معاند، وإذ لم يكن له أب ولا أصدقاء، شعر أن أمه لا تحبه، وهكذا صب جام غضبه على عالم معاد لم يكف عن معاقبته.

وفي هذه الرواية الصادقة لصراع عائلتها من أجل البقاء، تخبرنا الكاتبة قصة الفتى الذي لم يستطع النمو والأم التي، في إحدى مراحل حياتها، فقدت موهبة الادراك والتمييز، ومحاولتها الجاهدة هي وأفراد عائلتها لايجاد منفذ يضعهم خارج ذلك النفق المظلم.

ما أن انعطفنا عن الطريق المفروشة بالحصى حتى أخذ يزعق: "لا، أريد الذهاب. ليس في إمكانك أن تصنعيني من جديد. وأقسم أني سأهرب وأنتحر."

ولما بلغنا مدخل البناية ذات الآجرّ الاحمر، داس زوجي كابح سيارته بسرعة وأطلق الزمور. وكنا خابرنا الادارة قبل مغادرتنا المنزل، ولا بدّ من أن المسؤولين ينتظروننا. وأسرع شابان قويا البنية من الباب الامامي نحو سيارتنا. وما زال بادي، ابني الغاضب، غارقاً في نوبة بكاء. وأمسك يديّ على نحو يرثى له وقال: "كلا يا امي، أرجوك، لا تتركيني هنا. وأعاهدك أن أكون عند حسن ظنك...لا، يا امي، أرجوك."

وفتح الشابان باب السيارة الخلفي وسحبا بادي وجرّاه داخل البناية.

واقتربت امرأة طويلة رمادية الشعر في مطلع الستينات من عمرها. إنها السيدة تابور التي سبق أن قابلناها حين وقعنا الاوراق. وبادرتنا: "حسناً! تذكرا أنكما تأتيان به الى هذا المكان لأنه يحتاج الى أن يكون هنا. اذهبا الى البيت الآن."

غير أني بقيت أسمع صراخ ابني بعد اختفاء السيدة تابور داخل البناية. ترى كيف يسعني أن أترك ابني ـ أجل، ابني بالذات ـ في مؤسسة لرعاية المراهقين المضطربين نفسياً؟ لقد قدّر الاطباء أن فترة علاجه تستغرق ١٨ شهراً. وتردّدت كلمات طبيب في ذهني: "اضطراب من نوع عصبي... علاقات عائلية سلبية."

يا إلهي! أيكون ذلك الطبيب على حق؟ أتراه الحب لا يكفي وحده؟

وتلاشى الصراخ. وبقيتُ وزوجي وحيدين في الفناء المعشب المحيط بمؤسسة الفتيان. وقال دك: "لقد حان الوقت يا سوزان للعودة الى البيت."

وعدنا أدراجنا بصمت. وعلى الطريق رحت أُفكر في وضعي الحرج. لقد أخفقتُ في تربية أولادي، الامر الذي ولد لديّ الحيرة والغضب ومشاعر الذنب. وكان الدكتور جورج كروبر، الطبيب النفسي المسؤول في تلك المؤسسة، قال لي: "ابنك بادي في الثالثة عشرة جسدياً. لكنّ سنه الحقيقية، أي النفسية، لا تتجاوز السابعة. وهي تقف هناك، على حافة الخطر. وما لم تساعديه في تجاوز وضعه، فلسوف يلازم ذلك المكان طوال أيامه."

سبع سنوات؟ كان بادي في السابعة عندما مات أبوه...

وقطع حبل أفكاري كلام دك: "لقد وصلنا الى المنزل." وبعد وضعه السيارة في المرأب أضاف: "ألن تدخلي؟"

وقلت: "انتظر دقيقة." وأخرجت رأسي من النافذة ليلفحني هواء المرأب المشبع بالرطوبة والحرارة. وأغرقتني الذكريات وحملتني الى زمان مضى.

كان الفصل صيفاً آنذاك. إلا أن النسائم الآتية من الساحل الشرقي للولايات المتحدة لطفت حدّة الشمس قليلا. وذهب زوجي بول مع أصدقائه في مركب شراعي، فيما أخذتُ الاولاد الى حديقة للحيوان. ولما

عدت الى المنزل وجدت رجال الشرطة في انتظاري. وللحال أخبروني عن الحادث: لقد غرق بول، إلا أنهم لم يعثروا على جثته.

كنت في التاسعة والعشرين آنذاك. غير أني لم أختبر العيش بمفردي على الاطلاق. فقد نشأت في كنف عائلتي التي تركتها لأذهب الى الجامعة، ومنها الى منزلي الزوجي. وكان بول شق طريقه في عالم التجارة والاعمال. وطوال عشر سنين كنت زوجة سعيدة وربة منزل وأماً.

وكان بادي ولدنا الاوسط، وهو جاء بعد سنتين من ولادة اخته كاتي. وكان طفلا رائع الجمال، ذا عينين زرقاوين كبيرتين وغمازتين في خديه وشعر معقوص. وأحبه بول حباً لا يوصف. وحين ولد تومي بعد سنتين أحبه والده هو أيضاً. وأذكر حين كنا جالسين في الفناء المشمس ذات عصر فبادرني بول: "ثمة أمر غريب في بادي يجعلني أظن أنه سوف يعاني مشكلات خلال نموه. إنه مفرط الحساسية. وهناك شعور خاص يشدني إليه."

وطمأنني تعلق بول به، لأني أدركت أن لولدنا بادي أحياناً حاجات لا أعرف كيف احققها.

أما كاتي فكان إدراك مشاعرها سهلا، وأمدتني تربيتها ببهجة كبيرة. وكان الصغير تومي يحتاج الى عناية خاصة. وقبل أشهر من حديثنا في فناء المنزل، عرفنا أنه شديد الحساسية وبطيء الاستيعاب. لذلك كله سرني أن يرفع بول عن كاهلي بعض مسؤولية بادي.

إلا ان وفاة بول المفاجئة أحالت جميع المسؤوليات علي، من غير أن يكون لدي الوقت الكافي لتدبر كل أمر بمفرده. واستأنفت دروسي الجامعية بعد ترملي لاتمام درجة البكالوريوس والحصول على الماجستير. وكان المبلغ الذي خلفه تأمين بول على حياته كافياً لاعالتنا. لكني أدركت أنه لا بد لي من العمل عاجلا أم آجلا.

واستغرقت دراستي سنوات ثلاثاً لا أستطيع تذكرها اليوم إلا من خلال غشاوة. وحاولت التعويض لأولادي عن فقدهم والدهم، فكنت آخذهم الى الخارج وأخيم معهم أحياناً في الطبيعة الجميلة. غير أن كاتي تذكرني كيف كنت ألجأ غالباً الى إغلاق باب غرفتي لكي أدرس، فيما هم يتناولون العشاء وحدهم وسط نور ضئيل يأتيهم من جهاز التلفزيون.

ولا أذكر حسناً من تلك المرحلة سوى تومي الذي بدا أكثرهم حزناً على أبيه. وكان يمكث ساعات ومعه آلة هاتف صغيرة حمراء، ويتظاهر أنه يحادث ربان سفينة. وبعد ذلك يأتيني قائلا: "لقد تكلمت مع القبطان، وفي رأيه أن أبي لم يغرق وانه لن يلبث أن يعود إلينا."

لكن الاسابيع مرّت ولم يعد بول الى البيت وذات يوم ارتمى تومي بين ذراعي باكياً وهو يقول: "إنه لن يعود البتة... أليس كذلك؟ إنه تحت الماء، في القاع، مع السمك. وسيبقى هناك الى دهر الداهرين."

وبعد ذلك كنا نبكي ونشهق معاً.

وكانت كاتي تبكي أيضاً. لكن

طبيعتها القوية الواقعية أعانتها على التسليم بالامر والرضوخ. أما بادي فلم يظهر عليه الحزن أبداً. وذلك أزعجني، بل أغاظني، لأنه كان ولد أبيه المفضل. ولم يدر في خلدي أن أفتك الحزن دفينه.

وأهلتني درجة الماجستير في إدارة الاعمال للحصول على وظيفة لدى شركة في الوسط الغربي من الولايات المتحدة. وقبلت العرض ببعض خشية.

وبينما نحن نشق طريقنا في السيارة وسط حقول الفول والذرة، راح الاولاد يحدقون بأعين ملؤها الدهشة الى المناظر التي تختلف تماماً عما عهدوه على الساحل الشرقي.

وقال تومي: "لا أدري إن كنت سأحب هذا المكان... أين هو البحر؟"

وأجبته: "ليس من بحر هنا على الاطلاق. لكن هناك بحيرات كثيرة، وجياداً كذلك."

ولم يقل بادي شيئاً حتى بلغنا منزلنا الجديد في المدينة، وهو مؤلف من ثلاث غرف نوم ومتاخم لثلاثة منازل اخرى مشابهة. وهرع الاولاد الى الداخل طلباً للراحة والاستقرار. غير أني لمحت بادي ينظر بكآبة من نافذة غرفة النوم في الطبقة العليا. وسألته: "ما الامر يا بادي؟"

ونظر إلي بهدوء وقد أخفى حزناً كبيراً خلف وجهه وسنيه العشر، وأجاب: "ما الذي اخبره للناس في هذا المكان عن أبي؟"

ولهنيهة حرت جواباً. وأخيراً قلت: "أخبرهم أن أباك مات، وكفى."

ونظر من النافذة مرة اخرى وقال بصوت بارد: "إنني أكره هذا المكان."

المنبوذون

بعيد انتقالنا الى هناك وجد تومي وكاتي أصدقاء لهما بين أولاد الجيرة. لكني سمعت أن بادي أمضى معظم وقته في شجار، وحتى في قتال، مع الاولاد الاصغر منه سناً. وبعد مضي شهرين على انتقالنا، اقتربت مني جارة اسمها ماري هاموند وأنا أترجل من سيارتي بعد العمل. وبدا الغضب في صوتها وهي تقول: "ابنك الكبير الفظ ضرب ابنتي ليزا اليوم وأذاها."

- أصحيح ما تقولين؟ أتظنين أن ابني بادي يجهل قواعد اللياقة؟

"دعيني أصارحك يا سوزان بأن ابنك يقدم على امور كثيرة لا تحل له. وإذا مكثت وقتاً أطول في المنزل، فستتأكدين من ذلك."

وشعرت بالدم يصعد الى وجهي. وراودني إحساس بالذنب لتركي أولادي وحدهم بعد المدرسة. ودخلت المنزل لأجد غرفة الجلوس متسخة كالعادة، وقد بعثرت فيها أدوات الاولاد من علب طعام وكتب مدرسية وتفاحة نصف مأكولة والعاب تومي ومقص كاتي. وكان التلفزيون يزعق بحيث لم يلاحظ أحدهم دخولي.

ورفعت صوتي فوق الضجيج المقيت لأقول: "ما الذي يحدث هنا؟"

وقفز تومي على قدميه وسأل: "ماذا سنأكل للعشاء يا امي؟"

- لا أصدق ما أراه حولي... لماذا لا تنظفون الغرفة أولا؟

ونظر بادي إلي وقال: "إني أرفض ما تقولين. والاجدى أن تطلبي من كاتي وتومي إزالة الاوساخ التي خلفاها."

وأكملت عنه الكلام: "...بينما تخرج أنت لتبحث عمن تضربه؟"

وأردف بادي: "إني لم أضرب ليزا ضرباً مبرحاً، بل خفيفاً. فهي سخرت من الخصل في شعري ونعتتني بالمخنث."

- اسمع يا بادي: الصبيان لا يضربون البنات. أسرع الى غرفتك، ولكن بعد إنجاز قسطك من الترتيب.

لكنه قال: "الافضل أن ترتبي أنت امورك." وأسرع من أمامي نحو الباب الرئيسي، وصفعه بقوة وهو يركض الى الخارج.

وغاب عشرين دقيقة. ولما عاد وجدت أن غيظي ما زال يغلي في أحشائي. فقلت له ببرود وقد تجاهلت التوسل في وجهه: "إنك صاحب مشاكل. اذهب وتناول الطعام في غرفتك." ووقفنا برهة طويلة يحدق واحدنا الى الآخر. ثم صعد بادي الى غرفته وهو يرفس الارض بخطاه. وسمعته يتمتم شيئاً فسألته: "ماذا قلت؟"

- لقد قلت انك ام تافهة، واني أتمنى أن تموتي وتتبعي أبي.

وخُيل إلي إذ ذاك أني غدوت مع ابني بادي على قمة تلة، وان الطريق الوحيدة أمامنا هي الانزلاق نزولا.

لم ينقض اسبوعان حتى أخبرني اختصاصي بالجراحة التقويمية تولى فحص كاتي أن لديها انحرافاً جانبياً في العمود الفقري. وراودني البكاء حين عرفت ماذا يستتبع هذا الامر. فقد تعين أن تلبس ابنتي وثاقاً من العنق حتى الوركين ليبقى ظهرها مستقيماً ورأسها مرفوعاً، وأن تبقى على هذا النحو ٢٢ ساعة يومياً طوال سنتين.

وبعد عيد الميلاد بدا أن أشهر الشتاء التي قيدتنا وقتاً أطول داخل المنزل زادت من حدّة الشجار. كما زاد عدد المخابرات الهاتفية التي جاءتني من ام غاضبة أو من أب عاتب. وقالت مديرة المدرسة التي يرتادها بادي: "إن ابنك يبدو غاضباً على نحو غير معقول. أما فكرت في طلب المساعدة؟"

- صحيح أن ولدي حادّ الطبع. لكن هذا لا يعني أنه يجب أن يحال على طبيب نفسي أو مستشفى مجانين!

"اسمعي يا سيدة هولت... إني لم أقصد ما تقولين على الاطلاق."

غير اني تعاميت عن طلبها ولم أسمع من كلامها سوى الجانب الاتهامي. ترى لماذا عجزت عن كبح جماح بادي؟ وتولاني الغيظ وجن جنوني من ذلك الفتى، ومن ذاتي، ومن مديرة المدرسة... وحتى من زوجي بول لأنه مات. ومع المساء ازداد غيظي. وما أن بلغت المنزل حتى فتحت الباب بقوة. وإذا بي، مرة اخرى، في غرفة جلوس مقلوبة رأساً على عقب.

وصرخت بأعلى صوتي: "بادي... تعال الى هنا."

وقال: "ما الامر يا امي؟"

وشددت ذراعه ودفعته نحو خزانة البهو. وهناك قلت له: "لقد جاءتني

مخابرة اخرى من مدرستك، وأجدني الآن مضطرة الى فعل شيء لم أفعله طوال أشهر." وظللت متمسكة بذراعه فيما أنا أسحب حزاماً جلدياً قديماً من الخزانة. وقلت له: "ربما كان العنف طريقة لتعليمك اجتناب المشاكل."

وصرخت كاتي وتومي: "لا يا امي، لا تضربيه."

أما أنا فقلت: "لا تتحرك يا بادي، بل انحن قليلا."

وتابع الآخران: "لا يا امي، لا تضربيه."

وأخذ يقفز ويصرخ، بينما حاول أخوه واخته تهدئتي والتوسل إلي لئلا أضربه. غير أني لم أسمع منهما. وعلى رغم عدم قوة ضرباتي فان نوبة بكائه اللاهثة اخافتنا جميعاً.

ورفعت يدي عن بادي فأسرع الى غرفته. ودخلت أنا غرفتي ورحت أشهق وأبكي. وراودني شعور باليأس وقد أحسست أن عائلتي أفلتت من قبضتي. ولم أعرف ماذا أفعل. وسجلت اسمي في دورة من ثمانية أسابيع حول أساليب التربية البيتية. وفي تلك الاثناء صادفت دك بورتر. وكان دك مطلقاً، لكنه أحب ولديه اللذين يكبران أولادي. وبقي الولدان في رعاية امهما. وأخذ دك يتردد على منزلنا حتى بات واحداً منا. وساعد تومي في تصميم الطائرات الورقية. ووعد كاتي بأن يجد لها كلباً صغيراً حددت أوصافه. وغالباً ما كان يراقب بادي وهو يمارس لعبة البيسبول (كرة القاعدة).

وذات يوم من صيفنا الثاني في الوسط الغربي كان بادي يمسك المضرب وهو يلعب البيسبول. وراح دك يراقبه فيما تبعه زميله ليعلمه، بتهذيب، أنه خرق أصول اللعبة. ووقف بادي مسعوراً وهو يكاد يقحم رأس زميله في الارض.

وقال لي دك لاحقاً: "لم أر فتى على هذا المقدار من الغضب. والواقع أن أسباب غضبه تتجاوز البيسبول. إنه غيظ في الاعماق...ألم تفكري البتة في..."

- إياك أن تتابع كلامك.

"حسناً إذاً. لنقطع الحديث."

وكان يفصل عيد ميلاد بادي الثاني عشر بضعة أسابيع عن ذلك الوقت. وقلت له: "ما رأيك في الاحتفال بعيدك؟ يمكنك أن تدعو ستة أصدقاء الى البيتزا والمثلجات."

وفجأة برزت ابتسامة على وجهه مكان العبوس. وأشرقت عيناه الزرقاوان. وأمكنني، لهنيهة، أن أرى فيه الطفل السعيد ذا الشعر المعقوص الذي ابتهجت به يوماً.

وأجاب: "فكرة عظيمة."

وبلغت المنزل مع دك يوم عيد بادي بـُعـَيد الخامسة. وما أن دخلنا حتى شعرت أن ثمة خطأ في الامر. وكان بادي واقفاً وحده وسط غرفة الجلوس وهو، على رغم بنيته القوية وسنيه الاثنتي عشرة، على وشك البكاء. وتبين أن أحداً من الفتية الستة الذين دعاهم رفض أن يلبي دعوته. ووقفنا بعض الوقت لا ندري ما نفعل. ثم قطع بادي حبل الصمت بقوله: "يا لهم من صبية أغبياء... لماذا جئت بنا الى هذا المكان يا أمي؟"

ـ أرجوك يا بادي، لا تصب غضبك علي.

"ألا ترين خطأك؟ إني اريد العودة الى كونتيكت."

ـ اهدأ قليلا يا بادي!

"اذهبي الى الجحيم."

وهنا تنهدت كاتي وقالت: "لماذا لا نقر بالحقيقة؟ لقد غدونا أهل الجيرة المنبوذين الذين لا يدنو منهم أحد."

وهممت بالاعتراض. لكني أدركت صحة كلامها. إلا أن بادي كان شريكي في المسؤولية. وكانت مديرة المجمع السكني خابرتني تشكو أمره إلي. وأحسست أن بادي غدا فاعل شر بارادته، وانه عقد العزم على تنغيص حياتي. والواقع أني عجزت عن رؤية الولد الذي يستر وحشته خلف قناع خارجي من الغيظ.

كوابيس

حان عيد الاستقلال في الرابع من يوليو (تموز) بعدما انتظره فتية الجيرة طويلا. وكان المساء رائقاً يحلو فيه الجلوس على الشرفة ومشاهدة الالعاب النارية. وراح الاحداث يشعلون القضبان التي تستحيل نارها نجوماً.

وفجأة دوّى انفجار اهتز له الحي، وتبعته صيحات كثيرة. ويبدو أن أتراب بادي شجعوه على نسف انبوب لتصريف المياه بوضع مفرقعة ضخمة داخله. وسرعان ما وجدتني محاطة بالاهل الغاضبين وهم يقولون: "ألا تعرفين خطر الالعاب النارية؟ ألا تستطيعين ضبط إبنك؟ أتعجزين عن ذلك حتى لمرة واحدة؟"

وانتابني الخجل، وسحبت بادي الى المنزل وأشرت عليه بالذهاب الى سريره حالا.

غير أن المسألة لم تنته عند ذلك الحد. ففي اليوم التالي قرعت مديرة المجمع الباب وبادرتني: "الواقع أن مساء أمس حمل معه القشة التي قصمت ظهر البعير. لقد تعطل انبوب تصريف الماء بسبب ابنك."

ولم أستطع الاخذ والعطاء معها. فقد أصدرت إدارة المجمع قراراً بطردنا من هناك وأحسست خجلا يتجاوز طاقتي.

وهكذا انتقلنا الى مكان آخر. ومن حسن الحظ أني عثرت على منزل في جوار المدرسة نفسها. وساعدنا دك على الانتقال. وعرض علي، ونحن على الطريق، فكرة الزواج. وأغراني الامر، إذ عنى أننا سنعود عائلة من جديد. ألا يحتاج بادي الى أب أكثر من حاجته الى طبيب أو مرشد نفسي؟ لقد جاءه الاب أخيراً.

إلا أن دور الابوة، كما فهمه دك، كان ينطوي على مقدار كبير من الصرامة. وبعيد زواجنا عبر عن تذمره من بادي قائلا: "إن بادي يريد شخصاً يمنحه الهدايا على الدوام ولا يسأله شيئاً. غير أني لست حامل الهدايا السحري يا سوزان."

في تلك الاثناء كنت حصلت على وظيفة جديدة كمديرة في شركة. وكان الراتب حسناً، لكن العمل مرهق. وفي الوقت نفسه أعلن مدير شركة دك إفلاسه. وهكذا وجد زوجي نفسه يبحث عن عمل جديد. وعلى رغم هذا كله استمرت المشاحنات مع

بادي. وغدت امسياتنا في البيت أشبه بالكوابيس.

فما أن نباشر العشاء حتى يقول له دك: "ضع المنديل على حضنك يا بادي. أتظن أنك حيوان في حظيرة؟ لماذا تضع رأسك في الصحن؟ ألا تعرف شيئاً من الآداب العامة واللياقة؟"

وكان بادي يستحق تلك الملاحظات. غير أن انتقاد دك له ولد لديه الاشمئزاز والتحدي. وغالباً ما كان يجيبه: "إنك لست أبي. أنت الرجل الذي تزوج امي. ومن حقي التام ألا أسمع كلامك."

وطالما قلت له: "لا يجوز يا بادي أن تخاطب دك على هذا النحو."

لكنه كان يجيب: "قولي له ألا ينتقدني، وكفى."

وتنبري كاتي لتقول: "لم أعد أتحمل. إن كل ما نفعله في هذا البيت هو الجدل والعراك."

واستمر الوضع على ذلك المنوال. وكان للشجار الدائم أثر سلبي في جميع أفراد العائلة وازداد حنقي على ولدي.

وبدأنا نتلقى المخابرات من المدرسة التكميلية التي شكت إدارتها تدني علامات بادي. وباشر التدخين متجاهلا احتجاجاتنا. وتساءلنا عما إذا كان يتعاطى الماريوانا أيضاً. وأخيراً اقتنعت بأننا نحتاج الى مساعدة من الخارج.

واتصلنا بالدكتور ستيفن برو، وهو شخص أجلح طويل القامة يبدو أقرب الى سائق الشاحنة منه الى الاختصاصي بعلم النفس المتعلق بالاحداث. لكنه عرف جيداً كيف يخاطب مرضاه. وأخبرنا أن بادي مفعم بالغيظ: "لقد عاقبة الله، أولا، بأخذ والده. وهذا يعوق علاقته الطبيعية مع دك. ثم انه ولد كرهاً تجاهك، أنت أمه بالذات. لقد نقلته عنوة الى الوسط الجنوبي من البلاد، حيث لا أحد يعرف شيئاً عن أبيه وحيث لا أصدقاء له، علماً أنك تقضين معظم الوقت في العمل. غير أنك في الوقت نفسه امه، وهو يكن لك حباً جماً، لكنه حب يخالطه خوف عظيم. فهو يشعر أنك لا تحبينه حقاً. وهو فقد أحد والديه. فماذا يحصل اذا فقد الآخر؟ هل فكرت في ما يمكن أن يحدث له داخلياً اذا قضيت أنت أيضاً؟"

وبعدما سمعت كلماته شعرت بالشفقة على ابني.

وحملت تلك السنة بعض تحسن في علامات بادي المدرسية. واشترك في فريق كرة القدم المدرسي. وحصل على وظيفة لتوزيع الصحف في اوقات فراغه. كما كوّن صداقة خاصة مع جارتنا السيدة وينفريد شيهان، وهي أرملة بدينة في الستين من عمرها. وربما ذكرت بادي بجدته، وغالباً ما كان يزورها بعد المدرسة، ويتحادثان فيما هي تحضر الحلوى. وسرني ذلك الامر، ووددت لو تمنح بادي ما لا يمكنني أن أمنحه إياه.

لكنه، كلما حقق خطوة الى الامام، كان يتقهقر اثنتين. وازداد الخصام في البيت. وضبط مرة وهو يحاول سرقة بعض السلع من أحد المحلات.

وجاء الصيف ومعه المدرسة

لصيفية. وكان عليه ارتيادها إذا هو شاء الترفع في الصف. وكان ابتاع دراجة بما ادّخره من بيع الصحف، وقرّر أن يذهب عليها الى المدرسة التي تبعد عن منزلنا عشرة كيلومترات. وهنأناه على مبادرته.

وبدت معنوياته مرتفعة خلال اليوم الاول من المدرسة الصيفية. وقال: "سأحصل على أعلى علامة."

وتجمع التلاميذ لافتتاح الدورة الصيفية. وأعلن المدير: "إن قوانيننا سهلة. إلا أن ثمة أمراً لا نسمح به البتة، وهو التدخين في المدرسة. فهذا يعني الطرد."

وبعد ثلاثة أيام مشى بادي مختالا نحو المدير وفي فمه سيجارة.

ولما شكي أمره صرخت في وجهه: "لماذا؟ لماذا تضع نفسك في هذه المآزق؟ لو كان والدك حيا، لما أحبك كما أنت اليوم."

أما هو فصرخ قائلا: "فليذهب أبي الى الجحيم. ألا يعرف أنه كان ينبغي ألا يموت؟" وأسرع خارج الغرفة.

وبعيد ذلك جاء حفيد جارتنا السيدة شيهان لزيارتها. وهكذا وجدت الجارة نفسها منشغلة بولد آخر. ولم يعرف أحد مقدار الاضطراب الذي أصاب بادي لشعوره أنه ترك وحده.

وكان ذهني متجهاً نحو امور اخرى ذلك الصباح الحارّ من شهر يوليو (تموز) وأنا ذاهبة الى السيارة. وفجأة لاحت لي ظلال من الالوان. ونظرت جيداً لارى بقعاً من الطلاء الاحمر متناثرة على سيارة السيدة شيهان وقد أتى الحريق على صندوقها البريدي وتناثرت أوراق المراحيض من الاشجار أمام منزلها. وقلت لنفسي: "لا، ليس بادي من فعل هذا." غير أني كنت واثقة من أنه اقترف تلك الاعمال."

وفي ذلك اليوم نفسه اقترح الدكتور برو وضع بادي في بيت خاص بالاحداث المضطربين.

شعور بالذنب

وقفت مع دك في الممر الاصفر الكئيب خارج مكتب السيدة تابور. وكانت تلك زيارتنا الاولى بعد أخذ بادي الى هناك. وخالجني شعور بالذنب والكآبة.

وكانت تلك المؤسسة تضم نحو ستين فتى بين الثانية عشرة والثامنة عشرة. وهي لم تكن بالمصح العقلي، إذ ان أحداً من اولئك الاحداث لم تنقطع صلته بالواقع. غير أنه كان مكاناً يهيمن عليه الالم النفسي العميق. وقد راودت اولئك الفتيان مشاعر الغضب والرفض من الآخرين وعدم تقدير الذات. وفي معظم الحالات كان الكيان العائلي منهاراً.

وفتح باب المكتب ودعتنا السيدة تابور الى الداخل. وهي كانت طويلة ومليئة العظم ورمادية الشعر، وعملت مع الاحداث المضطربين مدة تتجاوز العشرين عاماً. وقد وصفها بادي لاحقاً بأنها "عجوز صارمة". والحق أن صرامتها لم تكن خالية من الحب.

في تلك الزيارة الاولى لم يسمح لنا أن نرى بادي. وتناولت بيدين مرتجفتين الرسالة التي كتبها إلي: "امي العزيزة. إني أمقت هذا

المكان. وأنت وعدتني باخراجي منه إذا لم احبه. لذلك أتوسل إليك أن تخرجيني من هنا. مع محبتي، بادي... لكني أحجب هذه المحبة إذا أنت أبقيتني هنا."

قرأت ذلك ورفعت نظري الى السيدة تابور التي قالت: "على رغم ما قرأت، فاننا قانعون بما أنجزه بادي حتى الآن. إن ابنك في المكان الملائم.. تذكري هذا الكلام."

وهكذا استهللنا طريقة حياة جديدة منطلقة من بيت الاحداث. وكنا أيام الثلثاء نقابل السيدة تابور، وأيام الاربعاء يجتمع الاهل في رعاية الدكتور كروبر حول طاولة مستديرة في غرفة الطعام. وكان الاستاذ الجامعي آرت ليمان وزوجته بيتي يجلسان على ناحية من الطاولة، وقد ارتدى آرت ثياباً خفيفة ووضع نظارتين على وجهه المتقد ذكاء. وبدت زوجته كالباحثين أيضاً، لكنها كانت خجولة جداً.

وعلى النقيض منهما كان هاري ستاكر وزوجته كورا. فقد بدا هاري مثل أبطال الرسوم الساخرة، فيما بدت زوجته، وقد نتأ فمها الخالي من الاسنان خارج وجهها الممتلىء، مدعاة الى الضحك. وهي لم تكترث لذلك، بل قالت بدعابة: "اني أدخر المال لشراء أسنان."

واكتملت المجموعة بآخرين هما هوارد بوينتون وزوجته ميلي. وبدا هوارد بكرشه المنتفخ وبذلته المؤلفة من قطع ثلاث مثل مديري الشركات، بينما بدت ميلي ربة منزل تقليدية.

وقال الدكتور كروبر: "حسناً. كيف كانت زيارتكما خلال نهاية الاسبوع يا كورا؟".

وابتسمت كورا وأجابت: "انها تمت على خير وجه. أليس هكذا يا هاري؟ لقد عانق هاري ولدنا بنجي وهو يودعه."

وانبرى هاري قائلا: "لقد وددتُ دائماً ان يعانقني أبي، لكنه لم يفعل. ولم اعرف ابداً اني حرمت ابني هذا العطف ايضاً."

تكلم الكلّ ذلك المساء، ما عدا ثلاثة هم دك وأنا وهوارد بوينتون الذي تسمر في مقعده وشبك ذراعيه حول صدره وقد بدا على وجهه شيء من الامتعاض. وفي نهاية الجلسة نظرت اليّ كورا. وشاع من بسمتها العطف على رغم خلوّ فمها من الاسنان. وسألتني: "ما عمر ابنكِ يا سوزان؟"

وشعرت أعين الجالسين جميعاً متجهة نحوي. وتملكني شعور بالاختناق. وبينما انا أتنفس اجاب دك عني: "ثلاث عشرة سنة."

وأضافت كورا: "هذا مكان حسن. وأظنّ أنكما ستقدران خدمته، كما نقدرها أنا وهاري."

وفجأة لم أعد أتحمل المزيد. ترى ما الذي أفعله هنا؟ لقد ربيتُ على أن أفعل كل أمر كأفضل ما ينبغي. وبذلتُ جهدي كله في تربية أولادي. غير أن الكل يقول اني كنت اماً مخفقة. وانتابني شعور فادح بالذنب. ورفعت شعري عن وجهي وأسرعت خارج الغرفة. ووجدني دك أنتهد على حائط الممر الاصفر.

وأظن ان الانقباض أخذ طريقه

اليّ منذ ذلك الحين، أو ربما طفا الى السطح آنذاك. وبقيتُ اسابيع لا أستطيع النهوض من السرير صباحاً كالمعتاد. وفي المكتب كنت أضع قوائم المبيعات أمامي وأنا لا أقوى على تركيز أفكاري. وكنت أذهب الى السرير قبل العشاء وأنام نوماً عميقاً من غير أحلام، لأستيقظ في الصباح كما لو كنت تحت تأثير مخدر قوي.

وبعد حين استعدت نشاطي. وأعانني الدكتور كروبر. وفي أحد لقاءاتنا قال: "صدقوني، لقد رأيت العديد من الاهل يضحون بكلّ ما لديهم من غير ان يمكنهم رفع الاضطراب عن ولدهم. ومن الخطأ أن يشعر أحد الوالدين بالذنب اذا وقع ولده ضحية اضطراب نفسي. ومتى تخلص الآباء والامهات والمجتمع من هذا الشعور، استطاع الاولاد المحرومون نفسياً الحصول على مقدار أكبر من العناية."

"صدقوني"، قال الدكتور كروبر.

"اكره كوني أماً"

عاش الصبيان في تلك المؤسسة حياة يحدها النظام من كل جانب. ولم تنقض لحظة واحدة من غير عمل او مراقبة. وكان بادي يجتمع بالسيدة تابور، التي تولت علاجه النفسي، خمس مرات في الاسبوع. أما بقية وقته فقسمت على الدراسة والرياضة والتسلية وتأدية الواجبات اليومية. وأخبرتنا السيدة تابور ان بادي لن يستطيع اختبار مشاعره وأفكاره الحقيقية الا بعد ضبط أمور حياته ضبطاً حسناً.

ومن أجل اعطاء الفتية فكرة ملموسة عن تقدمهم لجأت المؤسسة الى نظام الدرجات. وكان القادم الجديد يبدأ بالدرجة الاولى. وبعد وقت معين كان عليه ان يتقدم بطلب خطي يشرح فيه الاسباب التي تدفعه الى طلب الترقي الى الدرجة الثانية، وهكذا حتى السادسة. وكانت كل درجة تحمل مكافآت. فالفتى في الدرجة الثانية، على سبيل المثال، يستطيع مغادرة المؤسسة في بعض المناسبات. ولكن لا يحق له الذهاب آخر كل اسبوع ما لم يبلغ الدرجة الثالثة. ويحقّ للادارة انزال المرتبة بناء على السلوك.

وقالت لنا السيدة تابور: "نظام الدرجات هذا يتيح لنا أيضاً ان نراقب تطور الفتى. فبقاؤه طويلا في المرتبة نفسها يعني ان على الادارة اعادة النظر في طرائقها أيضاً." وأضافت ان زيارة المنزل ليست مقتصرة على الدرجة. غير انها نبهتنا الى أن بادي لن يسمح له بالخروج قبل ستين يوماً على الاقل، ليزورنا للمرة الاولى.

وصرخت: "هذا وقت طويل! ولكن لا بدّ من أنه يستطيع..."

- اسمعي أيتها السيدة بورتر: لقد كانت الحياة جحيماً بالنسبة الى بادي، كذلك بالنسبة الى عائلته. والحق ان كلا منكم يحتاج الى فسحة للتنفس.

وفي الاسابيع الاولى كتب بادي رسائل كثيرة، لم أتوقع محتواها. قال بعيد رسالته الاولى الغاضبة: "امي الحبيبة، اعذريني على رسالتي

الاخيرة. لقد تكلمت مع مدير المهاجع وقررت البقاء هنا."

وجاء في رسالة اخرى: "امي الحبيبة، انهم يضربونني لامور لم أفعلها. لقد حمل أحدهم السجائر الى غرفتي، لكنهم ظنوا أنني أنا سرقتها. أرجوك ان تعيديني الى المنزل. مع حبي، بادي المجنون."

وبقينا وقتاً، أنا وزوجي، نزور السيدة تابور كل على حدة. ومرة كنا نتكلم عن بادي، فغيرت الموضوع وسألتني: "أتحبين كونك أماً؟"

وقلت لنفسي: "لكم هو سهل ان تنجب المرأة طفلا... لكن تربيته صعبة جداً."

وأجبتها بحدة: "اني أكره كوني أماً. أجل، اني احب اولادي. لكن المسؤوليات التي رافقتني طوال سنين، ومنها التخرج في الجامعة والحصول على وظيفة وارضاء ربّ العمل النيق، لم تترك لي وقتاً كافياً لرعاية الاولاد. واذا شئت معرفة الحقيقة، فاني أكره ان أكون أماً."

وانبرت: "وماذا تودين ان تكوني عوضاً عن ذلك؟".

وابتسمتُ قائلة: "صديقة... اني أفضل ان أكون صديقة لاولادي، فأمرح وألهو معهم."

وقبل أن أتابع كلامي فتح الباب. ووقف بادي هناك. ولم أكن رأيته طوال أسابيع. ووددت لو اسرع نحوه وأعانقه، الا أن شيئاً ما ردعني وأبقاني مكاني. وقلت له: "انك تبدو على ما يرام."

وابتسم وجلس، ثم قال: "السيدة تابور ترى انه يمكنني الذهاب الى البيت ثلاث ساعات يوم الاحد المقبل."

وصححت السيدة تابور كلامه بقولها: "اذا..."

اما هو فأضاف: "اذا استطعتُ بلوغ الدرجة الثانية قبل نهاية الاسبوع."

- قصّ على امك الاخبار الاخرى. ماذا عن اسمك؟

"أجل، ان لي اسماً جديداً الآن. والواقع انه اسم قديم... انه بول. ومن الآن فصاعداً أرجو ان أدعى بول."

...بول! انه اسم ابيه كذلك. وقد كنيناه بادي لعدم الالتباس.

وقالت السيدة تابور وهي تبتسم في وجهه: "المسألة رمزية. وهي تشير الى ولادة شخص جديد يثق بنفسه ويعرف كيف يسيطر على غضبه واحساسيه. أليس هكذا يا بول؟"

- أجل، اذا كنت تقولين هكذا.

وأخذنا بول الى البيت يوم الاحد. ولما وصلنا أسرع الى الداخل وذهب لتوه الى غرفته. ووقف في الباب دقيقة ثم توجه ببطء نحو سريره ولمسه، كما لمس صورة أبيه وجائزة السباحة التي نالها سابقاً في المخيم الصيفي. وكانت طريقة لمسه تلك الاشياء مؤثرة وأدرت ظهري سريعاً وذهبت الى المطبخ.

وبدا بول مرحاً خلال الغداء. وبعد ذلك جمع اشياءه القليلة واتجهنا نحو الباب. وقال دك: "لننتظر برهة."

ولمس جيوب بول كأنه يبحث عن شيء. فنهره بول قائلا: "ارفع يديك عني. اتظن اني سجين لديك؟"

وأجاب دك: "المعذرة يا بول. اني أبحث عن سجائر."

– انك لم تجد شيئاً اذاً! أرأيت يا امي؟ هذه هي الامور التي يجن جنوني حيالها. ارجوك، يا امي، أرجوك ان تسمحي لي بالبقاء في البيت.

وتملكني شعور بالذنب... هذا ابني، فما الذي نفعله به؟ غير أني هززت رأسي وصعدت الى السيارة.

وفي لقاء العائلات التالي، أراد جميع المشاركين ان نخبرهم عن زيارة بول الاولى الى البيت. وسأل الدكتور كروبر: "هل تمت كل الامور حسناً؟"

وأجاب دك: "ليس بالضبط. لقد فتشت جيوب بول قبل مغادرتنا المنزل بحثاً عن سجائر، مقتدياً بنصيحتك. لكنه عبر عن انزعاجه الشديد من ذلك، كما أزعجني الامر أنا ايضاً."

ونظرت الى دك مندهشة. فقال لي: "لقد تعبت من هذا الدور يا سوزان. ويبدو لي انك تخليت عن دورك في التربية بعد زواجنا."

– كيف تقول هذا؟

"هذا صحيح. وأشعر اني انا المسؤول عن وضع قواعد السلوك العائلي والسهر على حسن تطبيقها. أما أنت فلا تحاولين دعمي. ومعظم الوقت تقفين مع الاولاد ضدي."

– ليس صحيحاً أني تخليت عن واجباتي التربوية، وان صحّ اني أحلت بعضها عليك. فخبرتك كأب تتيح لك ان توفر لاولادي ما حرموه طوال سنوات.

"اذاً، اتركيني العب دور الاب، ولا تحاربيني كل مرة أضع قوانين. ان الاولاد مبلبلون الآن."

وكان ذلك الحوار الاول من نوعه. وتبعته حوارات كثيرة بيني وبين دك في المؤسسة وفي المنزل. وكنا نتناقش حول التربية ونحاول التوصل الى قواعد عملية.

وكانت للآباء والامهات الآخرين مشاكلهم أيضاً. وبدا ان هوارد بوينتون وحده لا يتكلم، بل يغرق في كرسيه بلا حراك. ومرة قال عن ابنه جين انه كسر بعض الاواني.

وذات مساء قلت لزوجي: "صحيح أن عائلتنا تعاني مشاكل، لكن ثمة احتمالا للتغيير. أما هوارد بوينتون فقال ان حال ابنه يائسة. وهذا أمر مؤسف حقاً."

ومدّ دك يده وأمسك يدي وقال: "انها المرة الاولى ألمس التفاؤل في كلامك عنا. أجل، اننا سنتغلب على الشدائد، ومعنا بول."

المواجهة

لمناسبة عيد الشكر في نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام سمح لابني بتمضية عطلة الاسبوع الاولى في البيت. وكانت خمسة أشهر مرت منذ ما نام في سريره للمرة الاخيرة.

وحذرتنا السيدة تابور قبل مغادرة المؤسسة: "اذا أبدى بول أقل سلوك غير قويم، فلتقطع زيارته فوراً."

قالت هذا على مسمع بول وهي تنظر اليه بعينين قاسيتين. ثم ابتسمت وعانقته وهي تقول: "اذهب الآن الى البيت واستمتع بزيارتك."

كان ذلك اليوم ملبداً بالغيوم، الا أن بول بدا مرحاً ونحن في طريقنا الى البيت، وما أن وطىء العتبة حتى مد يده الى جيب سرواله وأخرج حقيبة نقود جلدية صغيرة أعطاها لاخته كاتي، وقال بحياء: "هذه هديتي اليك، لقد صنعتها في المشغل."

وأجابت كاتي التي ما زالت في وثاقها بسبب عمودها الفقري: "أشكرك كثيراً يا بول." وحاولت بمشقة ان تعانقه.

وفي ساعة باكرة من صباح الخميس، ولما يكن أحد استيقظ بعد، وجدت بول في غرفة الجلوس وقد لف حراماً فوق ثيابه الداخلية. وقلت له بتعجب: "ما الذي تفعله في هذا الوقت؟ لقد ظننتك نائماً."

ولاحظت جرحاً نفسياً عميقاً في عينيه وهو يقول: "لكم هو جميل ان يكون المرء في بيته." وأنزلني الى الاريكة وضمني بذراعيه وأضاف: "اني احبك يا امي."

وعانقته أنا أيضاً وقلت: "وأنا كذلك يا بول، أنا احبك ايضاً."

وبقيت حرارة تلك البادرة معي طوال النهار، لذلك قلت ونحن نهم بالجلوس حول المائدة لتناول طعام العيد في الساعة الرابعة: "أشكرك يا الهي لانك جمعت شمل هذه العائلة السعيدة."

وكان دك أعدّ المحار البحري، فيما طهوت أنا البطاطا الحلوة وجهزت كاتي المائدة بأفضل الاواني. وتمنيت في تلك اللحظة ان يدنو وقت عودة بول النهائية الينا.

وحين جئنا بالحلوى والمثلجات قال: "يا لها من مائدة رائعة! لقد امتلأ بطني."

وقال له تومي بحبور: "لقد غدوت مثل ديك رومي محشو."

واذ ذاك رفعت شعري عن جبيني وقلت "بعد قليل يحين وقت جلي الاواني، فلماذا لا تأخذ نصيبك من العمل يا بول هذا المساء؟"

ونظر اليّ وقد قطب جبينه وقال: "أنا؟ لماذا؟ أنسيت أني ضيف زائر لايام ثلاثة فقط؟"

وانقبضت أعصاب معدتي وقلت: "أتظن أنه امر خارق؟ ان اخاك واختك سيساعدانك وكنت أحسب أن تحمل المسؤولية يروقك."

- هذا ليس عدلاً، فاني لا أعيش معكم، وأنت طردتني من البيت لانك لست معجبة بتصرفاتي.

"هذا غير صحيح، فأنا معجبة بك."

قلت هذا الكلام بصوت خافت، وأنا أدري أني احب ابني، لكني لست معجبة به. وعاودني ذاك الشعور القديم بالذنب.

وللحال انبرى دك قائلا: "أمامك خياران يا بول: إما أن تنظف الاواني وإما ألا تنظفها. إلا أن أي جدل فوق هذا يعني إعادتك الى المؤسسة فوراً. أفهمت؟"

- لا يحق لك أن تعطيني أوامر. انك لست أبي.

"حسناً يا بول، لقد أضعت الفرصة. هيا بنا الى المؤسسة."

وخرّ بول على ركبتيه وهو يبكي، وأمسك هدب ثوبي وقال: "كلا يا امي، لا تدعيه يفعل هذا. وأعدك

بأني سأغسل الصحون. إني أعتذر عما قلته، ولا أدري لماذا حصل ما حصل... أرجوك يا امي، أعطيني فرصة أخرى."

وتردّدت حيال استعطافه. إلا أن دك قال بحزم: "إنك عائد من حيث أتيت يا بول."

وجفت الدموع في عيني بول للحال. وأسرع نحو غرفته وعاد منها بحقيبته وفي يده سيجارة مشعلة.

وقال له دك: "أحضر سترتك."

فأجابه: "قلت لك ألا تأمرني يا ابن الكلب."

وراح تومي وكاتي ينظران الى دك، وقد ملأ الخوف أعينهما، وهو يجرّ بول خارجاً الى السيارة. وأدار المحرك وانطلق وسط الجوّ العاصف.

وقال لي تومي: "ان دك شخص حقير. ألم يعرف أن بول كان على وشك أن يجلي الصحون؟"

ووافقت كاتي قائلة: "أجل، كان ينبغي إعطاؤه فرصة اخرى."

وأقحمت أظافري في راحة يدي... أحق ما تقوله كاتي وتومي؟ أكان يجب أن أمنع إعادة بول الى المؤسسة؟ وغمزني شعور باليأس.

وكانت الايام التي تلت عاصفة بالصراخ. وجعلت من دك كبش المحرقة بعد اقتناعي بخطأ موقفه وندمي على السماح له بتنفيذ وعيده.

وزعقت في وجهه: "الواقع أن الامر لا يهمك البتة. فأنت لست أباه."

وصاح دك فيّ هو الآخر: "إنك لا تحبين ابنك عن طريق الرضوخ له... هذا ليس حبّاً."

– وماذا تعرف عن الحب؟

"بل ماذا تعرفين أنت؟"

وراح واحدنا ينظر الى الآخر فوق هوة من الغضب.

وحان يوم الثلثاء، وذهبت الى مكتب السيدة تابور للقاء بول كالمعتاد. ودُهشت إذ وجدته نادماً. وقال: "اني مسؤول عما حصل. ويؤسفني أن أكون أفسدت هذه المناسبة."

وسألته: "أأنت آسف حقاً؟"

وقالت السيدة تابور: "لقد شاء بول اختبارك. وهو مسرور جداً لأنك لم تذعني له."

وابتسم بول وقال: "المرّة المقبلة سأغسل الاواني من غير أن تطلبي ذلك."

وهكذا تعلمت درساً، كما تعلم بول درساً على ما أعتقد. واستمر العلاج لنا جميعاً.

"العائلة المهجورة"

كان المسؤولون عن الفتيان يجتمعون مرة كل ثلاثة أشهر لاعداد تقرير عن تطورات كل منهم. وكان اللقاء يتمّ في مكتب الدكتور كروبر، حيث تقرأ السيدة تابور، وهي مسؤولة عن العلاج، والسيدة ماجور، مسؤولة عن الدراسة، والسيد كونولي، مدير المهاجع، والدكتور كروبر الملاحظات التي أعدّوها.

وقالت السيدة ماجور: "إن استعداد بول للعمل ضعيف وغير ثابت ومشكلته الكبرى محاولته التغيب عن الصفوف. لكن في استطاعته، متى شاء، إنجاز واجباته وإظهار شخصية مرحة محببة. إلا أن

في إمكانه أيضاً أن يكون مشاغباً ومعادياً."

وهزّ جو كونولي رأسه وهو يراجع التقرير الذي أعدّه عن بول، وقال: "لقد أخبرني بول عن أحلامه. فهو يرى أباه وسط غابة. ثم لا يلبث أبوه أن يتركه هناك وحيداً هلعاً... إنني آسف لوفاة والده. لكن ذلك لا يدعوني الى التساهل حياله. وإذا احتجزته ربع ساعة في الغرفة، خرج بعد ذلك وهو يلعنني ويتهددني، على رغم قوتي وضخامة بنيتي."

وأضافت السيدة تابور: "لديّ ملاحظات مشابهة من حيث العلاج النفسي. فهذا الفتى يعجز عن رؤية الامور من حيث هي أسباب ونتائج. إنه يعيش كل لحظة بمفردها، ولا ينفك ينتظر المكافآت. إنه، ببساطة، يرفض أن ينمو."

وأخيراً قال الدكتور كروبر: "في إمكاننا مساعدة بول للتغلب على كآبته، وحتى على غضبه. أما شفاؤه في المدى الطويل فوقف على تبديل سلوكه الهدام. وعلينا أن نبتكر طريقة تحثه على الشروع في هذا التبديل."

وكنت ذات مساء أعمل على أوراقي فيما دك يعمل على أوراقه هو أيضاً. ولم يُسمع في الغرفة غير صوت الاوراق والاقلام. وكان ينبغي أن تمرّ تلك الامسية بسلام كالعادة. غير أن الخوف تملكني وأنا أنظر الى الارقام أمامي.

لقد أعانتنا مبالغ التأمين طوال الاشهر الاربعة الماضية على دفع مصاريف بول التي تبلغ ٥٥ دولاراً يومياً على مدار السنة. غير أن حصتنا في التأمين باتت على وشك النفاد.

ولم يكن في استطاعة دك أن يفعل شيئاً. فطلاقه أتى على مدخراته، والمكتب الاستشاري الذي أنشأه كان في بداية الطريق.

ورميت القلم على الطاولة وقلت: "اني في حيرة من أمري."

وارتسم الهم على جبين دك وهو يقول: "ما رأيك في طلب مساعدة من الدولة؟"

ـ كلا! ألم تسمع ما قاله الدكتور كروبر من أن طلب المعونة الحكومية يعني التخلي عن حقوقنا تجاه الولد؟

"لقد قال كروبر ان المسألة لا تتجاوز الشكليات. فلماذا ترفضينها يا سوزان؟"

ـ لا بدّ من أن تكون هناك طريقة أفضل.

ودعانا بعض الاصدقاء الى تمضية عطلة في منتجعهم الشتوي برفقة بول. وهو سُرّ كثيراً لفكرة التزلج، وبذل جهده للترفع الى الدرجة الثالثة قبيل موعد الرحلة. وكنا مرتابين في تصرف بول المنتظر، غير أنه فعل كل شيء على خير وجه. وذلك منحني أملا جديداً بوشوك إعادته الى البيت.

إلا أن أثر العطلة الثلجية ما لبث أن زال سريعاً. فما أن عاد بول الى المؤسسة حتى استأنف أساليبه الملتوية وتقهقر بسرعة الى الدرجة الاولى.

وذاب الثلج وأطل النرجس البري مبشراً بالربيع. وإذا بي في مكتب السيدة تابور التي قالت: "لقد بدأت أنت وبول تدركان طبيعة مشاعركما.

والواقع أن بول أخذ يعبر بالكلام عن غضبه حيال ترك والده اياه وحيداً. فهو يفهم موت أبيه على هذا النحو الطفولي. إلا أنه ما برح يجادل باستمرار ومن موقع السلطة. وهو لم يتوصل الى التفكير في عواقب أفعاله. ولن نسمح له بالذهاب الى البيت حتى نتمكن من حفزه على تبديل مجرى سلوكه."

ـ آمل ألا يستغرق هذا الأمر طويلا، أعني أكثر من ثمانية أشهر.

"لماذا تقولين هذا؟"

ـ إني أقوله بناء على ما سمعته من الدكتور كروبر حين حملنا بول الى المؤسسة للمرة الاولى. فهو قدّر المدّة كلها بثمانية عشر شهراً.

"ذلك لم يتعد كونه تقديراً. والامر متعلق بالتقدم الذي يحرزه بول. هذا ليس سجناً يا سيدة بورتر، لكنه مركز علاجي. ونحن نمدّ الاولاد بالعلاج ما احتاجوا إليه... ولكن هل قلت شيئاً لبول عن المهلة؟"

ـ أجل، لماذا تسألينني؟

"ألا ترين ما الذي يحصل؟ هذا يجعل بول يفكر في الوقت من غير أن يبذل جهداً حقيقياً لتحسين حاله. فهو يظن أن تمضية الاشهر الثمانية عشر كفيلة باعادته الى البيت، في حين أنه لا يزال ألصق بالسن السابعة التي توقف نموّه النفسي عندها، وهو يرفض أن ينمو."

ولم يكن مرّ في ذهني قط أن العلاج قد يستغرق أكثر من سنة ونصف سنة. وأرقتني الفكرة لغير سبب، ومن ذلك أن مدّخراتنا على وشك النفاد.

وفي ذلك المساء قلت لزوجي وأنا أتأمل في حسابنا المصرفي: "ما الذي نستطيع فعله؟"

وفي الصمت الذي تلا سؤالي توصلت بنفسي الى الجواب.

في الدائرة القضائية قادتنا مساعدة اجتماعية الى شقة القاضي الخالية من النوافذ. وقالت همساً: "تذكري أن المعاملة لا تعدو كونها شكلية."

أجل، الكلّ ذكرني بشكلية تلك المعاملة.

وأمسك دك بيدي وقال: "إذا كنا واثقين من حسن ما نفعله من أجل بول، فلن نحاول إعادته سريعاً الى البيت. إذاً لا تنسي يا سوزان أنك تفعلين ما تفعلينه الآن من أجل بول."

إلا أن القاضي ما لبث أن دخل الغرفة وتلا نص المعاملة، ومنه الآتي: "بعدما سمعت المحكمة طلب الحاضرين، قررت اعتبار الفتى بول هولت عالة مهجورة."

والواقع أن أحداً لم ينبهني الى هذا المقطع. غير أنهم قالوا لي لاحقاً ان هذا هو "الوجه الشكلي للمعاملة. ولا بدّ من استعمال هذه العبارة القانونية." لكني لن أنسى وقع تلك العبارة الرهيب عليّ: "...هذا الفتى عالة مهجورة."

ولما غادرنا القاعة خيّل إلي أني تخليت عن ولدي ووضعته في عهدة الدولة.

المفتاح المفقود

مع ازدياد واجباتي المهنية أمضيت أمسيات عدّة أعمل حتى

ساعة متقدمة من الليل. واقترح دك ذات مساء أن نذهب الى حفلة استقبال. وهناك صادفت ما كنت أتوقع إذ وجدتني أمام وجوه غريبة ووسط سحب من دخان السجائر. وفجأة أتت نحوي امرأة ذات شعر قاتم ضارب الى الحمرة وقالت: "إني أعرفك."

تلك كانت ماري هاموند، جارتي السابقة التي ضرب بول ابنتها ليزا. وكان لها صبي اسمه مايك.

وسألتني: "أتتذرين مايك؟"

فهززت رأسي إيجاباً.

وما أن فعلت حتى انهمر الدمع من عينيها، ثم قالت: "لقد مات مايك." وكان وجهها مفعماً بالألم مما حداني على رفع أنظاري عنها، إلا أن كلماتها اللاحقة أعادت عيني إليها: "لقد انتحر قبل ثلاثة أشهر."

وسرت قشعريرة في جسدي. ووقفنا وسط تلك الحفلة الضاجة وقد نسينا الكلمات الغاضبة التي تبادلناها قبل سنوات. ومددت يدي نحوها مؤاسية، وأنا أم مثلها.

وتابعت: "كان ينبغي أن أعرف تصميمه. فهو هدّد بالانتحار، غير أني كنت منهمكة في العمل ولم أصدقه. وكنا نظنه سعيداً. ولم يصدر منه أي عمل مشاغب على غرار..."

قالت هذا وصمتت، فتابعت عنها: "على غرار بادي... ثمة من يعيننا اليوم على بادي."

— ترى لماذا لم نطلب نحن المعونة؟

وقلت لنفسي وأنا على الطريق مع دك: "لأن معونة من هذا النوع تقتضي أن يقترحها أحد علينا." وارتجف جسمي حين ذكرت أن المحنة التي يعانيها بول لم أكتشفها بنفسي، بل اكتشفها دك بمساعدة المسؤولين في المؤسسة. ولو لم نحصل على تلك المساعدة، لما كان مصير بول بأفضل من مصير ابن السيدة هاموند. والخطوة القانونية التي أجريناها أخيراً، كم تهون أمام مصيبة تلك الجارة القديمة!

وحان موعد اللقاء العائلي. وانضم إلينا عضوان جديدان هما رون ميريديث وزوجته فران. وفي ذلك المساء تأخر آرت ليمان وزوجته بيتي. ثم دخلت بيتي لتعلن بفرح عظيم: "لقد جئنا لنقول لكم وداعاً. فابننا عائد الى البيت."

وصاحت كورا: "يا له من خبر عظيم!"

وقال آرت: "نعرف جيداً أن الحلول البسيطة لا وجود لها. لكن ابننا تعلم الآن كيف يسيطر على غضبه."

وأضافت بيتي: "وأنا كذلك."

وانبرت كورا: "حقاً اننا نعرف هذا الامر." وضحكنا كلنا، وتذكرنا بعض اللقاءات الماضية حين كانت بيتي تصب حمم غيظها الذي لجمته طوال سنوات. ولكن ما أن تعلمت كيف تسيطر على نفسها حتى تبدلت علاقاتها مع الآخرين وفارقها الحياء الشديد الذي رأيته لديها في البداية.

وقالت كورا لزوجها: "لا بدّ من أن نبلغ هذه المرحلة يا هاري، أليس كذلك؟ ولكن علينا تلقين بنجي أن يحب نفسه."

ونظر الدكتور كروبر الى هوارد

بوينتون وقال: "انك لم تتكلم هذه الامسية يا هوارد. فما الأمر؟"
وابتسمنا كلنا، إذ ان هوارد لم يسبق له أن تكلم البتة.
وأجابت عنه زوجته ميلي: "لقد أخذنا جين الى المنزل الأحد الماضي. وجلس معنا يراقب مباراة كرة القدم على التلفزيون... اننا أمضينا عصراً جميلا يا هوارد، أليس كذلك؟"
لكن هوارد نظر الى زوجته بشفقة وقال: "كل منا يمكنه التصرف على نحو طبيعي لثلاث ساعات أو نحوها يا ميلي."
ـ ولكن علينا يا هوارد أن نقرّ بأننا أحرزنا تقدماً ما. أليس علينا أن نبدأ من مكان معين؟
وقلت من غير تفكير: "انه لأمر صعب، ولا شك، أن يأتي المرء الى هذا المكان. وإني لم أقبل هذا الواقع بسهولة."
وقال آرت: "الواقع أني لم احب موقفك لأنك نظرت الينا جميعاً كما لو كنا حشرات."
وأضافت بيتي: "لكنك كنت قاسية جداً على نفسك. ويبدو أنك بت تقبلين الامور أكثر من ذي قبل. ونحن نقدرك كثيراً."
واثـر فـيّ كلامها. وأمكنـنـي أن ألمس التبدل الذي طرأ عليها هي. وربما كان صحيحاً أني تبدلت أنا أيضاً.
وفـي طريقنـا الـى البيـت قلـت لزوجي: "إذا عاد ابن آرت وبيتي الى المنزل، فلماذا لا يعود بول؟ دعنا نسألهم عن هذا الامر."
وقلت للدكتور كروبر لدى مقابلته اليوم التالي: "لقد انقضى اثنان وعشرون شهراً على وجود بول في هذا المكان."
ـ ألا ترين أن بول سجل تقدماً ملحوظاً؟ وأنت كذلك سجلت تقدماً.
"أعرف ذلك. ولهذا السبب أطلب منك أن تعتق بول وترسله الى البيت. إننا نحبه."
ـ لا شك في أنكم تحبونه. لكن المهم أن يحب هو نفسه. ومن لا يحب نفسه لا يمكنه أن يحب الآخرين. وإذا تزوج وهو على على هذه الحال، فقد يتنقل من زوجة الى اخرى ويسيء معاملة أولاده. وربما خسر وظائفه جميعاً لأنه لا يستطيع استخدام السلطة...أتذكرين زيارتك الاولى الى هذا المكان؟ لقد قلت لك آنذاك ان نموّ بول النفسي متوقف عند سنه السابعة، وهي السن التي بلغها عند وفاة أبيه. والواقع أنه، في امور حساسة كثيرة، ما يزال متحجراً هناك. ولم نجد بعد المفتاح المناسب لحفزه على التقدم. وإذا غادر بول المؤسسة سريعاً، فربما واجه صعوبات جمة لن يستطيع الوقوف لها."
ونظرت الى الدكتور كروبر ثم الى دك، وبعد ذلك الى يديّ المطبقتين. وقلت: "أتظن أنه سيعود الى البيت مع فصل الصيف؟
وهزّ كروبر كتفيه وقال: "إذا وجدنا المفتاح."

المسؤولية

ارتأت السيدة تابور أن المفتاح الضائع قد يكون في العلاج العائلي، أي في خضوع جميع أفراد العائلة

لدورة من العلاج النفسي. واقترحت أن نباشر نحن الخمسة الاجتماع بها ابتداء من مطلع الاسبوع المقبل.

وفي لقائنا الاول راحت كاتي تنظر بدهشة حولها، وكانت في السادسة عشرة؛ وقد انتزع الرباط من عنقها وظهرها. وكان شعرها جميلا وقد قومت أسنانها على نحو أنيق. ونمت حركاتها عن هدوء نفسي وطبيعة طيبة.

وغرق تومي في مقعده عابساً. وكان في الثانية عشرة؛ وقد خبأ بعض مشاعر القلق خلف ستار من الاختيال؛ كونه بلغ السنة الابتدائية السابعة بنجاح.

وحيانا بول بابتسام. وقال مبتهجاً وهو يتحرك في كرسيه: "لكم هو عظيم أن نجتمع كلنا أخيراً."

وسألتنا السيدة تابور: "كيف تجري اموركم العائلية."

وتردّدت كاتي قليلا قبل أن تقول: "لا يزال الشجار على أشده. ووالدتي تغضب كثيراً لأننا لا نرتب المنزل."

ـ ولماذا لا ترتبان المنزل أنت وأخوك؟

"إني على استعداد للعمل المنزلي إذا أبدى تومي استعداده أيضاً."

وغرق تومي أكثر فأكثر في مقعده. وقال: "امي لا تكف عن التذمر."

وتنهد دك وقال: "هذا صحيح. والواقع أن سوزان تكرّر الكلام نفسه. وهي تلجأ الى التهديد والوعيد من غير أن تنفذ كلامها. وهكذا يفعل تومي وكاتي ما يريدان."

وقلت: "شكراً لكم جميعاً. لقد نسيتم أن دك يبقى معظم الوقت خارج المدينة في رحلاته التجارية. أما أنا فأعود الى المنزل متأخرة ومرهقة. فلماذا لا تحاولان مساعدتي؟"

وأجاب دك: "لأنهما في مرحلة الطفولة أو المراهقة. وهما يريدان اختبارك يا سوزان. وعليك أن تكوني حازمة في مواقفك."

وبقينا نحن الخمسة نجتمع طوال ذلك الربيع حتى مطلع الصيف؛ باحثين في الامور التي تحدث الخلاف بيننا. وذات مساء قلت وقد عيل صبري: "لم أعد أتحمل هذه التفاهات. فما علاقة لقائنا بعودة بول الى البيت؟"

وأجابت السيدة تابور: "ألا ترين أن عائلتك كالماء الذي يبقى على وشك الغليان؟ والامر ليس في تفاهة النقاش بمقدار ما هو في حدّته واستمراره. والحقيقة أن بول لا يستطيع الانسجام مع وضعكم العائلي المضطرب."

إلا أن السيدة تابور لم تذكر شيئاً عن الاضطراب الذي ما زال بول يعانيه وهو ضمن المؤسسة. ويبدو أن مشكلته ذات علاقة بصديق جديد اسمه دوغ. وكان هذا في السادسة عشرة آنذاك؛ وقد رُقي الى الدرجة الثالثة بعدما راقته حسنات الترقية.

وقابلت دوغ ذات أحد ووجدت فيه فتى مهذباً ومرحاً ورقيقاً. وقلت لابني: "صديقك يبدو حسن المعشر." وشئت أن يشجعه مثل دوغ على الاقتداء به.

لكن الغريب أن بول وقع في مشاكل جديدة. وقُبض عليه مرّة وهو يحمل

السجائر الى الفتية الآخرين. واضطر المشرفون على المهاجع الى ردّه مراراً عن أترابه. وفي إحدى تلك المرات هدّد السيد كونولي بالضرب. وسُمع يتفوه بعبارات إباحية على الهاتف مع فتاة تدعى جودي.

وسألت السيدة تابور وقد هالتني تلك الامور: "ما الذي يحدث؟"

ـ أظن أن هذا أثر دوغ.

"دوغ؟ لكن دوغ أبلى حسناً في دروسه. وأخبرني بول أنه على وشك الترقي الى الدرجة الخامسة."

الدرجة الخامسة."

ـ يخيل اليّ أن دوغ أوتي القدرة على استخدام الناس وترك نفسه محجوباً.

"أتقصدين أن دوغ هو الذي دفع بول الى...؟ ولكن من المسؤول عن دوغ؟"

ووضعت السيدة تابور القلم بين أسنانها وقالت: "لست أنا يا سيدة بورتر. ولكن لا تنسي أننا لم نبلغ الكمال في هذا المكان، مثلنا مثل أي مكان آخر. وأحياناً نواجه صعوبات. إلا أن أثر دوغ على بول لا يرفع المسؤولية عن ابنك."

وضربت يدي على الطاولة وقلت: "مسؤول؟ لقد غدوت مريضة من سماع هذه العبارة. كما مرضت حتى الاعماق من إبقاء بول هنا. ولقد مللت رؤيتك ورؤية سائر الاولاد يعادون الى بيوتهم باستثناء بول... إني أُصر على عودة بول الى البيت."

ـ سيدة بورتر...

"كلا! لا أُريد سماع المزيد من النصائح. لقد أمضى أبني سنتين لديكم. وهذا يكفي."

قلت هذا وانطلقت عاصفة خارج المكتب.

النموّ

لم يكن ذلك المزاج فارقني لدى حضوري لقاء العائلات التالي. وكان ذلك خارج المدينة، وراودني شعور بالبقاء في البيت. ولكن ربما كنت أبحث عن فرصة اخرى للتعبير عن غيظي.

وما أن جلسنا حول الطاولة حتى صرخت: "لقد تعبت من بقاء بول هنا... تعبت من سماع العبارات نفسها التي تقول ان الوقت لم يحن بعد لاخراجه. اني أُصر على إطلاق ابني الآن."

قلت هذا وأنا أنظر شزراً الى السيدة تابور والدكتور كروبر. ولم يقل أحد كلمة. وفجأة انحنى هوارد بوينتون قليلا وقال بتهكم: "إذاً ستأخذين ابنك الى المنزل، وستعرفون جميعاً السعادة الحقة بعد ذلك."

ونظرت إليه بتعجب. وأضاف: "ابنك ليس الوحيد الذي يحتاج الى النمو... أنت أيضاً تحتاجين الى النمو."

وتنهدت فيما تابع هوارد كلامه: "كلّ ما أسمعه منك هو الشكوى. فأنت تظنين أنك والدة مخفقة، كما تظنين أن المصائب بعيدة عن سواك، وتحاولين إحالة الامور على ذلك... بحق السماء، متى ستكبرين وتتصرفين كأم وليس كفتاة مدللة؟ إذ ذاك ربما وجد ابنك بول قدوة لينمو هو الآخر."

ولم أصدق ما سمعت، ونظرت حولي عل أحداً يدافع عني، إلا أني قرأت الاقتناع بكلام هوارد في أعين الآخرين.

وقطع الدكتور كروبر حبل الصمت ليقول: "أتظنون أنّ هوارد على حق؟"

وأخذ الآخرون يهزون رؤوسهم ايجاباً واحداً بعد الآخر، وسمعت أصداء المحادثات القديمة في أذن ذاكرتي: "اني أكره أن أكون أمّاً، وكلّ ما أريده هو أن أكون صديقة أولادي... من الشاق أن يكون المرء مسؤولا طوال الوقت، إني أعاني الاجهاد، ولدى بلوغي المنزل يكون الارهاق بلغ مني مبلغاً يمنعني من مواجهة الامور."

ألا يعني هذا كله أني وابني بول متشابهان؟ كيف غابت عني هذه الحقيقة قبل اليوم؟ اننا، نحن الاثنين، نهرب من المسؤولية، وكلانا ينتظر اللحظة السحرية التي يخرج بول فيها من بيت الاحداث.

والحقيقة أن طريقة الخروج مرتبطة بالواقع، لا بالغيب. وفجأة أدركت أن عليّ أن أنمو لأواجه مسؤولياتي كأم، لئلا تبقى عائلتنا كما قالت السيدة تابور "كالماء على وشك الغليان."

ويتعين على بول أن يتخلص من إلقاء تبعات أفعاله على موت والده أو على السلطة المفروضة عليه أو على أمه أو على أي شخص أو وضع خارج عنه.

والحق أن كلام هوارد غير المتوقع وغير المعهود هزني من الاعماق وجعلني أعي حقيقة وضعي.

وفي اغسطس (آب)، بعد مرور ٢٥ شهراً على إدخال بول بيت الاحداث، كتبت إليه هذه الرسالة:

"عزيزي بول،

تعرف كم كانت رغبتي قوية في أن تكون معنا هذا الخريف، غير أن الحياة ليست بالرواية الوهمية حيث تستحيل الاحلام حقائق. والواقع هو أني لا أستطيع الاتيان بك الى البيت، وإن كنت أرغب في ذلك حتى الوجع. إلا أني لن أعود بك الى البيت حتى يسمح الدكتور كروبر، والسيدة تابور بذلك. والامر يا بول وقف عليك أنت. فبطاقة العودة الى البيت في يدك، تبرزها ساعة تشاء، مع محبتي، أمك."

وعندما حان عيد الميلاد قال لي بول والتساؤل في عينيه: "إذاً لن تعيديني الى البيت؟ هل يعني هذا أني سأبقى خارجاً؟"

وفي فبراير (شباط) قالت لي السيدة تابور بحماسة: "لقد طرأ تبدل ملموس على سلوك بول خلال الاسابيع الاخيرة، وتقدم بطلب لبلوغ الدرجة الثالثة، كما سألني أن أساعده لوضع قائمة من الاهداف التي يجدر أن يعمل على تحقيقها، وقد باشرت تدريبه على أصول التعامل مع ذوي السلطة، كالأهل والمربين."

واستمر تقدمه، وفي مارس (آذار) قررت إدارة المؤسسة إرساله الى البيت في نهاية كل اسبوع على أساس تجريبي. وفي الشهر نفسه اختاره زملاؤه رئيساً للمهجع، وكان ذلك شرفاً كبيراً ومدعاة افتخار له. وبدا أنه أكسبه ثقة جديدة بنفسه.

وعندما تقدم بول بطلب للترقي الى

المرتبة الخامسة في مايو (أيار) من ذلك العام، قالت السيدة تابور: "لقد اجتزنا الخطر. وفي حين نجد من الضروري الاستمرار في العلاج العائلي، إلا أننا على استعداد لاعادة بول الى البيت."

وأخيراً نطقت تلك المرأة الصارمة، التي باتت جزءاً من حياتنا طوال السنوات الثلاث الماضية، بالعبارة التي انتظرتها طويلا: إعادة ابني الى عائلته.

ولم يستطع دك تمالك الدمع. وقال همساً: "أرأيت؟ لقد نجحنا أخيراً."

وكانت زيارتنا الاخيرة لبيت الاحداث يوم جمعة في مطلع شهر يونيو (حزيران). وأوقفنا السيارة على الحصى وقد تصاعدت صيحات الاولاد وهم يلعبون بين الاشجار.

وصعدنا الى مهجع بول. ورأيناه واقفاً مع صبي جديد ضامر وطويل القامة وصعب المراس كما يبدو من وجهه.

وسمعنا بول يقول له: "اسمع! ابحث في امورك كلها مع السيدة تابور. صحيح أنها امرأة صارمة، غير أنها تعرف تماماً ماذا تفعل. ولا شك في أن لها فضلا كبيراً عليّ."

وقلت لنفسي: "بل انّ فضلها علينا جميعاً. وهي أعانتنا حين تبين أن الحب وحده لا يكفي."

وحين عاد بول الى البيت كان في الصف الاخير من مرحلة الدراسة الثانوية. وهذا العام تخرج في الجامعة. وهو شاب وسيم، قوي البنية، حسن المعشر، وطوله ١٨٣ سنتيمتراً. وإني فخورة به حقاً. كما اني فخورة بنا جميعاً.

■ **سوزان هولت بورتر**

هدية الزوج

دخلت شابة محلا نسائياً شهيراً واختارت معطف فرو باهظ الثمن، طالبة من الموظفة أن تلفه في غلاف خاص بالهدايا، وقالت: "انه هدية مني الى زوجي في عيد ميلاده. ذلك أنه، في عيد ميلادي الأخير، قدّم الي لوحة أراد أن يقتنيها قبل وقت طويل".

ر.و.

اسأل مجرباً

بينما كان رجل يتنزه في الشارع قفز غلام عن جانبه ووقف في طريق السيارات. وأمسكه الرجل من كتفه وأعاده الى الرّصيف وهو يقول: "ما المسألة يا بنيّ؟ أتريد أن تتجنّب البلوغ ومواجهة مشاكل العالم؟"

ب.س.

قالت فتاة لصديقتها: "لن أتزوج إلا وقد بلغت العشرين".
فأجابتها الصديقة: "لن أبلغ العشرين إلا متزوجة".

ج.و.

أوّل طعام لطفلك



سيريلاك نستله

بالإضافة إلى الحليب ، سيريلاك يؤمّن لطفلك طعاماً لذيذاً ومغذياً

سيريلاك سريع التحضير وطفلك سوف يحب طعمه اللذيذ .

سيريلاك تضمنه نستله

